الشيعة
شعب الله المختار

تأليف

إيهاب كمال

الحرية
للنشر والتوزيع

3 ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
0123877921 - 5745679

الشيعة
شعب الله المختار

اسم الكتاب	الشيعة شعب الله المختار
تأليف	إيهاب كمال
الناشر	الحرية للنشر والتوزيع ٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة ت: ٢٦١٥٦٤٦ ـ ٥٧٤٥٦٧٩ م: ١٢٣٨٧٧٩٢١.
رقم الإيداع	٢٠٠٦/١٣٥٩
الترقيم الدولى	9 - 06 - 24 - 206

الحرية
للنشر والتوزيع

مقدمة

تاريخ الشيعة مليء وعلى إمتداد (١٤) قرنًا وأكثر من مسيرة التاريخ الإسلامي، بأدوار وأحداث بارزة، ما زالت تشغل إلى اليوم أثرًا وحيزًا هامين في المجال الديني العقائدي، وفي الواقع السياسي والإقتصادي والإجتماعي للعالم الإسلامي على صعيديه الشعبي والرسمي.

ولم يكن ظهور التشيع حصيلة الإفرازات السياسية، أو الصراعات الفكرية والجدالات الكلامية. بل إمتداد حقيقي للفكر العقائدي للدين الإسلامي. إنه استمرار لمسلسل بدء حسب إختلاف آراء المؤرخين:

١- من وفاة الرسول.

٢- من مقتل الإمام علي.

٣- من مقتل الإمام الحسين.

إن مراجعة دقيقة ومتعمقة لتفاصيل ووقائع التاريخ الإسلامي، ومراحله الأولى. تبرز كيفية ودواعي نشأة مذهب التشيّع ومراحل تطوّره. وأهمية الدور الشيعي وأثره في رسم الخريطة المذهبية والسياسية للإسلام. وصناعة الأحداث في ساحته قديمًا وحديثًا.

وأخبار الغدير تعتبر المستند الأول من السنة عند الشيعة فهم يرون أن الرسول ﷺ عند «غديرخم» بعد إنصرافه من حجة الوداع، بيّن للمسلمين أن وصيّه وخليفته من بعده هو علي بن أبي طالب.

وإذا دققنا النظر سنجد أننا لسنا أمام تاريخ انقضى بمآسيه، ولكن أمام قضية عقدية تلح علينا لبيان صحتها فإن ذلك جليّ لا يحتاج إلى بيان. ولكن التحذير من

الإنسياق وراء العواطف والإنفعالات التى جرفتنا ومعنا الكثير من قبل. والدعوة إلى إعمال الفكر المبنى على دعائم منهجية لنعرف ما يُراد بالإسلام. والإسلام يعنى الكتاب والسّنة، ويعبر عنه علماء أهل السنة والجماعة وفى مقدمتهم الخلفاء الراشدين ﷺ ولنا ملاحظة.

إن الإصرار على فرض عقيدة الشيعة بالقوة وتكفير المخالفين من أهل السنة سيؤدى إلى النفور بل المقاومة العنيدة إنطلاقًا من مفاهيم إسلامية مضادة.

وأخيرًا. فإن هذا الكتاب يعبر عن جهد متواضع نهدف به توضيح الحقيقة بالأدلة عن تصور عقيدة «الإمامة» عند كل من أهل السنة والشيعة لوضع الأمور فى نصابها، وتوعية المسلمين من أهل السنة والجماعة بما يدور حولهم.

* * *

١

معنى الشيعة

الشيعة فى لغة العرب: هى المشايعة والمناصرة والموالاة، أى الأتباع والأنصار، وغلب هذا الأسم على من والى الأمام على بن أبى طالب عليه السلام وأهل بيته الشريف، حتى صار إسمًا لهم خاصًا، (الشيعة)(١).

وقال ابن منظور: والشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فيهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد، يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع، وقال نقلاً عن الأزهرى: والشيعة يهوون عترة النبى محمد ﷺ ويوالونهم(٢).

وبهذا المعنى اللغوى إستعمل القرآن الحكيم لفظة «الشيعة» كما فى قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾(٣)، و ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾(٤).

* * *

(١) القاموس المحيط: مادة شياع، ج/٣، ص/٤٩.

(٢) لسان العرب: مادة شيع، ج/١، ص/٥٥، وتاج العروس: مادة شيع، ج/٥، ص/٥.

(٣)سورة الصافات/ آية ٨٣.

(٤) سورة القصص/ آية ١٥.

الشيعة إصطلاحاً

لقد عرف العلماء والباحثون مصطلح الشيعة من منطلق اعتقادهم بعدة تعريفات أبرزها:

الشيعة: هم اتباع على عليه السلام أى من شايع عليًا أو قدمه على أصحاب رسول اللّه ﷺ واعتقد إنه الإمام من بعده بوصية مباشرة منه ﷺ وبأرادة إلهية.

الشيعة: من شايع عليًا عليه السلام وقدّمه على غيره من الأمامة، كفرقة الأمامية والجارودية والزيديّة والأسماعيلية غير الملحدة والواقفية والفطحية[١].

الشيعة: هم الذين شايعوا عليًا فى إمامته، واعتقدوا إنّ الأمامة لا تخرج عن أولاده، ويقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر أو القول بالتوليّ والتبرّى، قولاً وفعلاً، إلاّ فى حال التقية، إذا خافوا بطش ظالم أو حاكم جائر[٢].

أما أشمل التعاريف التى وردت بخصوص الشيعة وأقربها للتصديق، هو تعريف ابن حَزَمْ الذى يقول:

ومن وافق الشيعة فى إن عليًا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول اللّه ﷺ وأحقّهم بالأمامة (الخلافة) وولده من بعده فهو شيعى حتى وإن خالفهم فيما عدا ذلك ممّا اختلف فيه المسلمون فأن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيًا[٣].

---

(١) شرح اللغة: ج/٢، ص/٢٢٨.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين: ج٥/ص/٤٢٤٢.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج/٢، ص/١١٣



الجذور التاريخية
لنشوء مذهب التشيعْ

إختلفت الأراء وتضاربت فى نشأة التشيّع، ومن الأراء التى وردت فى ذلك أبرزها ما يلى:

١- التشيع فى زمن النبى محمدﷺ

يرى هذا الفريق بأن الشيعة ظهروا فى زمن النبى ﷺ وممن يذهب لهذا الرأى (أبو عبد اللّه محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن على البرقى القمّى- وهو أحد علماء ومؤرخى الشيعة).

إذ قال: إن أصحاب على- كرم اللّه وجهه- ينقسمون إلى الأصحاب ثم الأصفياء. ثم الأولياء، ثم شرطة الخميس.

ويجعل من الأصفياء: سلمان الفارسى، المقداد، أبو ذر الغفارى، عمّار بن ياسر، أبو ليلى، شبير أبو سنان، أبو عمرة، أبو سعيد الخدرى.

وهؤلاء من أصحاب الرسول ﷺ وأنهم تشيّعوا لعلىّ رضي الله عنه والتزموا بتأييده يوم السقيفة.

٢- التشيّع أيّام مؤتمر السقيفة

رأى آخر مفاده أن جماعة التشيّع تكونت زمن مؤتمر السقيفة (بعد وفاة النبى ﷺ أوائل عام (١١هـ) وقد إنتصر لهذا الرأى ابن خلدون، أن الشيعة تكونّت لما توفى الرسول ﷺ وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش.

٣- التشيع أيام مقتل عثمان بن عفان

ومن أنصار هذا الرأى ابن حزم الأندلسى. فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هى فرقة حدث أولها بعد موت النبى ﷺ بخمس وعشرين سنة.

٤- التشيع يوم «موقعة الجمل»

من أصحاب هذا الرأى «ابن النديم» لما خالف طلحة والزبير عليًا رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان، وقصدهما على ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله (معركة الجمل فى البصرة) تسمى من إتبع عليًا باسم الشيعة.

٥- التشيع يوم خروج الخوارج بصفين

من أشهر القائلين بأن التشيّع تكوّن يوم خروج الخوارج من صفين «المستشرق وات مونتجمرى»: إن بداية حركة الشيعة هو أحد أيام سنة ٦٥٨م- ٣٧هـ حين قال جماعة من أتباع على، إننا نوالى من والاك ونعادى من عاداك.

٦- التشيع بعد مقتل الإمام الحسين]

يفيد هذا الرأى: إن دم الحسين الذى أراقته سيوف الحكومة الأموية، يعتبر البذرة الأولى للتشيّع كعقيدة.

ويقول الدكتور كامل مصطفى الشيبى: إن إستقلال الإصطلاح الدّال على التشيّع: إنما كان بعد مقتل الحسين عام ٦١هـ، حيث أصبح التشيّع كيانًا مميزًا له طابعه الخاص.

من حيث يذهب الدكتور عبد العزيز الدورى إلى «أن التشيّع تميّز سياسيًا» إبتداء من مقتل الإمام على سنة ٤٠هـ، ويتضمن ذلك فترة مقتل الحسين حيث يعتبرها إمتدادًا للفترة السابقة.

* * *



نشأة التشيعْ

إن إستقصاء بداية التشيّع أمر ضرورى لكى نخطو بعد هذه الخطوة التالية فى طرح النقاش الواسع المدى الذى حمل لواءه أهل السنة والجماعة عامة من فقهاء أو متكلمين والإختلاف الجذرى فى موضوع الإمامة عند الشيعة وبينهم عند أهل السنة والجماعة، لأن مسألة الإمامة هى حجر الزاوية فى العقيدة الشيعية ولكنها عند أهل السنة من المصالح العملية التى يفوض فيها الأمر إلى الأمة الإسلامية، كما جاء على لسان ابن خلدون.

١- أول الآراء التى تقابلنا وهى نموذج للنظرة الشيعية. حيث يذهب الشيخ «محمد آل كاشف الغطاء وهو من الشيعة» إلى أن الشيعة ظهرت منذ عهد النبى ﷺ وأن الرسول نفسه هو الغارس لبذرة التشيع.

ومن خلال البحث التاريخى تبين لنا أن الشيعة لم تظهر حتى فى أيام خلافة على بن أبى طالب ولكننا نقتطف من أستاذنا الكبير الدكتور النشار رده الحاسم على مثل هذا الرأى. إنه يقول: «والخطأ الأكبر من هذه المحاولة أنه لم يكن بين يدى الرسول شيعة وسنة وقد أعلن القرآن {إن الدين عند الله الإسلام}. لا التشيع ولا التسنن.

٢- والرأى الثانى ينسب أصل التشيع إلى وقت وفاة الرسول ﷺ لأن أول خلاف حدث بين المسلمين هو التنازع حول شخص من يخلفه بعد إنتقاله إلى الرفيق الأعلى.

من هذا الرأى الدكتور أحمد أمين الذى يُرجع بدء التشيع إلى فريق الصحابة الذين أخلصوا الحب لعلى ورأوه الأحق بتولى الخلافة بماله من صفات.

ومن أشهرهم سلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، والمقداد بن الأسود.

ويبدو أن الدكتور أحمد أمين إستقرأ هذا الرأى من الوقائع التاريخية التى تروى عن تخلف بعض الأشخاص عن بيعة أبى بكر حيث رأوا أحقية على بالخلافة.

ولكن إختلاف الرأى فى مثل هذه الحالة لا ينبغى أن يؤخذ كدليل على بداية التشيع لأن الملتفين حول على حينئذ لم يكن يجمعهم إلا حبهم له وتفضيله على غيره لا على أساس النظرية الشيعية التى وضعت معالمها وفق منهج كلامى لم يكن هؤلاء الصحابة الأجلاء على علم به فى ذلك الوقت.

٣- ويميل فقهاء أهل السنة وكتاب الفرق وعلماء الكلام منهم إلى إرجاع نشأة الشيعة إلى «عبد الله بن سبأ اليهودى» الذى أسلم تظاهراً بغرض الكيد للإسلام، وتقويض دعائمه من الداخل، وقد حظى عبد الله بن سبأ بإهتمام الباحثين. فمنهم من تشكك فى وجوده، ومنهم من حمله عبء مذهب الشيعة وألقى على كاهله بنظريات التشيع كلها.

ويؤيد الشيخ محمد أبو زهرة وجود هذا الشخص ويعتبر ما وقع من فتن إبان حكم الخليفة الثالث من أعظم الأسباب التى تضافرت على مقتل عثمان ابن عفان.

فابن سبأ عنده هو الطاغوت الأكبر للأشخاص الذين أخذوا يشيعون السوء عن ذى النورين «عثمان» وينادون بحق على فى الخلافة. فهو صاحب نظرية أن لكل نبى وصى وإن عليًا كان وصيًا للنبى ﷺ «وبما أن محمد ﷺ خاتم النبيين. فإن على هو خاتم الأوصياء».

وهكذا بدأ هذا اليهودى الذى أطلق عليه أيضًا «ابن السوداء»- نسبة إلى أمة الأمة السوداء- فى بث مثل هذه الأفكار المنحرفة المفرقة للمسلمين وفى ظل هذه الفتن نبت المذهب الشيعى.

ويؤيد هذه الفكرة أيضًا عبد الله القصيمى ولكنه يميل إلى القول بإنتماء هذه اليهودى إلى جمعية سرية هائلة (ربّما الماسونية) أنشئت لهدم الإسلام وضمت تحت جوانحها الكثيرين من الناقمين على الدين الجديد. ولا يستبعد أيضًا أن قاتل عمر أبو لؤلؤة المجوسى، أحد الأعضاء المنضمين لهذه الجمعية. وقد إنتشرت فتنة هذه الجماعة وغالت فى معتقداتها إلى أن ادعت فى «على.. كرم الله وجهه» الألوهية. فلما همَّ بالإنتقام منهم كتموا ضلالهم حتى تتهيأ الفرصة لإعلان ما يضمرونه «وبهذا ظهرت أحد المعتقدات الشيعية وهى التقية».

فكانت دعوة ابن سبأ أن فى على-كرم الله وجهه- جانبًا إلهيًا وحادثة إحراق على

لأصحاب هذه الدعوى ما تفتق منها مبدأ الشيعة أى كانت هاتان الحادثتان أساس المذهب الشيعى والحجر الأول فى بنائه.

ويؤيد المستشرق «فلهوزن» أيضًا وجود السبئية كاتجاه كان له اليد الطولى فى الموقف الذى اتخذه الشيعة حيث أصبحت فى موقف أشد حدة إزاء مذهب أهل السنة وأبرزت الخلافات بين الشيعة والسنة. وإن كان يرى أن التشيع الصريح قام أولاً فى الدوائر العربية ثم تخلى عن التربة العربية عندما إرتبطت الشيعة بالعناصر المضطهدة من الموالى الفرس.

ولهذا يعارض الرأى الذى ذهب إليه «دوزى» فى كتابه «مقالة فى تاريخ الإسلام».

ونظرية «دوزى» فى إيجاز هى أن حقيقة الشيعة فرقة فارسية نظرًا للفوارق الظاهرة بين حب العرب للحرية وما اعتاده الجنس الفارسى من الخضوع للحكام فكان مبدأ إنتخاب خليفة للنبى ﷺ أمر لا يفهمونه لأنهم لا يعرفون غير مبدأ الوراثة، واعتادوا رؤية ملوكهم منحدرين حسب إعتقاداتهم قبل الإسلام من أصلاب الآلهة الدنيا وعجزوا عن تصور الحكام بشكل مغاير فنقلوا هذا التوقير الوثنى إلى على وبنيه. فالخلافة نتيجة لتصورهم ينغى أن تكون وراثية فى آل على ومن ثم أصبح باقى الخلفاء حسب إعتقادهم مغتصبين لسلطة الحكم.

وبصرف النظر عن مدى صحة هذه النظرية فإن الثابت أن الشيعة إعتنقت هذين الركنين فى المذهب.

١- توارث الأئمة.

٢- المناداة بإغتصاب الخلفاء الثلاثة الأول لحق على فى الخلافة كما يتصورون ويعتقدون.

وقد عرض الدكتور النشار موضوع السبئية وعالج هذه الآراء التى تنسب إلى ابن السوداء للتعرف على حقيقة وجود هذا الشخص وهل كانت الآراء المغالية التى نادى بها قد صدرت عنه حقًا أم كانت من وضع أعداء آل البيت الذين نسبوها كذبًا إلى الصحابى عمّار بن ياسر لأنه كان أحد المخلصين البارزين لعلى؟

وسواء ظهرت شخصية ابن سبأ أم لم تظهر فإن «المجامع اليهودية من ناحية والغنوصية من ناحية أخرى وجدت فى إنقسام المسلمين إبان ذلك الوقت فرصة لا تعوض لإلقاء بذور الفتنة بينهم.. وهى ما يطلق عليها الأراء السبئية سواء أكان صاحب الأسم حقيقة أو أكذوبة».

ومهما يكن من أمر فإننا لم نقابل حتى بعد مقتل «على» لفظ «الشيعة» بالمعنى الذى أصبح يُطلق على أصحاب هذا المذهب. والدليل على ذلك أن من أهل السنة من أعتبر الحسين بن على خامس الخلفاء الراشدين وهو ما يتفق مع نظرة أهل السنة والجماعة إلى أهل البيت بصفة عامة.

فإذا كانت الخوارج قد إشتطت فى حكمها على سيدنا على بن أبى طالب ثم جاء الشيعة بعدهم فغلت فى حبها فانتحلت عقائد مستحدثة، فإننا نجد أهل السنة قد حافظوا على حبهم لأهل البيت النبوى جميعًا وتولوهم.

والدليل الذى نقدمه هو تنازعهم بعض أهل البيت ونسبتهم إلى أهل السنة وإتخاذهم لهم روادًا أوائل تهدى إلى الحق من الكتاب والسنة فالحسن عندهم هو الخليفة الخامس إستنادًا إلى حديث النبى ﷺ: «الخلافة بعدى ثلاثين عامًا ثم تصير ملكًا عضودًا» فاحتسبوا المدة منذ إنتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى إستشهاد على بن أبى طالب، فلما وجدوا أنها تنقص عن الثلاثين سنة بستة شهور أصبح الحسن هو الخليفة الراشد الخامس ووضعوه فى المكانة اللائقة به كسيد شباب أهل الجنة وابن فاطمة الزهراء ريحانة رسول اللّه ﷺ.

وقد قدم لنا الأصفهانى (٣٥٦هـ- ٩٦٦م) نصوص الرسائل المتبادلة بين الحسن ومعاوية، وهى ذات دلالات هامة فى توضيح خلاصة الرأيين المتعارضين فى حق كل منهما بالخلافة.

فقد ذكر الحسن قيام النبى صلوات اللّه عليه بتأدية الرسالة التى كلف بها وأن العرب تنازعت سلطانه بعد وفاته ثم التسليم فى نهاية المطاف إلى قريش لأنها قبيلة الرسول ﷺ فكانت هذه الحجة لقريش أساسًا لتولى الأمر. إلا أن قريش لم تنصف آل البيت كما أنصفها العرب ولم تترك سلطان محمد ﷺ لأهل بيته وأوليائه.

أما تنازل أهل البيت لحقهم فى سلطان الرسول فكان مؤقتًا لذوى الفضيلة والسابقة فى الإسلام للحرص على جماعة المسلمين وحتى لا يجد المنافقون بابًا يدخلون منه إلى إفساد شأن الدين.

وانتهى الحسن فى كتابه إلى دعوة معاوية أن يدخل فيما دخل فيه الناس من البيعة والطاعة للحسن حتى يحقن دماء المسلمين.

أما معاوية فيتلخص رده فى الإعتراف بفضل أهل البيت وسابقتهم وقرابتهم من النبى ﷺ ومكانتهم العالية في الإسلام وأهله. ويعاتب الحسن على تهمته لأبى بكر وعمر

وأبى عبيدة وحوارى الرسول وصلحاء المهاجرين والأنصار ويمضى معاوية فى خطابه فيبين أن إختيار أبى بكر كان من رأى ذوى الدين والفضيلة ولم يخطئوا فى إختيارهم لأنهم لو وجدوا فى أهل البيت من يقوم مقامه لأولوه ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله.

وينتهى معاوية إلى طلبه من الحسن الدخول فى طاعته لأنه الأكبر سنًا والأقدم تجربة والأكثر سياسة والأطول ولاية.

وأود القول بعد تقديم أهم معانى هذين الكتابين اللذين أوردهما الأصفهانى الشيعى، أن التشيّع بفرقه وعقائده لم يكن قد تشكل فى إطاره التقليدى حتى ذلك الوقت. وإذا كان الحسن قد رأى أحقية أهل البيت فى خلافة الرسول ﷺ فقد شاركه هذا الرأى بعض المسلمين دون أن يصل إلى نظريات وعقائد منظمة.

ومن ناحية أخرى لم يذكر الحسن أن هناك نصًا ولا وصية وإلا لأفحم بها معاوية كحجة قوية يستند إليها فى حقه فى الخلافة. ولكن الأمر كان على عكس ذلك، ومن الأدلة على ذلك ما قدمه المقريزى أيضًا - ذو النزعة الشيعية المعتدلة - لكى يبرهن على ترفع الحسن فى خطبته أمام معاوية «أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول...».

ويورد الأصفهانى خطبة أخرى للحسن حيث يسكن بها ثائرة أصحابه ومؤيديه يقول فيها: «.. إن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة ألا وإنى ناظر لكم خيرًا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى ولا تردوا على رأى غفر الله لى ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا».

واستمر الأمر كذلك بعد الحسن ومعاوية أيضًا. فكان الخلاف حول الحق فى الخلافة دون دعوى التسلسل المتوارث فى الأئمة التى ظهرت على أيدى الشيعة الإمامية. فكما إستخلصنا من المناقشة بين معاوية والحسن، نعثر على نفس الأسباب فيما يراه الحسين فيذكر أنه: «أحق بالبيعة والخلافة من يزيد».

فالخلاف هنا وهناك سياسى محض لا نرى فيه أية إشارة إلى التوارث أو الوصية بالمعنى الدينى أى إستناده إلى الآيات والأحاديث ومن المصادر التى بين أيدينا (مقتل الحسين للخوارزمى) لا يشير إلى شىء من هذا كل ما أتى به على لسان الحسين فى مجادلته مع مروان بن الحكم حول البيعة ليزيد بن معاوية هو الفخر لإنتسابه للبيت النبوى.

٤- أما الحدث الأكبر الذى كان له الأثر الحقيقى فى نشأة التشيع فهو فجيعة مقتل الحسين بن على. هذه الصدمة الكبرى التى أذهلت المسلمين جميعًا فأصابت الوجيعة قلب كل مسلم اللهم إلا أفراد جيش عبيد اللّٰه بن زياد المحارب فى صفوف يزيد بن معاوية.

تكونت الشيعة إذًا بعد مقتله وليس قبل ذلك لأنه من المستبعد أن يلقى الحسين هذا المصير وهو فى منعة من المؤيدين والأتباع، فالعدد الذى التف حوله كان ضئيلاً إلى جانب أن هؤلاء المؤيدين لم يناصروه عن عزم وثبات بل قد يرجع السبب الأول فى إستشهاده إلى خذلانه والتخلى عنه بعد أن كاتبوه ودعوه لينصروه.

ولو كانوا بذلوا للحسين وهو حى نصف ما بذلوا وهو ميت فلعل مجرى الأمر قد تغير.

فقد دعى الحسين برسائل عديدة، ووصلت إليه مبايعات عدد كبير من أهل الكوفة فصدقهم وأجابهم إلى دعوتهم، ولكنهم خذلوه وتخلوا عنه فكأنهم سلموه لأعدائه!!

فإن كان يزيد بن معاوية مسئولاً عن مقتله فإن هؤلاء الذين كاتبوه ودعوه يصبحون فى موقف أدق. وإذا قال الشيعة بأن الحسين إستشهد فى حرب كان هو الذى أثارها ففى هذا تبرئة ليزيد وتخطئة للحسين. فالحق أن «الذنب كل الذنب فى هذا القول يكون على الشيعة التى خادعته ثم خذلته وأسلمته».

وينقل لنا موسى جاد اللّٰه ما روى فى «الكافى» عن الصادق بنزول الوصية على النبى ﷺ فدفعه إلى على بن أبى طالب ففتح الخاتم الأول وعمل بما فيه، ثم فعل الحسين كذلك.. إلا أن الحسين عثر فى وصيته على النص الآتى: «قاتل. واقتل. وتقتل. واخرج بأقوام للشهادة لا شهادة لهم إلا معك».

ويرى موسى جاد اللّٰه أن هذا القول الذى وضع على لسان الصادق ليس إلا إحتيالاً للتخلص من تهمة خزى تخاذل أهل الكوفة عن نصرته، وتبرير خروج الحسين بأنه «بكتاب من اللّٰه مختوم بذهب» وهو سبب لا يتفق مع النص القرآنى:

{يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتًا أو انفروا جميعًا}.

ولم يفطن الحسين إلى خدعة أهل الكوفة الذين أغضبوا أباه من قبل وتخلوا عنه فكان فى أكثر خطبه يشكو من عدم طاعتهم له. من هذه الخطب ما قاله فيهم: «الذليل من نصرتموه أنتم كثير فى الباحات، وقليل تحت الرايات، أضرع اللّٰه حدودكم وأتعس

جدودكم، لا تعرفون الحق مثل معرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل مثل إبطالكم الحق».

ويقدر موسى جار اللّه بعد هذا أن سبب إستشهاد الحسين يرجع إلى خيانة شيعته له وأن اللوم يقع عليهم لأنهم خدموا يزيدًا فدعوا الحسين نفاقًا وأسلموه إليه».

ومن أبلغ التعقيدات التى ذكرت عن مقتل الحسين قول إبنه على زين العابدين: «ألا أن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن ذا الذى قتلنا؟».

وإذا كانت الشيعة قد ظهرت على أثر مقتل الحسين فيجب أن نذكر أن ظهورها تم فى إطار المحبة لآل البيت النبوى والشفقة على إستشهاد الحسين المؤلم، فلم تظهر فى إطار مذهب كلامى فلسفى فالتشيّع إذًا فى بداية مرحلته كان عنوانًا على الإلتفاف حول أهل البيت ومحبتهم والمجاهرة للخروج دفاعًا عن الحق الذى رأوه فى تولى الخلافة والإنتقام لمقتل الحسين».

* * *

٤

عقيدة الشيعة

تتركّز عقيدة الشيعة فى أن السلطة الزمنية والدينية التى كانت للرسول ﷺ تعطى لخليفته وهذا التعيين يتّم بالنص لا بالانتخاب «كما يقول أهل السنّة». أى أن الله سبحانه وتعالى يأمر النبى أن يبلغ المسلمين. بأنه قد أختار «فلانًا» خليفة بعده، وأنّ عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا. وقد صدر هذا النص بالفعل من النبى ﷺ وخصّ به على بن أبى طالب إمامًا وخليفة للمسلمين من بعده ثم تنتقل من بعده إلى أولاده وقد إستدّل الشيعة على أن الخلافة تكون بالنص لا بالأنتخاب بأدلة منها.

١- إن الخليفة «الإمام» يحكم بأسم الله لا باسم الشعب، فيجب والحال هذه أن يختار من الله بلسان نبيّه، لا من الشعب بطريقة الإنتخاب.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ **[القصص الآية: ٦٨]**، سبحانه حصر الإختيار به، ونفاه عن جميع الناس.

٣- إن الأكثرية غير معصومة من الخطأ، فمن الجائز أن تختار رجلاً لا تتوافر فيه صفات الإمام من العلم والخلق. فتعم الفوضى والفساد، وقد نصّ القرآن على سقوط رأى الأكثرية بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ **[الأنعام الآية:١١٦]**.

٤- وصية النبى فى خطبة الوادع فى ذى الحجة ١٠ هجرية فى «غديرخم» بتولية علي خليفة للمسلمين من بعده حيث قال النبى ﷺ: **«من كنت مولاه فهذا على مولاه»**.

يمكن القول إن خلاصة عقيدة التشيّع هى الإيمان بأن الإمام يتولى الحكم من بعد الرسول ﷺ ويحكم بإرادة الله سبحانه وتعالى لا بإرادة الناس.

وقد أنكر أهل السنة والجماعة عليهم ذلك.

٥

بين الشيعة والسنة
«من وجهة النظر الشيعية»

إختلف أهل السُّنة وأهل والشيعة على أمور: منها ما يتصل بالعقيدة ومنها ما يتصل بمبادىء التشريع.

١-**معرفة الله:** بعد أن أجمع الفريقان على أن معرفة الله واجبة على كل إنسان، قالت الإماميّة «الشيعة»: بأن معرفة الله تجب بالعقل لا بالشرع، فى حين قال السنّة العكس من ذلك.

٢- **رؤية الله:** قال بعض أهل السُنّة: رؤية الله ممكنة فى الدنيا والآخرة، والبعض قال: بإمكانها فى الآخرة فقط، وقالت الإماميّة: إن رؤية الله محال وغير ممكنة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

٣- **صفات الله:** قال السُنّة: إن صفات الله غير ذاته. وقالت الإماميّة: بل هى عينها، قال السُنّة: كلام الله قديم ومخلوق، وقالت الإمامية: بل هو حادث ومخلوق.

٤- **بعثة الأنبياء وعصمتهم:** قال السُنة: لا يجب على الله أن يبعث أنبياء يبينوا للناس موارد الخير والشر، ويجوز أن يتركهم بلا هادٍ، ولا مرشد، لأنّه لا يجب عليه شىء، ولا يقبح منه شىء.

قالت الأمامية: بل تجب بعثة الأنبياء. لأنهم يقربون الناس إلى الطاعة. ويبعدونهم عن المعصية.

قال السُّنة: تجوز الذنوب على الأنبياء، الكبائر منها والصغائر، قبل أن يصبحوا أنبياء. أما بعد النبوّة فلا يجوز عليهم الكفر، ولا تعمد إلى الكذب. وتجوز عليهم الصغائر

عمدًا وسهوًا. والكبائر سهوًا لا عمدًا.

قال الأمامية: الأنبياء معصومون من الذنوب صغيرها وكبيرها، قبل النبوة وبعدها، ولا يصدر عنهم ما يُشين لا عمدًا ولا سهوًا. وأنهم منزهون عن دناءة الآباء وعهر الأمهات.

الإمامة

قال السُنّة: إن الإمام «الخليفة» يتعين بالانتخاب، ويكفى أن يبايعه شخص واحد، حتى تتم له البيعة، والعصمة ليست بشرط عندهم فى الإمام، وأوجب المالكية والشافعية والحنابلة الصبر على جور الحاكم وظلمه، ومنعوا من الخروج عليه.

وقالت الإماميّة: يتعين الإمام بنص النبى أو بنص الإمام المعصوم، وأن النبى ﷺ نصّ بالخلافة على على من بعده بلا فضل وأوجبوا له العصمة، كما أوجبوا الخروج على الحاكم الجائر بموجب نص القرآن. وأحاديث النبى و الأئمة المعصومين أو بفتوى المجتهد العادل.

ويستشهد الشيعة بالآية القرآنية:

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود:١١٣].

الصحابة

قال السُنّة: إن الصحابة جميعهم عدول ولا تجب تزكيتهم «أى تفضيل أحدهم على الآخر».

وقالت الإمامية: إن الصحابة كغيرهم من البشر فيهم الطيّب والخبيث والتقى والفاسق والعادل والجائر والمنافق.

واتفق السُنّة على أن فتوى الصحابى حجة على غيره عدا الصحابيين.

وقالت الإمامية: إن فتوى الصحابى ليست بحجة على أحد. وأنه من هذه الجهة لا يمتاز فى شىء عن غيره.

ويجب الإشارة إلى أن ما سبق بعض نقاط الإختلاف.

* * *

٦

مراحل التشيع

المرحلة الروحية: وتمثّل عهد النبى ﷺ.

المرحلة السياسية: وتبدأ بعد مقتل الإمام على سنة ٤٠هـ كما قسّمها مؤرخون آخرون كالتالى:

الدور الأول: يبدأ بوفاة الرسول محمد ﷺ وينتهى بإنتهاء العصر الأموى.

الدور الثانى: يبدأ من عهد الإمام جعفر الصادق أى أول العهد العباسى، وحتى عصر الشيخ المفيد وهو دور الحضارة والحركة الفكرية لمذهب التشيع.

الدور الثالث: يبدأ بالشيخ المفيد المتوفى عام٤١٣هـ وينتهى بالعلامة الحلبى المتوفى سنة ٧٢٦هـ الذى وضع أجوبة رد الشبهات ونقضها، وردّ العاديات عن المذهب الشيعى

* * *



فرق الشيعة

إستشهد الحسين رضي الله عنه فكان مقتله أكبر حادث فى تاريخ الإسلام السياسى والروحى. وتفتق عن تلك المأساة أحداث أخرى يأخذ بعضها بتلابيب الآخر وصراع هائل إستمر يحصد العترة ممن خرج من أهل البيت فى وجه دولة بنى أمية وبنى العباس، فأخذ يلتف حولهم المخلصون الذين تنتهى بهم عقائدهم إلى الدفاع والإستبسال حتى الإستشهاد، بينما يحوم آخرون حولهم، يبايعونهم ويدعونهم، ثم يفرون وقت الأزمة، ليظهروا نادمين تائبين يتلمسون الأفكار والآراء ليصوروا بها أهل البيت تصويراً يرتفع بهم عن الطبيعة البشرية أحيانًا لعلهم بهذا يجدون مستقرًا لضمائرهم التى أقلقها الخذلان والخزى فى الساعات الحاسمة!

وعلى مدى الأحداث المتكررة والتى تكاد تتشابه على وتيرة واحدة أخذت الفرق تتشكل وتتضارب فى الآراء والمعتقدات ويصطدم الباحث بالفرق المتباينة الكثيرة العدد، ولكن من العجب أنها كلها تتخذ من التشيع دينًا لها لا ترضى به بديلاً، بينما تختلف فيما بينها إختلافًا رقيقًا حينًا وشديدًا أحيانًا أخرى.

وقد جمعهم الشهرستانى فى تعريف يضمهم فى الخطوط العريضة لمعتقداتهم فهم الذين شايعوا عليًا على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية إما جليًا وإما خفيًا، مع الإعتقاد أيضًا بأنها لا تخرج عن أولاد على إلا بأحد طريقين:

١- الظلم من مغتصبى الإمامة.

٢- أو بواسطة التقية التى يتخذ الإمام منها ستارًا يخفى به نواياه الحقيقية وبهذا يسلم بالإمامة كارهًا «أى مُستكرهًا» لمن لا يستحقها فى نظره.

والركن الثانى: إن الإمامية ليست قضية تتعلق بصالح المسلمين وتُناط بعامتهم يختارون لها ما يرونه صالحًا، وإنما هى ركن الدين المكين، فلا يجوز على النبى ﷺ أن يفوض فيها عامة المسلمين.

ويقسم الشهرستانى فرق الشيعة إلى كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية.

أما الملطى فيقسم الفرق إلى إثنى عشر فرقة أهمها من الغلاة السبئية والقرامطة ثم المختارية أتباع المختار بن أبى عبيد، وينتهى بفرقة الإمامية وينسبهم إلى هشام بن الحكم ويُطلق عليهم الرافضة.

كما يسميهم البغدادى أيضًا بالروافض ويعتبر السبئية منهم، ولكنه يقسم الرافضة بعد زمان على بن أبى طالب أربعة فرق: الزيدية، الإمامية، الكيسانية، والغلاة إلى عدة فرق يكفر بعضها بعضًا.

وكذلك يفعل الخياط المعتزلى فإنه يدعو الشيعة بالرافضة ولا يفرق بينهما وإنما تدخل عنده فى دائرة واحدة من زعمها «أن أبا بكر وعثمان وأبا عبيدة ابن الجرّاح ومعظم المهاجرين وخيار الأنصار كانوا منافقين أيام النبى ﷺ وكانوا يضمرون العداوة ويُظهرون الحب له، وهم الذين قصدتهم الآيات:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً﴾ [الفرقان:٢٧، ٢٨].

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك:٢٢].

ولكنه يصور الغلو عندهم كغلو النصارى، فى المسيح لزعم بعضهم أنه إله أو أنه الواسطة بين الله والناس أو أنه رسول أو الزعم بأنه نبى وليس رسولاً.

ويخبرنا عن المقتصدين منهم بأنهم من نسبو إليه العلم بجميع الناس والأحوال فإنه «أعلم الناس بالتدبير وأزهدهم فى الدنيا وأشرهم بأسًا، وإن الله هو المتولى لنصبه وإقامته وأن الأمة أزالته ودفعته عن موضعه وأقامت غيره وأن من أنكره وخالفه وجحد إمامته فكافر مشرك ولد لغير رشده» المقصود هنا بالطبع هو الإمام على- كرم الله وجهه.

وانفرد النوبختى بإطلاق «الرافضة» على اتباع جعفر الصادق «أبى عبد الله جعفر بن محمد» لأن الشيعة أصحاب الصادق تبرءوا من المغيرة بن سعيد ورفضوه بسبب آرائه الغالية فسماهم بهذا الاسم.

وظلت هذه التسمية تطلق على الشيعة جميعًا منذ ذلك الوقت ما عدا بعض فرق الزيدية التى رضيت بخلافة أبى بكر وعمر وأقرت بشرعيتها.

والحق أن إطلاق إسم الرافضة على كافة فرق الشيعة لا يتفق مع الدقة اللازمة للتفرقة بين مذاهبها وعقائدها، فهو يمكن قصده فقط على بعض أتباع زيد ابن على حين خرج على هشام بن عبد الملك ودارت المناقشة بينه وبينهم عن خلافة الصاحبين فلما «عرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة».

وقد إعتاد أهل السنة والجماعة إطلاق هذه التسمية على الشيعة جميعًا دون تفرقة ونلاحظ هذا بصفة خاصة عند ابن تيمية فى رده على ابن المطهر الحلّى فلا يذكر الشيعة قط إلا بهذا الأسم «الروافض».

ولكننا سنحاول فى سياق هذا الفصل أن نعرض لأهم الفرق الشيعية وهى التى مازالت قائمة حتى عصرنا هذا، مع عدم الخوض فى التفرقة الدقيقة التى ذهبت إليها كتب الفرق حيث قسمت كل منها إلى عدة فرق.

وسنقتصر فى دراستنا على الفرق الكبرى وهى الإثنى عشرية والزيدية والإسماعيلية.

ونود أن ننوه قبل الخوض فيها بأن معظم الباحثين قد كفوا أنفسهم مشقة الخوض فى أعماق هذه الفرق واكتفوا بعرض الخطوط العريضة لأكبر فرقها. ولكن أستاذنا الدكتور النشار فى بحثه الكبير عن «نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام» قد ركب الصعب وتجشم العناء الشديد لتتبعها على مر العصور منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر، فعرض على بساط البحث لفرق الشيعة جميعًا على اختلاف عقائدها وتعدد نظرياتها فى نسق فلسفى متكامل.

فالشيعة الإمامية فى رأيه لا يعدون فرقة واحدة بل فرقتان، لأن الشيعة الفاطمية الحسينية قد اختلفت بعد الجعفر الصادق، فمنهم من نقل الإمامة إلى ابنه موسى ليصبح الإمام السابع فى سلسلة الأئمة الإثنى عشر فأصبح يطلق على هذه الفرقة الإثنى عشرية حيث تنتقل الإمامة بعد موسى إلى على الرضا ومحمد الجواد وعلى الهادى والحسن العسكرى ثم الإمام المنتظر. أما الفريق الشيعى الآخر فنقل الإمامة إلى ابن جعفر الصادق إسماعيل فسميت الثانية إسماعيلية نسبة إليه[1].

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص٢٠٥.

أما الأئمة الستة الباقين فى سلسلة الأئمة الإثنى عشرية فلم يكن لهم أى دور إيجابى هام فى تصوير العقيدة الشيعية ووضعها فى صورتها النهائية[1] فلسنا إذًا فى حاجة إلى دراستهم على انفراد واحدًا فواحد، كما سنفعل بالنسبة للأئمة الستة الأول بعد قليل.

ونظر الشهرستانى إلى الإمامية بصفة عامة من زاوية ما يجمعهم فى ظل عقيدتهم بإمامة على بن أبى طالب بعد النبى ﷺ بالنص الظاهر أو الخفى لأن تعيين من يخلف الرسول ﷺ هو أهم مسائل الدين وحجتهم فى هذا الاعتقاد أن الرسول صلوات الله عليه بعث لكى يقرر الوفاق ويستتب الوئام بين الناس فلا يجوز أن يتركهم مختلفين متباعدين بسبب عدم إتفاقهم على من يخلفه.

مما يستند إليه الشيعة على سبيل النص- الخفى- فهو أن النبى ﷺ بعث أبا بكر ليقرأ سورة البراءة ثم بعث بعده عليًا ليكون هو القارىء لها.

كما كان صلوات الله عليه يؤمر على أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة كعمرو بن العاص وأسامة بن يزيد بينما لم يؤمر على أحدًا قط[2].

والدلائل التى يوردها الشيعة كما يوردها الشهرستانى لإثبات ما نص عليه النبى ﷺ نصًا صريحًا تساؤله.

من الذى يبايعنى على ماله؟ فبايعته جماعة فلما سأل عمن يبايعه على روحه فيصبح وصيًا بعده حينئذ تقدم على وحده دون الباقين حتى أصبحت قريش تعير أبا طالب لأنه أمر عليه ابنه[3]؟

وتفسير بعض الآيات القرآنية بما يتفق ومذهبهم فى الإمامة كتفسيرهم للآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧]، حيث ادعى الشيعة أنه نص صريح فى الإمامة لأن النبى ﷺ فى غدير خم قال: **«من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت- قالها ثلاثًا-».**

كما أدعى الشيعة أن الرسول صلوات الله عليه قال: «أقضاكم على» نص فى الإمامة

---

(١) نشأة الفكر: ص٢٨٧.

(٢) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص٢٢٠.

(٣) الشهرستانى في الملل والنحل. ص٢٢٠.

لمعنى قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، ففسروه بأن أولى الأمر هم القضاة والحكام ذهبوا إلى أن الحكم فى النزاع بين المهاجرين والأنصار فى اجتماع السقيفة هو على نفسه[1].

ومن الآراء التى غرسها هشام بن الحكم فى تربة العقيدة الشيعية أن الطبقة الأولى من الأمة الذين بايعوا أبا بكر نافقوا وداهنوا لأحقاد كانت فيهم لعلى بن أبى طالب كما يمضى فى سبيل اتهاماته للصفوف الأولى من هذه الأمة فيكفر أبى بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة لأنهم عنده «من شر الأمة وأكفرهم ويتبرأون منهم. ما عدا سلمان وعمار وأبو ذر والمقداد بن الأسود»[2].

الشيعة الإثنى عشرية وفضائل الأئمة

يطلق عليها أيضًا الجعفرية نسبة إلى الإمام جعفر الصادق، وتكون إثنى عشر إمامة تبدأ بعلى بن أبى طالب وتنتهى بالإمام محمد المنتظر[3] وسنحاول التعرف على آراء ومعتقدات هذه الفرقة فى مسألة الإمامة ثم نتتبع سلسلة الأئمة الستة الأوائل.

وأول ما يقابلنا فى آراء هذه الفرقة هو محاولة نسبة التشيع إلى النبى صلوات الله عليه للحديث الشيعى: «إن مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدًا» وإن كان أهل السنة يروونه بطريقة أخرى.

فكأن النبى ﷺ وهو صاحب الرسالة الإسلامية يليه الرئيس الأول على ابن أبى طالب لأنه كان يلازم الرسول ﷺ ويأخذ عنه العلم ويتلقى التشريع العملى[4].

ويأتى الشيخ محمد كاشف الغطاء بأحاديث أخرى لإثبات نشأة التشيع فى عهد النبى صلوات الله عليه وأنه غارس بذرتها منها «والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٧]، بأن الرسول ﷺ قال لعلى عندئذ: **«ستقوم أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين»**[5].

---

(١) الملل والنحل. جـ١، ص٢١٩. (٢) التنبيه: الملطى. ص٣٧.

(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٢.

(٤) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. جـ٣، ص١٩.

(٥) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها. ص٥٤، ٥٥.

والذى يحدو بالشيخ كاشف الغطاء إلى تأكيده فكرة أن الشيعة ظهرت منذ عهد النبى ﷺ هو التفاف بعض الصحابة حول على وحبهم له، ولكنه يفسر هذا الحب والتجمع بمعنى أكثر تخصيصًا فيعلل التفافهم حوله أو ملازمتهم له بأن جعلوه «إمامًا كمبلغ عن الرسول وشارح ومفسر لتعاليمه وأسرار حكمه وأحكامه»(١).

ولا يوافق على تفسير لفظ «الشيعة» بمعنى الأصحاب والأتباع والمحبين ولكنه يخصص هذه التسمية بدائرة أضيق فيقول: «بل لابد هنا من خصوصية زائدة وهى الاقتداء والمتابعة له بل ومع الالتزام بالمتابعة أيضًا»(٢).

ولكنه لا يغمض الخلفاء الراشدين حقهم فى الاعتراف بالفضل وإنما يقرر بحياد ونزاهة أن السلطة الدينية والمدنية كانت مجتمعة فى الخلفاء الراشدين، ثم انفصلت أحدهما عن الأخرى يوم خلافة معاوية ويزيد(٣).

أما أركان الإسلام عندهم فهى خمسة:

الثلاثة الأولى منها وهى

التوحيد والنبوة والمعاد، فتشمل القضايا الخمس الآتية:

معرفة الخالق، معرفة المبلغ عنه، معرفة ما يعبد به والعمل به، الأخذ بالفضيلة ورفض الرذيلة، الاعتقاد بالمعاد والدينونة.

والركن الرابع هو العمل بالدعائم التى بنى الإسلام عليها وهى خمس: الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد. أى أن الإيمان قول ويقين وعمل.

فهذه الأركان هى أصول الإسلام، والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين(٤).

ثم يقول الشيخ كاشف الغطاء:

ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركنًا خامسًا وهو الاعتقاد بالإمامة(٥).

أى يجب الاعتقاد بأن هذا المنصب إلهى كالنبوة تمامًا لأن الله يختار من شاء ويكلفه برسالة النبوة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾.

---

(١) المصدر السابق: ص٥٥.

(٢) أصل الشيعة وأصولها: ص٥٧

(٣) المرجع عينه: ص٦٢.

(٤) أصل الشيعة وأصولها: ص٧١، ٧٢.

(٥) المرجع السابق: ص٧٣.

فالأنبياء مكلفون من الله والأئمة ينصبون بواسطتهم ، والنبى ﷺ سمع من الله والإمام مبلغ عن النبى، وتسلسل الأئمة فى إثنى عشر إمامًا كل منهم ينص على من يليه وكلهم معصومون لا يجوز عليهم الخطأ ولا الخطيئة لقوله تعالى: ﴿إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين﴾ ولأنه ينبغى أن يكون أعلم وأفضل أهل زمانه حتى يتمكن من تأدية رسالته لأن فاقد الشىء لا يعطيه حيث يقول الله تعالى: ﴿هو الذى بعث فى الأمين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

وعلى هذا فالاعتقاد بالإمامة هو الإيمان بالمعنى الأخص، أما من لا يعتقد بالإمامة فلا يخرج عن الإسلام، ولكن التدين عن طريق الاعتقاد بالإمامة أيضًا يؤهل المؤمن لمنازل القرب والكرامة- لا فى الدنيا لأن المسلمين فيها سوء- ولكن فى الدار الآخرة.

وتتميز الشيعة الإثنى عشرية عن باقى فرق الشيعة بالقول بإمامة الأئمة الإثنى عشر، لاعتمادها فى هذا العدد على الأحاديث النبوية التى منها:

لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم إثنى عشر رجلا، أو: لا يزال الإسلام عزيزًا إلى إثنى عشر خليفة[1].

وقد حرص الشيعة على إظهار فضائل هؤلاء الأئمة الواحد بعد الآخر لأن كل منهم قد نص على إمامة من يليه بعده. وسنعرض لبيان آراء الشيعة فى الأئمة محافظين على التسلسل الذى تورده مؤلفاتهم، وموقف أهل السنة منهم:

١- على بن أبى طالب: (٤٩- ٦٦٠م)

لا يختلف أهل السنة مع الشيعة فى ذكر فضائل هذا الإمام الجليل، ولكن الشيعة تضفى عليه من الخصائص وتنسب إليه من الفضائل ما تحاول به أن تجعله يتبوأ المكان الأول بعد النبى صلوات الله عليه ولا تلقى بالاً إلى باقى الصحابة الذين كان لهم أدوارهم فى نصرة الرسول ﷺ ثم فى خلافته من بعده.

ولكثرة ما وضع الشيعة للإمام على من صفات ومواهب، ولطول ما والوه إمامًا لا يرقى إليه أحد من أصحاب الرسول صلوات الله عليه، أصبحت مشايعتهم، له علمًا عليهم وحدهم مع أن أهل السنة والجماعة لا ينكرون فضله ولا يغمضونه حقه من التقدير والعرفان.

---

(١) أصل الشيعة: ص٧٥.

لهذا يقول الشهرستانى فى تعريف الشيعة: «هم الذين شايعوا عليًا ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصاية إما جليًا وإما خفيًا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده»[١].

وهو عندهم صاحب الكفاءة والاستعداد الذى لا يعلو مرتبتها أحد غيره مما جعله إمامًا هاديًا «وقد عول النبى عليه فى جميع شئونه لاتصافه بصفات الإمامة»[٢].

وأصبح على بن أبى طالب بهذا هو المعلم الأول بعد النبى ﷺ اعتمادًا على الحديث: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»، وإن عليًا هو أول من دون العلم وسبق المسلمين جميعًا بكتابه فى الفقه (قضايا الإمام) الذى كان عند ابن عباس نسخة منه «ينظر فيها لأخذ أهم القضايا فى القضاء عنه»[٣].

ومن العجب أن أهل السنة والجماعة يقرون بمآثر على وفضائله ويذهبون فى هذا السبيل إلى حد إقرار أغلب الأحاديث النبوية المقترنة بإسمه. فقد أورد ابن حجر الهيثمى (المتوفى ٩٧٤هـ- ١٥٦٦م) من مآثر هذا الإمام الكثير مما قد لا نجد من الشيعة ما زاد عليه اللهم إلا بوصفه «سيد الأوصياء» أو هو نفس محمد (كما يلقبه بذلك السيد ﷺ أسد حيدر الشيعى المعاصر).

ومن المآثر والفضائل التى ثبتت عن على بن أبى طالب عند أهل السنة أنه أسلم وهو ابن عشر سنين أو تسع أو دون ذلك ولهذا لم يعبد الأوثان قط لصغر سنه فقيل عنه- كرم الله وجهه- وهو أحد السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ويعد من الشجعان والزهاد والخطباء وأحد جامعى القرآن الكريم وقام بمكة لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، وشهد المعارك كلها إلا غزوة تبوك فكان أميرًا على المدينة حينئذ وأبلى فى المعارك ضد الكفر بلاء حسنًا جعلت منه فارسًا عظيمًا.

وقد عدد له ابن حجر (٩٧٤هـ- ١٥٦٦م) فى (صواعقه) أربعين حديثًا عن النبى ﷺ، أشهرها: **«أما ترض أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى»** و **«من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، «أنت أخى فى الدنيا والآخرة»** و **«من أحب عليًا فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض عليًا فقد أبغضنى ومن**

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص١٩٥.

(٢) أسد حيار: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. جـ٣، ص١٩.

(٣) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة جـ٢، ص٢٧٩.

أبغضنى فقد أبغض الله» وعن القضاء أنه ضرب صدر على بيده ثم قال: **«اللهم اهد قلبه وثبت لسانه»** قال على: «فوالذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين». والحديث الذى قاله الرسول صلوات الله عليه فى مرضه الذى توفى فيه قال: **«إنى تركت فيكم كتاب الله عز وجل وسنتى فاستنطقوا القرآن بسنتى فإنه لن تعمى أبصاركم ولن تزل أقدامكم ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهم ثم قال: أوصيكم بهدية خيرًا وأشار إلى على والعباس، لا يكف عنهما أحد ولا يحفظهما على إلا أعطاه الله نورًا حتى يرد به على يوم القيامة».**

كما أثنى عليه الصحابة والسلف أيضًا فى أقوال كثيرة. منها قول عمر ابن الخطاب: «يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن- أى على». وقول ابن مسعود: «أفضل أهل المدينة وأقضاها على»، وقال عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة: «كان لعلى ما شئت من ضرس قاطع فى العلم وكان له القدم فى الإسلام والصهر برسول الله ﷺ والفقه فى السنة والنجدة فى الحرب والجود فى المال»[1].

وأصبح الإمام على عند الشيعة هو الإمام المعصوم «وأول الأئمة الصابر على الغضب المقتول ظلمًا وعدوانًا»[2].

ولكن الواقع أن ما أضفاه الشيعة على الإمام على من قداسة خاصة تغلو فتذهب إلى تشبيهه بالله أو تقسط فتجعله وصيًا والموهوب بالعلم اللدنى، هذه المرتبة التى رفعها إليه الشيعة- بما فيهم الإثنى عشرية- كانت لها صدى بعيد فى صفوف أهل السنة والجماعة لما لها من مساس بالعقيدة.

وحتى الصورة المعتدلة التى يصور بها الشيعة الإثنى عشرية، نجد فيها آراء غالية. منها ما يقدمه لنا الشيخ محمد آل كاشف الغطاء حيث يقول:

«إمام الشيعة على بن أبى طالب الذى يشهد الثقلان أنه لولا سيفه ومواقفه فى بدر وأحد وحنين والأحزاب ونظارها لما اخضر للإسلام عود وما قام له عمود حتى كان أقل ما قيل فى ذلك ما قاله أحد علماء السنة: «ألا إنما الإسلام لولا حسامه كعفطة عنز أو قلامة ظافر»[3].

---

(١) أحمد بن حجر الهيثمى المكى (٩٧٤هـ- ١٥٦٦م): الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة. ص١١٨ و١٢٥.

(٢) نشأة الفكر: جـ٢، ص٣٦.

(٣) الشيخ محمد كاشف الغطاء: أصل الشعية. ص٢١.

فقد وقف أهل السنة لمثل هذه التشبيهات معترضين، وسلاحهم في هذا الكتاب الكريم، لأن الدين الإسلامى المنزل والذى كلف بتبليغه الرسول صلوات الله عليه خاتم النبيين لا يصح أن يقال عنه أنه لولا على لكان «عطفة عنز أو قلامة ظافر».

إن الاعتراف لعلى بالفضل كبطل من أبطال الجيش الإسلامى واجب على المسلمين جميعًا سنيهم وشيعتهم، وإنما الارتفاع بتأثيره إلى هذه المنزلة بحيث يصبح فعالاً فى الدين الإسلامى نفسه، فهو ما كان موضع اعتراض من أهل السنة. لأنه لولا الإسلام لما كان للعرب- بما فيهم على- شأن يذكر كما يرى جار الله يقول الله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ وفى آية أخرى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ وقوله عز وجل: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا﴾.

ولا سبيل لأحد أن يمن على الله بشىء أداه مهما كان حيث يقول تعالى: ﴿لا تمنوا على إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾. وقوله جل جلاله: ﴿ولن تغنى عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت﴾.

وقد تضمن رد موسى جار الله على النص الآنف الذكر، أنه يرجح أن مثل هذا القول محرف مما جاء على لسان الإمام على: دنياكم عندى كعطفة عنز فى فلاة وهو قول فيه بلاغة فى التشبيه، أما انتحاله فى الإسلام لولا سيف على فلم ولن يرتكبه أحد. إذ لا شرف لعلى وسيفه إلا بإسلامه والإسلام فى شرفه غنى عن العالمين غنى الله»(١).

ويضيف إلى هذا أن أمير المؤمنين على هو أول من يتبرأ من مثل هذا الكلام.

ولكن تعلق الشيعة «بالذات» و «بذات واحدة» وإضفاء القداسة الخاصة عليها أدى إلى تدخل الأسطورة حيث تتبع صاحب المذهب حتى تصبح جزءًا من المذهب(٢).

ويمكننا تحقيق هذا الرأى فيما جمعه الشريف الرضى (٤٠٦هـ- ١٠١٥م) من أساطير حيكت شباكها حول ابن عم الرسول ﷺ. ثم فى روايته للوقائع التاريخية بطريقة أخرى تخالف ما نقلته مصادر أهل السنة، حيث نلاحظ على روايات الشيعة التصوير المسرحى الأخاذ وهو دليل على الاختلاف والإضافة لأن نزعتهم تتدخل فى نقل الأحداث،

---

(١) موسى جار الله: الوشيعة في نقد عقائد الشيعة. طبع النجف الأشرف بالعراق (١٣٥٣هـ- ١٠١٥م).

(٢) نشأة الفكر: جـ٢، ص(هـ، و).

فتضفى عليها ما ليس فيها وتصبغها بالصبغة الشيعية إذ يتبين للباحث من أول وهلة أن رائحة التشيع تهفو منها.

والشريف الرضى فى سرده لوقائع وفاة النبى ﷺ ترك لنا وقائع تختلف تمامًا عما أجمعتَ عليه مصادر أهل السنة، فيذكر أن الرسول صلوات الله عليه عند مرضه عدا عليًا فوضع رأسه فى حجره وأغمى عليه، فلما أتى وقت الصلاة خرجت عائشة- من تلقاء نفسها ودون ما أمر من الرسول ﷺ - فطلبت من عمر أن يصلى بالناس. ودارات مناقشة بينها وين عمر إذ يرى أن أباها أبا بكر أولىَ وتعطيه الحق فى رأيه ولكن ما يمنعها أنه «لين وأكره أن يواثبه القوم» ثم قبل عمر فى النهاية على أن يصلى أبو بكر ويقف هو مدافعًا عنه ليدافع عنه إذا ما تجرأ أحد المسلمين على التوثب عليه. وكانت رغبة عمر أن يسرع أبو بكر بالصلاة قبل أن يفيق الرسول صلوات الله عليه فيأمر عليًا أن يصلى بالناس.

فلما صلى أبو بكر بالناس- دون أمر النبى ﷺ أفاق الرسول ﷺ فأمرهم أن يدعو عمه العباس، فحمله الاثنان- على والعباس- وكأنه ﷺ كره أن يعاونه أحد غيرهما من الصحابة، ثم خطب على المنبر بعد الصلاة خطبة حضرها المهاجرون والأنصار وظل يخطب ساعة ويسكت أخرى.

وتحمل الخطبة فى طياتها على ما اشتملت من معانى عقيدة الإثنى عشرية برمتها إذ يحيطها الشريف الرضى بجو اغتصاب حق على بن أبى طالب بواسطة أبى بكر وعمر وقيام الأول بالصلاة خلافًا لأمر النبى ﷺ وانتهازهما الفرصة لانشغال على بالمرض، ثم أورد فى سياق الخطبة بصورة مفصلة متسقة مع عقائدهم أيما اتفاق. فعلى بن أبى طالب هو وَريث الخلافة لما أتى به القرآن ثم يأتى بعده الأئمة الذين عينهم النبى صلوات الله عليه وسماهم الله عز وجل له. ونلاحظ الطعن فى أهل السنة لأنهم «يبتدعون السنة بالأهواء ويبتغون الضلالة والشورى للجهالة» ثم نلمح مدحًا أيضًا للأئمة آل البيت الذين خرجوا للمطالبة بالإمامة ومناجزة الخلفاء.

بعد هذا كله، لا يجد الباحث صعوبة فى اكتشاف اختلاف أسلوب الخطبة ذاتها ومفرداتها عن خطب النبى ﷺ وأحاديثه التى تركها لنا الثقات إن الخطبة أشبه بثوب مفصل لمذهب الشيعة الإثنى عشرية أحكم نسجه، ولكنه لا يلبث أن ينزع بالعين الفاحصة الناقدة، فيظهر وراءه الانتحال، والوضع كأوضح ما يكون.

٢- الحسن بن على: (٥٠هـ - ٦٧٠م)

وهو الإمام الثانى عند الشيعة. أما أهل السنة فقد اعتبروه آخر الخلفاء الراشدين بنص الحديث: «الخلافة ثلاثون عامًا ثم يكون بعد ذلك الملك»، كما ذكر السيوطى أنه «لم يكن فى الثلاثين إلا أيام الخلفاء الأربعة وأيام الحسن»[١].

ولكن خلافته لم تدم سوى نحو ستة أشهر إذ تنازل عنها لمعاوية حقنًا للدماء، واشترط فى كتاب الصلح الذى وجهه إلى معاوية أن يعمل بكتاب الله وسنة النبى ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده. وأضاف: «وليس لمعاوية ابن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدًا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين»[٢] وأصبح العام الذى تم فيه الصلح بين الاثنين يسمى بعام الجماعة، وتحقق فى الحسن قول الرسول صلوات الله عليه: «إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

ويرى القلقشندى أن فى خلع الحسن لنفسه وتسليمه الخلافة لمعاوية ظهور معجزتين للنبى ﷺ فيما تحقق من الحديثين المتقدمين[٣].

وقد ثار أصحاب الحسن عند تنازله عن بيعتهم إلى معاوية، وكان على رأس الساخطين قيس بن سعد بن عبادة إذ قال له أصحابه: «الحمد لله الذى أخرجه من بيننا فانهض بنا إلى عدونا» ولكنهم لم يلبثوا أن استمعوا إلى صيحة أحدهم: «هذاأميركم قد بايع وهذا الحسن قد صالح فعلام تقتلون أنفسكم»[٤].

وبلغ من سخط أصحاب الحسن عليه أن دعوه «يا عار المؤمنين» أو «يا مذل المؤمنين»، فكان يدافع عن نفسه بقوله:

«العار خير من النار أو- لست بمذل المؤمنين ولكنى كرهت أن أقتلكم على الملك»[٥] ويعتقد الشيعة أن الحسن مات مسمومًا بفعل معاوية بن أبى سفيان، إلا أن أستاذنا الدكتور النشار أتى بنص هام لأقدم مصدر شيعى وهو كتاب المقالات لأبى خلف القمى إذ يقرر أنه مات من جراحته التى أصيب منها بعد محاربة معاوية[٦].

---

(١) ابن حجر: تعليق رقم ٢ بهامش ص١٢٣ من كتاب الصواعق المحرقة (خصائص أمير المؤمنين).

(٢) نفس المرجع: ص١٣٤.

(٣) القلقشندي: مآثر الأناقة فى معالم الخلافة. جـ١، ص١٠٨ (متوفى فى ٨٢١هـ).

(٤) الأصفهانى: مقاتل الطالبيين. ص٦٥. (٥) ابن حجر: الصواعق. ص١٣٥.

(٦) نشأة الفكر: جـ٢، ص٣٧.

أما البغدادى فيرى أن سبب مصالحته لمعاوية يرجع إلى غدر أحد أتباعه إذ طعنه فى جنبه فصرعه[1].

ويذكر النبوختى أن أتباع الحسن خالفوه وطعنوا فيه عندما صالح معاوية وتنازل له عن الخلافة، وانعكس تأثير هذا السخط على أحدهم ويدعى (الجراح ابن سنان) الذى طعنه فى فخذه قائلاً له: «اللَّه أكبر أشركت كما أشرك أبوك من قبل»[2].

ولكن يبدو من هذا النص أن قائله لابد وأن يكون من الخوارج وليس من أتباعه أو يحتمل انضمامه إليهم خفية وهو يضمر فى نفسه العداء له كما كان يحمل الخوارج العداء لأبيه.

ويعتبر النوبختى أن أتباع الحسن تشكل «فرقة»، إذ أنها تقلب القول بإمامته بعد موته إلى القول بإمامة أخيه الحسن ثم أخذتها الحيرة بمقتل الحسين لأنه اختلط عليها ما أداه كل من الحسن وأخيه الحسين وأيهما المصيب وأيهما المخطىء.

هل أصاب الحسن عندما وادع معاوية بالرغم من عجز الأخير عن محاربة الحسن لكثرة أنصاره وأتباعه أم كان خطئًا؟ وبالمثل، هل كان الحسين فى قتاله ليزيد مخطئًا أم مصيبًا مع ضعف أنصار الحسين وقلتهم وكثرة جنود يزيد ابن معاوية؟

وعلى هذا فإنهم شكوا فى إمامتهم معًا، لأن الحسين لو لم يحارب يزيد لكان عذره أكثر قبولاً وسبب قعوده عن محاربته أكثر وضوحًا من طلب الصلح والموادعة الذى تم من الحسن لمعاوية.

ثم افترقوا بعد استشهاد الحسين إلى ثلاث فرق: أولها من قالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه أقرب الناس إلى أمير المؤمنين على بعد الحسن والحسين وأنه أولى بالإمامة كما كان الحسين أولى بها بعد الحسن. وفرقة ثانية ادعت أن محمد بن الحنفية هو الإمام المهدى وصى على بن أبى طالب «وليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سيفه إلا بإذنه»[3] واستدلوا على ذلك من أن تنازل الحسن لمعاوية ثم بعد موافقة أخيه محمد بن الحنفية على المصالحة بعد أن صرح له من قبل بمحاربته، وكذلك فعل مع الحسين حيث صرح له بمقاتلة يزيد «ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا وأن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك»[4].

ثم ظهرت بوادر الغلو على أثر وفاة محمد بن الحنفية إذ قال بعض أتباعه أنه لم يمت ولن

---

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق. ص٢٦.
(٢) النبوختى: فرق الشيعة. ص٢٤.
(٣) النوبختى: فرق الشيعة. ص٢٦.
(٤) النوبختى: فرق الشيعة. ص٦٢.

يموت «ولكنه غاب ولا يدرى أين هو وسيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه»(١).

٣- الحسين بن على: (٦١هـ - ٦٨٠م)

اعتبر الحسين سيد شهداء الشيعة، وكان مقتله، أكبر حادث فى تاريخ الإسلام السياسى والروحى(٢).

ومن الأحاديث التى رويت عن النبى ﷺ فى ذكر الحسين قوله ﷺ: **«حسين منى وأنا منه أحب الله من أحب حسينًا، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»**(٣).

وقد نسج الخيال الشيعى خيوطه حول مأساة مقتل الحسين، فمن الآثار الأسطورية لهذه الموقعة أن آفاق السماء أحمرت لمدة ستة أشهر، أو أن الحمرة لم تكن تظهر قبل مقتل الحسين، أو أن الله تعالى قد أظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهارًا لعظم الجناية(٤).

ولكن الثابت أن الحسين قاتل بشجاعة بالرغم من قلة عدد المحاربين فى صفه، كما يجمع الرواة على أن من كاتبوه وبايعوه أخلفوا وعدهم وبيعتهم، وأن المخلصين له قد نصحوه بعدم الخروج لمحاربة يزيد بن معاوية ولكنه أبى.

ويعطى الفرزدق صورة دقيقة لماحة للموقف إذ قال للحسين:

«سقطت يا ابن رسول الله ﷺ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء»(٥).

ولكن الحسين تقدم بشجاعة نادرة ينشد:

أنا ابن على الحبر من آل هاشم ... كفانى بهذا مفخرًا حين أفتخر

وجدى رسول الله أكرم من مشى ... ونحن سراج الله فى الناس يزهر

وفاطمة أمى سلالة أحمد ... وعمى يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقًا ... وفينا الهدى والوحى والخير يذكر(٦)

وثبت فى المعركة دون خوف أو وجل مما أصبح قدوة لحركة التوابين حين قامت لتقتص من قاتليه. وكان لخذلان أهل الكوفة له صدى بعيد فى نفوس الشيعة لزمن طويل.

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٧.
(٢) نشأة الفكر: جـ٢، ص٣٨.
(٣) المرجع السابق: ص١٩٢.
(٤) ابن حجر: الصواعق المحرقة. ص١٩٠.
(٥، ٦) الصواعق المحرقة: ص١٩٤، ١٩٥.

فحتى أولئك الذين بعثوا بالكتب والبيعة إلى الحسين خذلوه فى اللحظات الحاسمة، وتخلوا عنه وتركوه إلى مصيره من قتل وإهانة وتمثيل بجسده، فلا عرو أن يجد الحسين نفسه فى النهاية بين أفراد قلائلا من الأصحاب وأهل بيته وهم تسعون بين رجل وامرأة[١] أن يطلب الكف عن القتال فيما يروى ابن قتيبة فقال لعمرو بن سعيد الذى أرسله لعبيد الله بن زياد لقتالهم: «يا عمرو اختر منى ثلاث خصال إماأن تتركنى أرجع كما جئت فإن أبيت هذه فأخرى سيرنى إلى الترك أقاتلهم حتى أموت أو تسيرنى إلى يزيد فأضع يدى فى يده فيحكم فى بما يريد»[٢].

ولم يخرج مع الحسين إلا عدد قليل جدًا من أهل المدينة كما لم يناصره أهل الكوفة بل خذلوه ساعة المحنة وتركوه يلقى مصيره وحده مما دفع الحمية ببعض جند أعدائه إلى الالتحاق بجيشه والقتال دفاعًا عنه لأنهم استنكروا أن «يعرض ابن بنت رسول الله ثلاث خصال فلا يقبل أعداءه واحدة منها»[٣].

إن البعض بعث الكتب إلى الحسين ثم لم يفعلوا شيئًا إلا أن يرقبوا المعركة من بعيد، وقلة منهم هم الذين آزروه وناصروه، ثم قتل غيلة وغدرًا.. كل هذا خلق الشعور بالذنب، هذا الإحساس هو الذى دفع «هؤلاء الشيعة إلى القتال والموت»[٤] ثم كانت المعين الذى لا ينضب للأساطير والروايات الشيعية، وأحد أسباب الغلو التى ظهرت بعد ذلك لتفتح الطريق للمذاهب والأفكار أن تنفذ إلى قلوب الشيعة وعقولهم.

فلم تكن المحبة فى أول أمرها للبيت النبوى إلا عاطفة رقيقة، ولكن مصرع الحسين بهذه الصورة المروعة حول هذه العاطفة فكبرت وتضخمت ثم تحولت إلى عقيدة نال منها الغلو والتطرف حينا وابتعد عنها أحيانًا. ولكنها ظلت تلتقط الأفكار والنظريات لتخلق منها تكئة لهذه المعتقدات.

والمتتبع لسياق الأحداث بما أجمع عليه المؤرخون والباحثون من ملاحظة تخلف أنصاره بالكوفة عن القتال معه، لا يجد صعوبة فى الاستنتاج بأن الصياغة التى تمت للمذهب الشيعى بصورته الفلسفية فى أيام جعفر الصادق كانت فى الحقيقة صدى لهذه

---

(١) لابن قتيبة: الإمامة والسياسة. جـ٢، ص٤، ويقول ابن حجر فى الصواعق ص١٩٥: ومعه من اخوته وأهله نيف وثمانون نفسًا.

(٢) الصواعق المحرقة: ص٥.　　(٣) نفس المصدر: ص٥.

(٤) الخوارج والشيعة: فلهوزن. ص١٩٦.

المعركة الطاحنة التى ذهب ضحيتها ابن بنت رسول الله صلوات الله عليه.

ويرى ابن تيمية أن الاختلاف فى شأن مقتل الحسين تفرق إلى ثلاث وجهات نظر منها أن قتله كان حقًا لأنه شق عصا المسلمين وفرق جماعتهم بينما ينص الحديث النبوى على أن: **«من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه»** فقاسوا الأمر على ما فعله الحسين ولهذا يعد أول خارج على ولاة الأمر فى الإسلام، ولكن الشيعة ترى إنه كان الإمام الواجب طاعته الذى لا يتم أمر من أمور الدين من جهاد أو صلاة إلا به.

وكلا الرأيين متطرفان.

أما المذهب الوسط- وهو مذهب أهل السنة والجماعة- فيعتبر أن الحسين قتل شهيدًا مظلومًا ولا ينطبق عليه الحديث السابق ذكره، لأنه «طلب أن يذهب إلى يزيد أو إلى الثغر أو إلى بلده فلم يمكنوه وطلبوا منه أن يستأشر لهم وهذا لم يكن واجبًا عليه»(١).

وكان مقتل الحسين فرصة سانحة لظهور البدع، فهناك بدعة الحزن والنواح ولطم الخدود يوم عاشوراء وما يفضى إلى ذلك من لعن السلف وقراءة أخبار مقتله بكثير من التحريف والتهويل مما يفتح باب الفتنة بين الأمة الإسلامية.

ومقابل النواح والعويل كان يفرح قوم من الناصبة أعداء أمير المؤمنين على وأولاده كالحجاج بن يوسف الثقفى وأختلفت الأحاديث حيث رووا «من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته» (وهو حديث لا إسناد ثابت له كما يقول ابن حنبل).

ويأتى ابن تيمية بحادثة نقل رأس الحسين إلى يزيد كما رواه البخارى فى صحيحه عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك، ونقلت بواسطة أبى نعيم عن ابن عمر، ثم يطعن فى صحة الحادثة ودليله على ذلك أن هؤلاء الصحابة الذين حضروا واقعة قيام يزيد بالنكت على ثنايا الحسين لم يكونوا بالشام بل كانوا بالعراق. ويرى أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين إذ لا غرض له من قتله وإنما أراد أن يكرمه كما أمره بذلك أبوه معاوية. ولما وجد الحسين أن أهل العراق خذلوه ويودون تسليمه إلى يزيد طلب أن يرجع إلى بلده أو يقابل يزيد أو يذهب إلى الثغر فمنعوه وقاتلوه حتى قتل شهيدًا مظلومًا.

بل: «إن خبر قتله لما بلغ يزيد وأهله ساءهم ذلك وبكوا على قتله وقال يزيد: لعن الله ابن مرجانة يعنى عبيد الله بن زياد أما والله لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله (.. قد

---

(١) منهاج السنة: جـ٢، ص٢٤٧، ٢٤٨.

كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين»[1].

ويعيب ابن تيمية على يزيد أنه لم يثأر للحسين ولم يقتل قاتله، ولكنه فى الوقت نفسه يطعن إلى الأخبار التى تروى عن سبى نساء الحسين، ويرجع مصدرها إلى أهل الهوى والجهل لأنه لم يحدث قط أن سبى المسلمون هاشمية كما لم تستحل أمة محمد ﷺ أبداً سبى نساء بنى هاشم.

وخطأ الفهم عن تصديق مثل هذه الأخبار يرجع إلى عدم التفرقة بين ما قيل من أن- الحجاج قتل الأشراف، وبين بنى هاشم. ويمكن تفسير ذلك من الخلط بين الأشخاص المنتمين حقيقة إلى بنى هاشم وبين البعض الآخر الذى يدعى كذباً أنه علوى بينما نسبه مطعون فيه.

وينفى ابن تيمية قاطعاً أن الحجاج قتل أحداً من بنى هاشم مع كثرة قتله لغيرهم. والذى يساعد ابن تيمية فى وصوله إلى هذا الجزم أن عبد الملك كتب إلى الحجاج يقول له: «إياك وبنى هاشم أن تتعرض لهم فقد رأيت بنى حرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم»[2].

فإذا قيل أن الحجاج قد قتل كثيراً من أشراف العرب فيجب أن ينصرف المعنى إلى سادات العرب، ولكن الحلى ظن خطأ أن الأشراف بمعنى بنى هاشم لأن اصطلاح الأشراف فى مفهومه لا تخرج عن بنى هاشم، بينما الأشراف عند بعض البلاد هم أولاد العباس وفى بعض هم أولاد على.

فالمسلمون كانوا يوقرون بنى هاشم ويعظمون كل من ينتمى إليهم بدليل أن الحجاج تزوج ببنت عبد اللّٰه بن جعفر فلم يقبل ذلك بنو أمية ونزعوها منه لأنهم يعظمون شأن بنى هاشم.

فلم يطف برأس الحسين ولم يقم يزيد بسبى عياله بل أنهم عندما دخلوا بيته قامت النساء نائحات باكيات، وأكرمهم يزيد وأحسن وفادتهم وخيرهم بين الإقامة عنده أو السكن بالمدينة فاختاروا الرجوع.

فكل ما قيل غير هذا فهو تلفيق وكذب.

أما قتل الحسين فهو بلا ريب من أعظم الذنوب وإن «فاعل ذلك والراضى به والمعين

---

(١) منهاج السنة: ص٢٤٩. (٢) منهاج السنة جـ٢، ص٢٤٩.

عليه يستحق لعقاب الله الذى يستحقه أمثاله»[1] ولكنه فى نفس الوقت ليس أفدح من وقع فى قتل من قبل من النبيين وقتلى المسلمين الأولين فى معاركهم الطاحنة ضد المشركين كشهداء وقتلى حرب مسيلمة الكذاب، وقتل عثمان وقتل أبيه على بن أبى طالب حيث ظن قاتلوه أنهم يتقربون إلى الله بقتله لأنه فى اعتقادهم كافر. أما المحاربون للحسين فلم يعتقدوا كفره بل وأكثرهم قتله «لكن قتلوه لغرضهم كما يقتل الناس بعضهم بعضًا على الملك»[2].

أما الترهات التى تحكى عن أمطار السماء دمًا وظهور الحمرة فى السماء منذ ذلك الوقت فإنها محض هراء لأن سبب هذه الحمرة طبيعى عندما تكون الشمس فى منزل الشفقة.

ويفند ابن تيمية ما يقوله الشيعة من إكثاره الوصية للمسلمين فى ولديه الحسن والحسين بحديثه: هؤلاء وديعتى عندكم وأنزل الله فيهم: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ ويورده على أسباب ثلاثة:

إنه يقر أولاً بالحق الواجب للحسن والحسين، ويستشهد بخطبة النبى ﷺ بغدير خم الواقع بين مكة والمدينة حيث قال: **«إنى تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله وعترتى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى»** فالحسن والحسين من أعظم أهل بيته اختصاصًا به لأنه وزع كساءه على على وفاطمة والحسن والحسين ثم قال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»**.

ولكنه لا يؤيد صحة الحديث الذى يعتبر الحسن والحسين وديعة بين المسلمين لأنه غير مدون بكتب الحديث المعتمدة، ولأن الحفظ لا يكون إلا للمال لا للرجال وإن كان يقصد كما يستودع الرجل أطفاله لمن يربيهم ويحفظهم فإنهما كانا قد بلغا مبلغ الرجال وأصبح كل منهما مسئولاً عن نفسه. والنبى ﷺ أعظم من يودعهما لمخلوق، وإن «أراك أن الأمة- تحفظهما وتحرسهما فالله خير حافظت وهو أرحم الراحمين»[3].

النقطة الثالثة التى يستند إليها ابن تيمية فى تدعيم وجهة نظره أن الآية: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ من سورة الشورى وهى مكية نزلت قبل أن يتزوج على بفاطمة وقبل أن يولد الحسن والحسين. فالثابت أن عليًا تزوج فاطمة فى المدينة فى

(١) نفس المصدر السابق والصفحة. (٢) منهاج السنة: جـ٢، ص٢٤٩.

(٣) المصدر السابق: ص٢٥٠، ٢٥١.

العام الثانى من الهجرة. وقد بين ابن عباس أنه ما من قبيلة من قريش إلا وبينها وبين الرسول ﷺ قرابة، فمعنى هذه الآية: ﴿لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ «إلا أن تودونى فى القرابة التى بينى وبينكم» ولم يقصد بها عليًا وفاطمة وأبناءهما على وجه التحديد كما ذكرت بعض المصادر خطأ لأن سورة الشورى جميعها مكية، بينما ولد الحسن سنة ثلاث من الهجرة فى منتصف رمضان، وولد الحسين فى الخامس من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة[1].

٤- على زين العابدين: (٩٤أو٩٥هـ - ٧١٢أو٧١٣م)

أنه من سلالة فاطمة الزهراء، وابن الحسين بن على بن أبى طالب الذى نجا من المعركة التى استشهد فيها أبوه، حتى تبقى ذرة الحسين فى عقبه.

فكما اختلفت الشيعة على أثر مقتل الحسين فانحاز بعضهم إلى محمد ابن الحنفية بينما رأى البعض الآخر انتقال الإمامة إلى على بن الحسين هذا، فقد تنازعته الفرق فيما بينها وضمه أهل السنة والجماعة إلى صفوفهم، واعتبرته الشيعة الإثنى عشرية أحد أئمتهم الذين انتقلت إليهم الإمامة الروحية بعد أبيه الحسين.

أما الشيعة الإثنى عشرية، فإنه تمشيا مع المذهب الذى التقط فى نشأته وتطوره كثيرًا من الأساطير والآراء الغالية، فقد أرجع إمامته- دون عمه محمد ابن الحنفية- إلى نتيجة التحكيم عند الحجر الأسود حيث نطق الحجر «إنه الإمام الحق»[2] فأصبح هو الإمام بعد أبيه الحسين.

وأضافوا إليه العلم بالغيبيات، إذ علم بالكتاب الذى كتبه عبد الملك للحجاج ينهاه فيه عن اجتناب دماء بنى عبد المطلب، فذكره محدد لليوم والنص حتى بهت عبد الملك عندما اكتشف صحة تنبؤه «فسأله أن لا يخليه مع صالح دعائه»[3].

وبحكم نشأة هذا العابد الفذ فى ظل الأحزان والمكابدة والآلام، ألقى بنفسه فى بحر العبادة، وهام مع عبوديته لربه فكان «إذا توضأ للصلاة أصفر لونه، فقيل له فى ذلك فقال: ألا تدرون بين يدى من أقف؟»[4].

---

(١) منهاج السنة: جـ٢، ص٢٥٠، ٢١٥.   (٢) دونلدسن: عقيدة الشيعة. ص١١٨.

(٣) ابن حجر الهيثمى: الصواعق المحرقة. ص١٩٨.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

إنه لجأ إلى العبادة بعيدًا عن هذا المعترك السياسى المضطرب بالأحداث على أثر مقتل أبيه الحسين، وثورة المدينة ومكة فى وجه الحكم الأموى.

وقد أنقذ على بن الحسين الكثيرين من أهل المدينة بمصالحته وبيعته لمسلم ابن عقبة. وعندما مات يزيد بن معاوية لجأ إليه العراقيون يحاولون جذبه إلى نفس المنزلق الذى وقع فيه أبوه وجده، ولكن «الحوادث كانت قد صقلته صقلاً نهائيًا»[1] فأبى.

وظلت قلوب المسلمين من حوله تتطلع إليه حبًا فى السلالة الطاهرة التى تفرع منها، فلا غرو أن يعرفه الكافة عندما أراد الوصول إلى الحجر الأسود تكملة لمناسك الحج فتفسح له الطريق، وكانت مناسبة التقطها الفرزدق ليعرف بها فى قصيدته المشهورة هشام بن عبد الملك الذى لم يلق إليه المسلمون بالاً وهو ابن ذى السلطان.

قال الفرزدق:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذرة العز التى قصرت	عن نيلها عرب الإسلام والعجم

ولكن العاطفة لم تكن تظل بصورتها التلقائية نحوه ونحو أهل البيت النبوى إذ مشى فيها وباء الغلو والتطرف، فلما تناهى إلى سمعه بعضها وقف فى وجهها بشدة وتبرأ من معتنقيها.

فمن أقواله لبعض الشيعة

«أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح حبكم حتى صار علينا عارًا وحتى بغضتمونا إلى الناس»[2].

وهو بمثل هذا القول، وبأقوال أخرى أوردها الأستاذ الدكتور النشار، يمكن أن نصل إلى نفس الاستنتاج الذى استخلصه من تلك النصوص، وهو أن نظرة أهل البيت لأنفسهم لم تكن أبدًا بالصورة التى تناقلتها الشيعة– خاصة المتطرفين منهم– كذلك رأيهم فى الصحابة الأولين فكانوا موضع إجلال وإكبار لا محل سخط ولعن. «ولا عجب أن نراه يتولى أصحاب محمد رسول الله ﷺ ويدعو لهم فى الصحيفة السجادية المنسوبة إليه، وأن

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١١٨.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص٢٦،

نرى ابنه الإمام زيداً يتابع سنة أبيه ويختلف مع غلاة الشيعة فى الكوفة فيما بعد حين يتولى الشيخين»[١].

ويذهب الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة إلى مثل هذا الرأى مستخلصًا إياه من الرواية التى ذكرها ابن كثير فى «البداية والنهاية»، وخلاصتها أن على ابن الحسين جلس إلى قوم من أهل العراق فنالوا من أبى بكر وعمر فسألهم: أأنتم من المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله؟ قالوا: لا، فسألهم ثانية: أفأنتم من الذين ﴿تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾ فأجابوا بالنفى للمرة الثانية فقال لهم: أما أنتم قد أقررتم على أنفسكم وشهدتم على أنفسكم إنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله فيهم: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾ فقوموا عنى لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله.

وإن كانت هذه الرواية منسوبة إلى محمد الباقر بن على زين العابدين فإن الأستاذ الشيخ أبو زهرة يرى احتمال تكرر الواقعة مع الأب والابن فتكرر معها القول[٢].

فلا عجب إذًا أن يضع على زين العابدين نفسه فى تيار السنة العام، لأنه استنكر الغلو فى حب أهل البيت النبوى فنسبت إليهم العصمة والقداسة، ولأنه أيضًا كان من تلاميذ العالمين الكبيرين: سعيد بن المسيب، وسعيد ابن جبير[٣].

ولهذا لم تضعه الشيعة المعاصرة له فى سلسلة الأئمة الخالدين أو المعصومين أو الراجعين كما يقول أستاذنا الدكتور النشار حيث قطع الطريق أمام كل غال بطراز حياته التى قضاها متعبداً حتى أطلق عليه «زين العابدين».

وقد وصل أستاذنا الدكتو النشار فى بحثه عن حياة هذا العابد التقى الإيمان إلى نتائج هامة تتلخص فيما يلى:

أولاً: أنه لم يختلف مع ابن عمه محمد بن الحنفية وأن أسطورة الاحتكام إلى الحجر الأسود ما هى إلا محض افتراء.

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٢٦. (٢) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص٢٦.

(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٢٦.

ثانيًا: لقد اتسم حقًا بالحزن وعرف بكثرة البكاء حتى عد أحد البكائين الخمسة بعد آدم ونوح ويوسف ويحيى وفاطمة إلا أنه لم يعرف فى حزنه المقت والضغينة الذى انقلب إليه حزن الشيعة المتأخرين.

ثالثًا: من الخطأ القول بأنه وضع نظامًا معينًا للزهد، وأن الصحيفة السجادية المنسوبة إليه موضوعة بواسطة الشيعة المتأخرين.

رابعًا: شهر السلاح فى وجه أنواع الغلو كلها وكره الكلام العقلى[(١)].

٥- محمد الباقر: (١١٣- ٧٣١م)

كان أبوه على زين العابدين علمًا على العبادة والتقوى ثم أصبح من بعده ابنه الباقر رمزًا للعلم الذى تفرغ له فى عزلته بالمدينة. وسمى الباقر لتبقره بالعلم أو لأنه بقر العلم بقرًا[(٢)].

ونسبت إليه الشيعة آراء فى نظرية الإمامة حيث أكد صفة الإمام الروحية، ووراثة النبى ﷺ لعلم الأنبياء ورثها الباقر عنه مع انتقال الإمامة الروحية إليه ثم تروى القصص الكثيرة عن مقدرته على إحياء الموتى وإبراء الأكمة بإذن الله.

ومن أقواله التى ينسبها إليه الشيعة، أن الوحى المنزل على النبى ﷺ يختلف عما هو منزل على الإمام، فالنبى ﷺ ربما سمع الكلام أو رأى الشخص (أى جبريل عليه السلام) ولم يسمع، أما الإمام فهو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص. كما أن الأئمة معصومون وبهم ينظر الله إلى الناس بعين الرحمة ولولاهم لهلك الناس[(٣)].

ويذكر السيد أسد حيدر أن حركة الغلاة الهدامة كانت تقوم على إسناد الأحاديث الكاذبة إلى الباقر وابنه الصادق بعده. فممن أسند إليه المغيرة بن سعيد ادعى الاتصال به- أى بالباقر- وأخذ يروى عنه الأحاديث المكذوبة، فلما علم الإمام الصادق بخبره نهى عن تصديقه بقوله: «لا تقبلوا علينا حديثًا إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهدًا من أحاديثنا المتقدمة فإن المغيرة ابن سعيد لعنه الله دس فى كتب أصحاب أبى أحاديث لم يحدث بها»[(٤)].

ويبدو أن الغلاة انتهزوا فرصة إحاطته بعلوم الفقه والحديث، وكثرة عدد من يقصده من العلماء المستفسرين عما استشكل عليهم من أمور، ليدسوا ما شاء لهم الدس. فإن

(١) نشأة الفكر: من ص١١٧ إلى ص ١٣٣. (٢) دونلدس: عقيدة الشيعة. ص١٢٤.
(٣) المرجع السابق نفس الصحفة.
(٤) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. جـ٢، ص٤٠، ٤١.

الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة يؤيد أن مجلسه العلمى كان يضم العلماء من كل حدب وصوب مع اختلاف المذاهب والأهواء، فمن زواره علماء يتشيعون لآل البيت، وآخرين من أهل السنة (منهم الإمام أبو حنيفة) وبعض الغلاة الذين أفرطوا فى تشيعهم «فكان يبين لهم الحق، فإن اهتدوا أخذ بيدهم إلى الحق الكامل وإن استمروا على غيهم صدهم، وأخرجهم من مجلسه»[1].

وكان الإمام الباقر يجل الصحابة وينهى عن الإساءة إليهم، وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر فيقول: «من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر فقد جهل السنة»[2]، كما أعلن البراءة ممن يتناولهما ويزعم أنه يحب أهل البيت النبوى.

إلا أن الشيعة الإمامية يرون أن الإمام الباقر هو واضع علم الأصول وليس الشافعى وإن اعترفوا للشافعى بأنه ألف فى الأصول ووسع دائرة بحثه، لكنه جاء متأخرًا عن مصنفى الشيعة. ويذهب السيد أسد حيدر فى هذا المعنى إلى أن «هشام بن الحكم كان أسبق من الشافعى لأنه ألف مباحث الألفاظ من الأوامر والنواهى والبيان والنسخ وغير ذلك الذى تلقى معلوماتها عن أستاذه الإمام الصادق قبل ولادة الشافعى»[3].

ولا ينقض الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة هذا القول، ولكنه يميل إلى أن آثار الإمامين الباقر وبعده الصادق كانت من إملائهما أو مذكراتهما لتلاميذهما «وليس تدوينًا مبوبًا مرتبًا كرسالة الشافعى التى أثرت عنه»[4].

ويقر ابن تيمية أن الباقر كان من «خيار أهل العلم والدين» ولكنه لا يرى أنه «اعلم أهل زمانه» كما يسميه الحلى، لأن الزهرى عند ابن تيمية- وهو من أقران الإمام الباقر- أعلم منه[5].

وقد تعرضَ أستاذنا الدكتور النشار إلى الأحاديث المنسوبة إلى الإمام الباقر وفندها تفنيدًا علميًا. ومن هذه الأقوال تعليل الحاجة إلى الإمام لكى يرفع اللّه العذاب عن أهل الأرض، ثم الحديث الخطير المنسوب إليه على وجه طاعة المسلمين لأمير المؤمنين على حتى فى حياة الرسول ﷺ «ولكنه صمت فلم يتكلم فى حياة الرسول ﷺ».

(١) الشيخ محمد زبو زهرة: الإمام الصادق. ص٢٢.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام الصادق ص٢٤.

(٣) أسد حيدر: الإمام الصادق. جـ٢، ص٢٦.

(٤) أبى زهرة :الإمام الصادق. ص١٧.

(٥) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٣٦.

يقول الأستاذ الدكتور النشار: «إن صح حقًا أنه دعا إليهم- أى نظرية الإمام الصامت والإمام الناطق- فقد دعا إلى نظرية أو وضع أساسًا لنظرية من أدق النظريات الغنوصية والتى استخدمت لدى الإسماعيلية. والغلاة فيما بعد»(١).

ولكن مكانة الإمام الباقر البارزة بين المحدثين الذين يلتزمون بالقرآن والسنة، تنفى عنه التأثر بأى مؤثرات خارجية- مثل هذا الأثر الغنوصى الواضح- لأن عالم الحديث الحق «يتحرى الحديث تحريًا علميًا»(٢).

فمن الواضح إذًا أن مثل هذه الأقوال منسوبة إليه بواسطة الغلاة.

وبصرف النظر عن تعدد الفرق الشيعية واختلاف حلها وعقائدها- وهى الظاهرة الملحوظة من واقع المصادر كلها، فإننا سنلتزم بالسياق الذى يضم سلسلة الأئمة، فننتقل إلى الإمام جعفر الصادق، ثم نعالج بعده بشىء من التفصيل المذهب الزيدى لصلته القريبة بنظرية أهل السنة والجماعة فى الإمامة.

٦- الإمام جعفر الصادق: (١٤٨هـ- ٧٦٥م)

هو أبو عبيد الله بن جعفر بن محمد، يعتبره الشهرستانى ذا علم غزير وورع تام عن الشهوات ويسرد موجزًا لتاريخ حياته المتصل بدعوى الإمامة، فيخبرنا أنه أقام بالمدينة يفيض من علومه على الموالين له، فلما انتقل للعراق لم ينازع أحدًا فى الخلافة ولم يتعرض لها. ثم يفسر عزوفه عن الخلافة بتعليل دقيق رائع فيقول:

«ومن غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط، ومن تعلى إلى ذرة الحقيقة لم يخف من حط وقيل من آنس بالله توحش عن الناس، ومن استأنس بغير الله نهبه الواسوس»(٣).

هذا ما يقوله الشهرستانى. ورأيه فى هذه النقطة يعبر عن رأى جمهور أهل السنة الذين يقولون: «إنه لم يكن خليفة ولم يطالب بها ولم ينازع» ولكن الشيعة لهم رأى آخر، فهو عندهم لم يخرج داعيًا لنفسه لأنه عمل بمبدأ التقية، فنقلوا عنه قوله: «التقية دينى ودين آبائى»(٤).

ولكن الأستاذ الشيخ أبو زهرة ينفى عن الإمام الصادق مطالبته بالإمامة بالرغم من

(١) نشأة الفكر: جـ٢ ص١٣٦. (٢) منهاج السنة: ١٤٢. نشأة الفكر: جـ٢.

(٣) الملل والنحل: جـ١، ص٢٧٢.

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام الصادق (حياته وعصره وآراؤه وفقهه) ص٤٠.

أن المتشيعين له بالعراق كانوا ينادون به إماماً، ذلك لأنه رأى خذلانهم لعمه الإمام زيد زيد ثم قتله وصلبه بطريقة منكرة فعلم أن الشيعة فى عصره يحرضونه ولن ينصروه. واستكملت تجربة الإمام زيد حلقاتها بإستشهاد كل من محمد بن عبد الله بن الحسين فى المدينة وأخيه إبراهيم بالعراق فأثرت فى نفسه وعزف عن السياسة لاجئًا إلى العلوم يغترف من منابعها(١).

وقد اشتهر الإمام الصادق بعلمه الغزير، ويذهب الشيعة إلى أن مدرسته بالمدينة كانت جامعة كبرى تجذب إليها العلماء من أجزاء العالم الإسلامى، وينسبون إليه العلم الموروث عن جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وأنه لم يجهل الإجابة على أى سؤال وجه إليه، فمن أقواله التى ينسبونها إليه: «سلونى قبل أن تفقدونى فإنه لا يحدثكم أحد بمثل حديثى»(٢).

ولهذا أصبح الجعفر الصادق عند الشيعة هو الذى قام «بنشر الإمامية والمعارف الحقيقية والعقائد اليقينية»(٣).

ولا يعارض أهل السنة فى وضع الإمام الصادق فى المكانة العلمية الممتازة التى يستحقها فهو عند إمام أهل السنة والجماعة- ابن تيمية- من خيار أهل العلم ولكنه مع هذا لا يوافق على العبارة السابقة التى أوردها الحلى، لأنها تعنى إما أنه ابتدع فى العلم أو أن السابقين عليه قصروا فيه.

وفى اعتقاد مثل هذا التفسير شك فى أن النبى ﷺ قد أوضح لأمته المعارف الحقيقية والعقائد اليقينية، وهو ما لم يحدث.

فإذا جعلت الشيعة للإمام الصادق هذا الدور الذى نسبوه إليه، فإنه يعنى القدح فى الرسول ﷺأصحابه، فمثل هذه الاعتقادات إذًا دخيلة على الإمام جعفر ومنسوبة إليه كذبًا كأنواع الأكاذيب الأخرى مثل الجفر أو رسائل إخوان الصفا وغيرها المنسوبة إليه خطأ(٤).

أما ما عرف عن الإمام الصادق من تنبؤاته بالأحداث المقبلة، فيفسرها أهل السنة بأنها من قبيل الإشراق النفسى. ولا يوافق الأستاذ الشيخ أبو زهرة على ما تذهب إليه الشيعة فى اعتقادها بأن علم الإمام الصادق كان إشراقيًا خالصًا وليس كسبيًا، ومع أنه لا يبخسه حظه من درجة الإشراق الروحى، إلا أنه يعتبره إمامًا مجتهدًا.

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: ص٤٢.

(٢) أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة. جـ٣، ص٢١.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة. جـ٢، ص١٢٤.

(٤) منهاج السنة: جـ٢، ص ١٢٤.

ومما يؤيد هذا

أولاً: يبنى الشيعة عقيدتهم فى أن علم الإمام جعفر إلهامى على مقدمتين: أولهما أن شريعة الله واحدة لكل زمان ومكان، وهو عز وجل رحيم بعباده لم يتركهم هملاً بل ترك فيهم هاديًا ومرشدًا حتى لا يقعوا فى الاختلاف، وهو الإمام الذى يبين الشريعة ويهدى إلى السبيل الذى يسلكونه فيما يجد لهم من أحداث. ومن هذا تتفتق المقدمة الثانية فلابد أن يكون هذا الإمام معصومًا وإلا لما كان ظاهر الحجة، وأصبح كغيره من العلماء وليس قائمًا بحجة الله تعالى فى الأرض»[١].

ونتيجة المقدمتين فإن الإمام معصوم عن الخطأ، يتلقى العلم بالإلهام، وبوصية من أسلافه.

ولا يسلم الأستاذ الشيخ أبو زهرة بهاتين المقدمتين لأن «أقصى ما تدل عليه حاجة الناس إلى مفسر للشريعة مستنبط لأحكامها. وقد قرر ذلك العلماء»[٢].

ولا تدعو الحاجة إلى وجود ملهم بقدر ما تقتضى الحوادث وجود عالم بالكتاب والسنة ، وإن كان هذا سيدعو إلى الاختلاق فى الفروع مما لا ضرر فيه، فالحلول الفقهية على اختلافها شبيهة بتنوع أنواع الدواء. والكتاب والسنة هما الأصل فى علاج كل داء اجتماعى. فلا حاجة إذًا إلى إمام معصوم بعد صاحب الرسالة محمد ﷺ.

ثانيًا: يختلف الشيعة فى الفروع الفقهية ولم تمنعهم عصمة الإمام الذين يأخذون عنه من الوقوع فى الاختلاف.

ثالثًا: إن العلم الإلهى ينفى الاجتهاد. وهو أمر مقرر بواسطة النبى ﷺ وقد سلك سبيله فى حادثة الأسرى المشهور. ثم نهاه الله تعالى بالآية: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **(الأنفال:٦٧-٦٩)** . وقد اجتهد الرسول [ليعلم المسلمين أن المجتهد يصيب ويخطى «وأنه لا يصبح لمجتهد أن يدعى لنفسه أنه إن اجتهد لا يخطىء قد فتكون الفرقة ويكون الانقسام»[٣].

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام الصادق. ص٧١.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام الصادق. ص٧١، ٧٢.

(٣) المرجع السابق: ص٧٣.

رابعًا: لا يصح لأحد أن يدعى العصمة بعد أن أخطأ النبى ﷺ فى الواقعة السابقة ثم أرشده ربه إلى الصواب، فليس لأحد أن يرقى إلى مرتبته، أو يعلو عليه بدعوى العصمة.

خامسًا: ثبت عن الصحابة، بما فيهم على بن أبى طالب، الاختلاف فى المسائل الفقهية بل من أقوال أمير المؤمنين على: «اجتمع رأيى ورأى عمر على عدم بيع الأمة التى استولدها سيدها والآن أرى بيعها»(١).

سادسًا: كان الإمام الصادق على علم تام باختلاف الفقهاء، فهو من مناقشته لأبى حنيفة يبين فى المسألة الواحدة ما يراه أهل العراق، وأهل الحجاز. وما يراه هو فلو كان يرى العلم بطريق الإلهام فحسب للام المختلفين ولم يعتن بمعرفة اختلافاتهم.

وقد ترك لنا الكلينى فى «الكافى» المقابلة التى تمت بين جعفر الصادق والمعتزلة وعلى رأسهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد على أثر مقتل الوليد وانشغال المسلمين بمشكلة الخلافة. وقد تكلم الحاضرون أمامه وأكثروا فى النقاش فطلب منهم الصادق أن يسددوا أمرهم إلى رجل منهم. ففوضوا عمرو بن عبيد فقال:

«قد قتل أهل الشام خليفتهم وضرب الله عز وجل بعضهم ببعض وشتت الله أمرهم فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروءة وموضع ومعدن للخلافة وهو محمد بن عبيد الله بن الحسن فأردنا أن نجتمع عليه فنبايعه. ثم نظهر معه فمن كان تابعنا فهو منا وكنا منه ومن اعتزلنا كففنا عنه ومن نصب لنا جاهلناه فنصبنا له على بغية ورده إلى الحق وأهله وقد أحببنا أن نعرض عليك ذلك فتدخل معنا .فإنه لا غنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك».

فلما سألهم الصادق عما إذا كانوا جميعًا على نفس الرأى أجابوا بالإيجاب.

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال:

«إنما سخط إذا عصى الله أما إذا أطيع رضى. خيرنى يا عمرو لو قلدتك أمرها ووليتك بغير قتال ولا مؤونة لك ولها من شئت من كنت توليها؟

قال:

كنت أجعلها شورى بين فقهائهم وخيارهم. قال: قريش وغيرهم. قال: نعم، قال: أخبرنى يا عمرو أتتولى أبا بكر وعمرًا وتتبرأ منهما؟ قال: أتولاهما فقط- فقد خالفتهما ما تقولون أنتم تتولونهما أو تتبرأون منهما . قالوا: نتولاهما . قال عمرو: وإن كنت رجلاً تتبرأ

---

(١) الإمام الصادق: ص٧٣.

منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما. قد عمد عمر إلى أبى بكر فبايعه ولم يشاور فيه أحدًا ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور فيها أحدًا ثم جعلها شورى بين ستة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار وغير أولئك الستة من قريش وأوصى فيها شيئًا لا أراك ترضى به أنت ولا أصحابك إذ جعلتها شورى بين جميع المسلمين. قال: أمر صهيبًا أن يصلى بالناس ثلاثة أيام وأن يتشاوروا أولئك الستة ليس معهم أحد إلا ابن عمر يشاورونه وليس له من الأمر شىء وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام قبل أن يفرغوا ويبايعوا رجلاً أن يضربوا أعناق أولئك الستة جميعًا فإن اجتمع أربعة قبل أن تمضى ثلاثة أيام وخالف اثنان أن يضربوا بأعناق الاثنين أفترضون بهذا أنتم؟ فيم تجعلون من الشورى فى جماعة المسلمين. قالوا: لا. ثم قال: يا عمرو دع ذا أرأيت لو بايعت صاحبك الذى تدعونى إلى بيعته ثم اجتمعت لكم الأمة فلم يختلف عليكم رجلان فيها فأقضيتم إلى المشركين الذين لا يسلمون ويؤدون الجزية أكان عندكم وعند صاحبكم العلم من يسيرون بسيرة رسول الله فى المشركين فى حروبه. قال: نعم. قال: فتصنع ماذا؟ قال: أدعوهم إلى الإسلام»[1].

وإذا قبلنا جدلاً صحة صدور هذا الحديث عن جعفر الصادق فإننا لا نجد فى سطوره معارضة لفكرة الخلافة عند أهل السنة ونظرية الشورى وانتخاب الخليفة بالبيعة. إنه يعارض خروج محمد بن عبد الله بن الحسن وكان دأبه معارضة الخروج. لقد كان الإمام الصادق عازفًا عن السياسة منغمسًا فى بحور العلم فليس من المستبعد أن ينهى عن الخروج للتجارب الأليمة التى عاناها آل البيت.

أما محاورته مع واصل بن عطاء فليس فيها تعرض لأبى بكر أو عمر بسوء فالقدح والسب كان بدعة تورط فيها الشيعة المتأخرون، فكانوا بذلك مدعاة لنفور أهل السنة الشديد منهم.

فمن الثابت أن جعفر الصادق ينتسب من جهة أمه إلى أبى بكر الصديق[2] فليس بغريب ألا يمس هذا الصحابى الجليل بكلمة تسوؤه. وقد ترجع معارضته- إن صحت- لطريقة البيعة التى تمت بها البيعة للصاحبيين إلى احتمال ميله إلى القول بحق جده أمير المؤمنين على بدلاً منهما.

---

(١) الكلينى: مخطوط الكافى. مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ١٢٩٩ب.

(٢) نشأة الفكر: جـ٢، ص٢٠٦.

ومع هذا فإن من المستبعد صدور مثل هذه الآراء منه، وإنما قد حمله إياها الأتباع والأصحاب الذين أسرفوا على أنفسهم وعلى أئمتهم. وها هو البخارى لم يرو عنه حديثه لا لعلة إلا ما عرف عن الأشخاص الذين يترددون عليه ويدعون أنه حدثهم بينما هم كاذبون[1]. وقد ظهرت مثل هذه الدعاوى الخاطئة من نسبة الجفر إليه، بينما ينتمى هارون بن سعيد العجلى الذى قيل أنه روى الجفر عن جعفر الصادق- إلى المذهب الزيدى وقد «أنشأ فيما بعد شعراً يتبرأ فيه من الجفر ومن كل غال فى جعفر الصادق»[2] وحتى إن سلمنا بصحة هذا الجدال وصدوره من جعفر الصادق، فهو لم يخرج فى جوهره عما رآه حقًا لجده أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ونلمح فى حديثه نفس المعنى الذى كتبه الحسن ابن على إلى معاوية يقول له فيه: «وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا صلى اللّه عليه وآله وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الإسلام فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزًا يثلمونه به..»[3].

الزيدية

كانت الجراح الساخنة التى أصابت قلوب المؤمنين عامة وأهل البيت خاصة- منذ استشهاد الحسين- سببًا فى عزوف السلالة الطاهرة من أبناء البيت النبوى عن السياسة وبعدهم عن هذا المعترك، إذ انهالوا على العلم يغترفون منه، ففاضوا على الناس كمحدثين وفقهاء وأقاموا بالمدينة المنورة- حيث مثوى الرسول صلوات اللّه عليه- ينهلون من آثاره وآثار أصحابه، منقطعين للعلم والعبادة فوجدوا فيهما العزاء والسلوى. سلك هذا الطريق على بن الحسين «زين العابدين» وتبعه ابنه محمد الباقر ثم جعفر الصادق.

أما زيد بن على بن الحسين (١٢٢هـ- ٧٣٩م) فقد ترك منهاج أبيه وأخيه وابن أخته، ولم يقم بالمدينة ويجعلها مقرًا له، بل أكثر من الترحال والانتقال، فكانت له جولات فى السياسة أصاب فيها وأصيب، ولكنه لم يترك ميدان العلم أيضًا، فقد تلقف التركة المثرية من الفقه والحديث كشأن باقى أفراد البيت النبوى، فأصبح بذلك «عالمًا واسع الأفق، مستبحر المعرفة عالمًا بآراء الفقهاء ما بين حجازيين وعراقيين، وعلم المناهج الفقهية كلها، وكان عالمًا بحديث آل البيت وغيرهم وكان عالمًا بالفرق الإسلامية ولعله أول علوى جاهر بانتحاله مذهبًا من المذاهب»[4].

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص٢٠٧.
(٢) نشأة الفكر: جـ٢، ص٢٠٨.
(٣) الأصبهانى: مقاتل الطالبيين. ص٥٦.
(٤) أبو زهرة: الإمام زيد، ص٧٢.

وخرج الإمام زيد على أمير الجور هشام بن عبد الملك (٩٥هـ- ٧١٣م) بعد أن بايعه أهل الكوفة من المتشيعين لأهل البيت. ولكنهم كما خذلوا جده أمير المؤمنين على بن أبى طالب وابنه الحسين سيد الشهداء، «فعلوها حسينية» مع الإمام زيد أيضًا كما جاء على لسانه، ثم راحوا يبكونه بعد الخذلان المزرى، فيأتى بعضهم إلى كناسة الكوفة حيث صلب. فيتعبدون عنده[1] وكان الأجدر بهم مناصرته حيًا ومؤازرته فى حربه التى أصبحت غير متكافئة بعد نكثهم بيعتهم له.

وهكذا تكررت الظاهرة فتكررت مأساة الحسين فى شخص يزيد[2].

فبدلاً من المناضلة معه. دخل المبايعون له في مناقشات حامية دارت أغلبها حول المساومة حول رأيه فى الصاحبين «أبى بكر وعمر» فدعا لهما بالمغفرة وترضى عنهما. ذاكرًا أنه لم يسمع عن أن أحدًا من أهله تبرأ منهما. فهو متبع لهذه السنة ولا يذكرهما إلا بالخير.

ولكنهم ضيّقوا عليه الخناق سائلين إياه عن سبب مطالبته بدم أهل البيت فأجاب «فيمن ذكرتم إنّا كنا أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم إستأثروا به دوننا. ولم يبلغ ذلك عندنا كفوًا، قد ولوا وعدلوا وعملوا بكتاب الله وسنة نبيه[3].

ولم يكتفوا بهذا الرد الشافى بل عادوا يسألونه «لم تقاتل إذًا» فصرح برأيه الصريح في الإختلاف البين بين الصحابة الأولين وخليفة بنى أمية هشام بن عبد الملك الذى يدعوهم معه لمحاربته.

ولكنهم أبوا مناصرته وكأنهم يتعللون بهذه المناقشة......... فرفضوه وأصبح يطلق عيهم «الرافضة» وسمى من لم يرفضه من الشيعة زيديًا لانتسابهم إليه[4].

وتعطينا المصادر التاريخية صورة صادقة عن ضآلة عدد أنصاره، وعن تضارب الآراء بين فرق الشيعة فى ذلك الوقت: فمنهم من يؤيد جعفر الصادق وينادى به إمامًا، ومنهم من يعطى البيعة ليزيد ثم ينكص عنها، والغلاة الذين بدأت تظهر فرقهم منذ مقتل الحسين ثم زاد خطرها واستفحل أمرها.

---

(١) ابن تيمية: منهاج السنة. جـ١، ص٨.

(٢) دكتور النشار: نشأة الفكر. جـ٢، ص٥٤.

(٣) ابن كثيرك البداية والنهاية. جـ٩، ص٣٣٠.

(٤) ابن تيمية: منهاج السنة. جـ١، ص٨.

أما الزيدية، فقد انفصلوا عن باقى الفرق الشيعية منذ ذلك الوقت لمناداتهم بأنه لابد أن يخرج الإمام داعيًا لنفسه خلافًا للشيعة الإثنى عشرية الذين يعتبرون الإمام إمامًا ولو لم يخرج داعيًا لنفسه[١].

وقد قسم الدكتور النشار أنصار الإمام زيد إلى

أولاً: جماعة من كبار الشخصيات الذين أحبوا أهل البيت حبًا خالصًا لا يختلط بأية شوائب غنوصية واستماتوا فى الدفاع عنه ومناصرته حيث قتل البعض منهم ونجى الآخر.

ثانيًا: بعض الفقهاء ونقلة الآثار وأبرزهم أبو حنيفة الذى تتلمذ على زيد لمدة عامين.

ثالثًا: المعتزلة: لأن زيد بن على خرج لمحاربة الإمام الظالم تطبيقًا لأصل من أصولهم وهو «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[٢].

من هذا نستنتج أن المذاهب الشيعية لم تسلك سبيلاً واحدًا حتى بلغت النسق الأخير المعاصر فى صوره الثلاث الإثنى عشرية والإسماعيلية والزيدية، وإنما كانت الآراء تتفاعل فى بوتقة الأحداث يأخذ بعضها برقاب بعض، ولم يكن النقل من مصدر واحد بعينه بل تلقفته المدارس والأتباع لتضيف إليه وتعدل فيه حتى صارت إلى ما أصبحت عليه، بينما دعوى حب أهل البيت النبوى بريئة من كل هذا.

فإن محبى أهل البيت المعتدلين لم تتسرب إلى عاطفتهم الخالصة شوائب الغلو، فخرجوا مع الإمام زيد بدافع تلقائى للوقوف فى وجه الظلم ممثلاً فى حاكم بنى أمية العاتى، وإقامة صرح الحكم الإسلامى العادل الصحيح من وحى الكتاب والسنة.

وإننا لا نعثر على محبى آل البيت النبوى على امتداد العصور وإلى وقتنا هذا خالصة قلوبهم من شوائب النظريات الفلسفية. هؤلاء هم المحبون من أهل السنة والجماعة، إنهم لم ينكروا على آل البيت الكريم حقهم فى الإجلال والإعزاز، ودأبوا على هذا المنهج مقتفين آثار أسلافهم العظام وخاصة رواد المذاهب الأربعة.

أما الغلاة، فإن موقفهم الصحيح هو موقف العداء لأهل البيت. وأمامنا مثال صارخ يضج بهذا العداء فى كراهتيهم لزيد، لأنه لم يستجب للآراء الغنوصية.

ونعود إلى الروافض وموقف الخذلان الذى أخذه الشيعة طابعًا لهم منذ استشهاد

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام الصادق. ص٤١.

(٢) نشأة الفكر: جـ٢. ص١٥٨و ١٥٩.

الحسين، إنهم عاهدوا وبايعوا ثم نكصوا على أعقابهم فى الساعة التى تمتحن فيها متانة العقائد، فلما جاءت الأجيال التالية بعدهم لم يسعها إلا صياغة المذهب فى تأكيد حقوق الأئمة صياغة فلسفية نظرية ليعوضوا الدور الذى كان ينبغى على أسلافهم أن يؤدوه، وهو الدور الحقيقى الذى كانت تمليه الأحداث وتفرضه عليهم فرضاً.

ولم يكن انصراف الروافض عن مناصرة زيد بن على إلا لأنه أكد محبته للصاحبين فى سياق نظريته عن جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، لقد أعلن لهم دون مواربة وهو على أهبة الاستعداد للحرب، أن «الخلافة فوضت إلى أبى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة.. وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن ممن عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق فى الإسلام والقرب من رسول الله صلوات الله عليه[١].

فلا نص هناك إذاً ولا وصية، وإلا لنادى بها وأعلنها فى نزاعه ضد هشام ابن الحكم وهو الفقيه المحدث الراوى لحديث آل البيت وغيرهم[٢].

بل إنه يكاد يعلن وهو يناقش أخاه محمد الباقر «أن أباه لم يكن إماماً بل كان فى نظره رجلاً من صالحى أهل البيت»[٣] لأنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج[٤].

إن الإمام زيد فى حقيقة الأمر قد ظهر فى الوقت المناسب لكى يقف فى وجه الآراء الشيعية التى سادت فى عصره، ويعود بذاكرة القوم إلى «الأعمال الباهرة التى قام بها الشيخان أبو بكر وعمر والتى جعلت خلافتهما (حصن الإسلام المكين)[٥].

لقد أدى دوره فى تصحيح الأفكار التى كان يبثها الشيعة على اختلاف فرقهم فى الخفاء كإثبات الخلافة بالوراثة عن طريق النص من النبى صلوات الله عليه إلى على الذى أوصى بها إلى الحسن ثم الحسين وهكذا.. والقول بعصمة المهدى المنتظر.

ويذهب الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة إلى أن الإمام زيد قد خرج من الموقف السلبى الذى التزمه من هو أكبر من آل البيت إلى الموقف الإيجابى. كما كانت آراؤه فى الخلافة مشتقة من آراء أمير المؤمنين على بن أبى طالب التى اشتهرت بين المسلمين[٦].

لهذا سنعرض لآرائه فى الإمامة.

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص٢٠٨.
(٢) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص٧٠.
(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٤٨.
(٤) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص٢١٠.
(٥) الإمام زيد: ص١٠٤.
(٦) المصدر السابق: ص١٨٧.

أولا: إمامة المفضول

إن أبرز آراء الإمام زيد هو جواز إمامة المفضول مع قيام الفاضل، وقد أورد الشهرستانى هذا المعنى فى النص الذى سبقت الإشارة إليه، ولكنا نعود فنستوفيه كله لما له من أهمية فى تفهم نظرية زيد حيث قاس على ما تم الأمر عليه فى عهد الخلفاء الراشدين أو بمعنى أدق: «برر موقف جده على بن أبى طالب من خلافة أبى بكر وعمر تبريرًا واقعيًا»(١).

فإن عليًا بن أبى طالب كان أفضل الصحابة، ولكن المصلحة اقتضت أن يتولى أبو بكر الخلافة لتسكين ثائرة الفتنة التى يخشى أن تشتعل نارها بسبب قرب العهد بحروب المشركين التى كان لفارس الإسلام العظيم فيها شأن كبير.

فالخوف من الضغائن وإحياء مطالب الثأر اقتضت أن يعهد بالخلافة إلى من هو معروف باللين وتميل القلوب إليه ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد أى لا تخضع له قسرًا بالقوة.

وأبو بكر أكبر سنًا والأسبق فى الإسلام من الرجال، وقريب من الرسول صلوات اللّٰه عليه.

ويفهم من النص الذى جاء بالملل والنحل أن الإمام زيد استشهد بما أظهره المسلمون من معارضة حين اختار أبو بكر عمر بن الخطاب وهو فى فراش مرضه وقالوا: «لقد وليت علينا فظًا غليظًا فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له فى الدين وفظاظة على الأعداء»(٢).

فلو لم يستطع أبو بكر إقناعهم به لصارت فتنة، كما أن تولية على بن أبى طالب فى الظروف التى انتقل فيها النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقرب العهد من حروب الشرك مع مطالب الثأر الحية فى النفوس.. لأدى كل هذا إلى وقوع الفتن أيضًا. لذلك فوضت الخلافة لأبى بكر «لمصلحة رأوها وقاعدة دينية من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة»(٣).

ويلاحظ أن الإمام زيد سكت عن ذكر الخليفة الثالث عثمان بن عفان فلم يشر إليه.

يمكننا إذًا أن نصل من هذا إلى أنه لم يصرح بوجود نص حديث عن الرسول ﷺ أو

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٦١.

(٢) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص٢٠٩.

(٣) المصدر السابق: ص٢٠٨.

وصـية أوصى بها إلى على ثم انتقلت إلى أبنائه بعده، خـلافًا لما كان ينادى به الشـيعة حينئذ، فالكيسانية كانت ترى إمامة محمد بن الحنفية ومهديته، وفريق آخر ينادون بإمامة أخيه محمد الباقر، والغلاة تنادى بإمامة بعض آل البيت بل وتعلن قدسيتهم(١) فجاء كلام الإمام زيد كالسيف القاطع فى وجه الجميع.

ويستنتج الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة من هذا النص ضمن استدلالاته الأخرى أن الأفضلية التى يقصدها الإمام زيد ليست بسبب قرابة على بن أبى طالب من الرسول ﷺ، لأن الأفضلية ليست ملازمة للخلافة لأنه ينبغى أن يكون الاختيار لمن هو أقدر على شغل هذا المنصب، مطاعًا من الناس، لا يسبب فتنة لتوليه إمارة المسلمين، ويتم اختياره عن طريق الشورى بواسطة المسلمين الذين يؤمرون الأصلح لهم لا بأن يفرض عليهم شخص معين.

فالأمر إذا موكول فى النهاية للمسلمين يختارون ما يشاءون ولو وجد من هو أفضل منه «فكم من فضلاء فى أقوامهم، وفى ذات أنفسهم ينحون عن الحكم، أو لا يولونه لأن الأقوام لا يدينون لهم بالطاعة. ولا يرون المصلحة فى توليهم. بل يرون أن الطاعة والمصلحة فى تولية غيرهم»(٢).

ثانيا: الإمام فاطمى

اشترط زيد بن على أن يكون الإمام من نسل فاطمة سواء من أولاد الحسن أو الحسين دون تعيين واحد منهم بشخصه.

كل ما يجب توفره فى أحدهم هو أن يكون عالمًا زاهدًا شجاعًا سخيًا يخرج مناديًا بالإمامة(٣).

ومع هذا فليست الخلافة عنده بالوراثة وإنما وضع هذا الشرط- أى كون الإمام من أولاد فاطمة- كشرط أفضلية لا شرط صلاحية للخلافة، لأن المصلحة هى موضع الاعتبار عنده.

فإن «مصلحة المسلمين وإقامة عمود الدين والعدالة هما الأمران اللذان يلاحظان فى تقديم المفضول على من هو أفضل منه منابًا ونسبًا(٤).

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٦٠. (٢) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص١٨٩.

(٣) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص٢٠٧.

(٤) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص١٩٠، ١٩١.

ووجه الاختلاف بين رأى الإمام زيد وما أعده الشيعة فى عصره- أن الكيسانية ترى الإمامة فى محمد بن الحنفية- وهو علوى وليس بفاطمى- بينما الإمام عند الشيعة الإمامية يجب أن يكون فى فاطمة من أبناء الحسن والحسين كما أسلفنا.

ومع أن هذا الأصل من أصول الإمام زيد هو الوحيد الذى تفوح منه رائحة التشيع(١) فقد أغضب فريقى الشيعة فى ذلك الوقت وانفصلت الزيدية كمذهب مستقل عن الكيسانية والإمامية.

ثالثاً: الإمام غير معصوم

دأب الإمام زيد على تحصيل الأصول والفروع لكى يتحلى بالعلم كما يذكر الشهرستانى وتتلمذ على واصل بن عطاء شيخ المعتزلة(٢) ثم كانت رحلاته العديدة التى استمع خلالها إلى آراء الشيعة. كل هذا جعله يفند اعتقادات الفرق الشيعية وخاصة آراء الغلاة منهم.

إن الأئمة من أهل البيت النبوى لم ينادوا أبداً بعصمة الأئمة ولكن أتباعهم فعلوا هذا(٣) فأوقفهم الإمام زيد عند حدهم فلا عصمة ولا قداسة للإمام عنده لأنه خرج من حصيلته العلمية الوفيرة إلى أن «الإيمان بالاجتهاد» بالرأى واجتهد هو وقاس فى فقهه. وآمن بالعدل والتوحيد»(٤).

ولم يكن من المعقول أن ينادى زيد بن على بإمامة المفضول مع قيام الأفضل ثم يرى بعد هذا أن الإمام معصوم من الخطأ. لأنه لو كان كذلك لأصبح الأجدر بالإمامة. فالعصمة ناتجة عن توارث الأئمة منذ النبى ﷺ. وكما آمن المسلمون بالعصمة له صلوات الله عليه لأنه يتصرف بالوحى المنزل إليه. اعتقد الشيعة بعصمة الإمام وقيامه حجة على العباد فى أمور الدين.

ولكن الإمام زيد نفى هذه العصمة. لا لاعتقاده الجازم بوحى من علمه بالحديث النبوى وهو الراوى له فحسب. بل لأنه أيضاً اعتبر الخلافة أمراً مصلحياً(٥) فليس الإمام هو المرجع فى الدين. فإذا وقع اختيار المسلمين على الشخص الأصلح للخلافة تم لهم ما أرادوا، وإن إستكمل الشرائط كلها فكان من أولاد فاطمة أصبح هو الأفضل.

ويجوزعلى كليهما الخطأ.

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٩٢.

(٢) الملل والنحل: جـ١، ص٢١٨.

(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٦٣.

(٤) نفس المرجع والصفحة.

(٥) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص١٩١.

رابعاً: الخروج

ومن الاتجاهات التى انفرد بها الإمام زيد عن الشيعة، اشتراطه أن يخرج الإمام داعيًا لنفسه، نافضًا عن نفسه ثوب التقية.

وقد جاء فى سياق المناظرة التى كانت بينه وبين أخيه محمد الباقر كما نقلها الشهرستانى أن الباقر قال له تعليقًا على هذا الشرط:

«على قضية مذهب والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج»(١).

ويوضح الإمام لشرط الخروج لم يكتف برفضه نظرية انتقال الخلافة بالإيصاء أو بالوراثة بل وضع مبدأ جديدًا يحتم على الفاضل من آل فاطمة أن يدعو لنفسه على الملأ- أى يتقدم لترشيح نفسه للانتخاب بأسلوبنا السياسى المعاصر- ليظهر فضائله ومزاياه ومقدرته «لينظر الناس فى مدى المصلحة فى توليه، وللموازنة بينه وبين غيره فى أيهما أصلح»(٢).

وقد ذهب أستاذنا الدكتور النشار إلى أن الإمام زيد بوضعه سنة الخروج ومخالفته بهذا المبدأ لإجماع أهل البيت، واعتقاد الزيدية بعده لنفس الرأى، أن أصبحت الزيدية (خوارج) أيضًا. كما يعتبر أن وضعه شرط المصلحة أساسًا للإمامة فوق القرشية والفاطمية قد اتجه به أيضًا اتجاهًا خارجيًا(٣).

خامساً: جواز إمامين معاً

جاء ضمن تعريف مذهب الزيدية فى الملل والنحل:

«وجوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال- أى أن يكون فاطميًا عالمًا زاهدًا شجاعًا سخيًا خرج بالإمامة- ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة»(١).

ويمضى الشهرستانى فيذكر أنه لهذا السبب اعتبر بعضهم إمامة كل من محمد وأخيه إبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسين اللذين قتلا لخروجهما فى أيام جعفر المنصور صحيحة

ويرى أستاذنا الدكتور النشار أن هذا الشرط لم يصدر عن الإمام زيد وإنما وضعه الزيدية الذين تابعوا محمدًا وإبراهيم.

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل. جـ١، ص٢١٠.

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة: الإمام زيد. ص١٩٢. (٤) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٦٢و ١٦٤.

وسيتضح لنا هذا الشرط عندما نصل لمعالجة أحد النصوص بمخطوط لفقيه زيدى سنأتى به بعد قليل.

ولكن الأستاذ أبو زهرة يرجح اعتماد الإمام زيد على اتساع الرقعة الإسلامية فى وضعه لهذا الشرط لأنه قد تكون المصلحة فى تجزئة الحكم مع تعاونهما معًا كما يصلح هذا الشرط أيضًا لتنفيذه فى عصرنا الحاضر لتعود الخلافة الإسلامية منفذة لأحكام الشرع «على أن يكون ثمة تعاون صادق يحقق الوحدة الإسلامية وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ وقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم﴾[٢].

سادساً: نفى المهدوية

وأخيرًا... فإن الإمام زيد أنكر على الكيسانية دعواهم بقاء محمد ابن الحنفية على قيد الحياة وأنه المهدى المنتظر لملء الأرض عدلاً بعد أن ملئ جورًا، تلك النظرية التى اعتنقها الشيعة الإثنى عشرية فيما بعد ونقلوا المهدية إلى الإمام الثانى عشر الغائب المنتظر.

وتمشيًا مع نظرية الإمام زيد فى الإمامة. فضلاً عن تلمذته لواصل ابن عطاء الفيلسوف العقلى، فإن فكرة الإمام المستور، أو المهدى المنتظر تبدو غير مقبولة.

ولكنه بخروجه على هشام بن عبد الملك أعطى لمصطلح المهدية معنى جديدًا يمكن أن يقصد به «من يقوم بهداية الناس ومجالدة الإمام الظالم»[٣].

الفرق الزيدية

كتبت الشهادة للإمام زيد فى طرقات الكوفة، واختلفت الفرق الزيدية بعده وتعددت أسماؤها مع تبعيتها لأفكاره فى بعضها واختلافها فى البعض الآخر.

وأول هذه الفرق الجارودية اتباع زياد بن المنذر ويسمى أبا الجارود ولقبه محمد الباقر (سرحبوا) أى أنه شيطان أعمى يسكن البحر[٤].

وزعموا أن النبى ﷺ نص على إمامة أمير المؤمنين على بالوصف لا بالتقية ولكن المسلمين لم يعرفوه عن طريق الوصف ونصبوا أبا بكر للخلافة فكفروا.

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص٢٠٧.

(٢) الشيخ محمد أبى زهرة: الإمام زيد. ص١٩٤.

(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٦٥.

(٤) النوبختى: فرق الشيعة. ص٥٥.

يقول الشهرستاني: وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد ابن على فإنه لم يعتقد بهذا الاعتقاد(١).

ومن آرائهم أن العلوم تنتقل في آل محمد ﷺ فلا يحتاجون للتعليم وإنما ينبت العلم في صدورهم كما ينبت الزرع المطر «فالله عز وجل قد علمهم بلطفه كيف شاء»(٢).

وقد فسر الإمام النوبختي عقيدتهم في تلقى أولاد البيت النبوى للعلوم لتصبح متفقة مع نظريتهم في جعل الإمامة فيهم جميعًا سواء، فلا إلزام بالإمامة لبعضهم دون البعض الآخر. إلا أن أستاذنا الدكتور النشار يرجح أن السبب في هذه المقالة هو «ضخامة فكرة العلم السرى المنسوب إلى الأئمة وانتشار هذه العقيدة في الكوفة»(٣) إذ أنهم يشترطون أن تصير الإمامة بعد الحسين في أولاد الحسن والحسين فهي فيهم خاصة دون سائر أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب، مع إضافة أحد أصول المذهب الزيدى إلى نظريتهم وهو الخروج فهم عندهم «كلهم فيها سواء ومن قام منهم ودعا لنفسه فهو الإمام المفروض للطاعة بمنزلة على بن أبى طالب واجبة إمامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس»(٤).

وقد طعنوا بهذين الشرطين في إمامة الباقر والصادق وأخرجوهما من دائرة الأئمة بل انتقلوا من الطعن إلى رميهما بالكفر بدعواهم أن من ادعى الإمامة دون أن يخرج داعيًا لنفسه وإنما هو «قاعد في بيته مرخى عليه ستره فهو كافر وكل من اتبعه على ذلك» ، فلا عجب أن يسمى الباقر رأس هذا الفريق بالشيطان الأعمى الذى يسكن البحر لما قذفه به.

والفرقة الثانية التى تشكلت على أثر مقتل الإمام زيد هي المسماة السليمانية أتباع ابن جرير ونظريته في الإمامة أنها شورى تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، كما اعتنق فكرة الإمام زيد في صحة إمامة المفضل مع وجود الأفضل، وبهذا تصح عنده إمامة أبى بكر وعمر ولكنه ينسب الخطأ إلى الأمة في اختيارهما له ويعتبره خطأ اجتهاديًا لا يصل إلى درجة الفسق. ويطعن السليمانية في عثمان ويكفرونه للأحداث التى يدعون أنه أحدثها ويلحقون به السيدة عائشة وطلحة والزبير بسبب قتالهم لعلى(٥).

أما الفرقة الثالثة من الزيدية فهي الصالحية أتباع الحسن بن صالح. كما يتداخل مع

(١) الملل والنحل: جـ١، ص٢١٢. (٢) النوبختي: فرق الشيعة. ص٥٦.

(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٩٠.

(٤) النوبختي: فرق الشيعة. ص٥٤.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل. جـ١، ص٢١٤.

هذه الفرقة أيضًا أصحاب المغيرة بن سعد– وهو كثير النواء– الملقب بالأبتر فسموا «البترية»(١).

وهم يفضلون عليًا ويثبتون إمامة أبى بكر وعمر كما يثبتون الإمامة فى أولاد على الذين خرجوا للمطالبة بالإمامة.

وعلى بن أبى طالب أفضل الناس بعد النبى ﷺ وأحقهم بالإمامة بعده وهم يرضون لما رضى به أمير المؤمنين على من تسليمه الأمر لأبى بكر وعمر ولا يستحلون لأنفسهم الاعتقاد بغير هذا لأنه لو لم يرض على لأصبح أبو بكر هالكًا.

وأجازوا أيضًا إمامة المفضول مع قيام الفاضل ما دام راضيًا بذلك.

وهم يتفقون فى المذهب مع السليمانية إلا أنهم توقفوا فى أمر عثمان مترددين بين الحديث النبوى الذى يدخله مع العشرة المبشرين بالجنة، وبين الأحداث التى نسبت إليه فيتوقفون فى حقه تاركين الأمر إلى أحكم الحاكمين(٢).

ويرى الدكتور النشار فى هذا التوقف ما يدل على وجودروح مرجئية وأنه خلاف رقيق مع أهل السنة والجماعة(٣).

وهكذا نجد أنفسنا أمام الظاهرة التى اتضحت لنا من عرضنا للفرق الزيدية بعد وفاة الإمام زيد، وهى خروج مذهبها عن آراء إمامها ونزعة الغلو عند بعضها.

فإن فكرة انتقال العلم الإلهى فى أصلاب الأئمة جعلت طبقًا لهذا التصور عنصرًا ابستمولوجيا. كما انتحل أتباع زيد مثل هذه الأفكار الغنوصية بينما حاربها أمام المذهب ووقف فى طريقها.

ثم نضيف إلى هذا كله ما تبين لنا أثناء الحديث من الوقوف على إحدى المخطوطات لأحد فقهاء الزيدية المتأخرين– وهو أحمد بن يحيى المرتضى باليمن، فقد تسنى لى بحث المخطوطة المسماة (الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار)(٤) التى سأحاول عرض ما يتصل فيها بنظرية الإمامة فى إيجاز.

يعرف الإمامة أولاً بأنها «رياسة عامة شريعة لرجل مخصوص ليس فوقها يد، ويستند فى دعوى الإمامة إلى العقل– كالشأن عند الإمامية– لأنها لطف فى الواجبات العقلية

---

(١) النوبختى: فرق الشيعة. ص٥٧.
(٢) الشهرستانى: الملل والنحل. جـ١، ص٧.
(٣) نشأة الفكر. جـ٢، ص١٩٥.
(٤) مخطوطة بمكتبة البلدية بالاسكندرية برقم ١٢٨٥ب.

والشرعية، ولأن العقل يقضى بضرورة دفع الضرر.

ويميل إلى الرأى القائل بالوجوب بعد عرضه لآراء باقى الفرق ومعارضته للنجدات التى تقول بأنها لا تجب مطلقًا، وقول الأصم: لا تجب فى كل وقت بل تجب عند وقوع الظلم لإزالته، ولا يقر أيضًا رأى هشام الفوطى فى عدم الوجوب.

فإن توضيح معالم الأحكام الشرعية لا يتم إلا بوجود الإمام فنطالبه بهذه المهمة. ومن الأدلة على الوجوب أيضًا أن الصحابة قد فزعوا عقب موت الرسول صلوات الله عليه وبدأوا البحث فيمن يخلفه مما يستنتج معه أنهم عرفوا أن إقامة الإمام واجب.

واختيار الإمام من مهام أهل الحل والعقد- وهم أهل الدراسة والنظر فى أمور المسلمين فواجبهم البحث فيمن يصلح لهذا المنصب.

وتفوح رائحة التشيع أو بمعنى أدق الزيدية بالذات من اشتراط المؤلف أن يكون من أولاد الحسين ولكنها لا تثبت لهم بالبيعة والعقد مطلقًا كمذهب الأشاعرة والمعتزلة وإنما عن طريق الحق.

فمن واجب المسلمين أن ينظروا ويبحثوا عن الصالح للإمامة فإن ظفروا به طالبوه بالدعوة لنفسه، ولكنهم قبل مطالبته بالدعوة ينبغى التحقق من توافر الشروط التالية فيه، أى أن يكون «مكلفًا، حرًا، سبطيًا، عظيم بذل النفس والمال، غير مؤف، ذا غرايز، وورع إسلامه يستطيع التصرف عن اجتهاد وتدبر».

ويشرح المؤلف هذه الشروط بإسهاب:

فالتكليف شرط مجمع عليه لأن المجنون والصبى لا أهلية لهما. ويجب أن يكون ذكرًا «لنقصان عقل المرأة وعدم تمكنها من مباشرة أكثر الأمور» ومصداقًا لقول النبى ﷺ: **«لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»**.

وشرط الحر مفروض لأن العبد مسلوب الولاية وهو ما أجمعت عليه الفرق الإسلامية ما عدا الجوينى(١) والأصم إذ يريان أنها تصلح لقول الرسول صلوات الله عليه: **«.. وإن أمر عليكم عبد حبشى مجدع فاستمعوا له وأطيعوا له ما أقام فيكم كتاب الله»**.

ويفسر صاحب المخطوطة هذا الحديث بأن الرسول ﷺ يقصد به أمير الإمام أى

---

(١) أخطأ صاحب المخطوط فى نسبة هذا الرأى إلى الجوينى لأن إمام الحرمين يقول: الصالح للإمامة هو الرجل الحر القرشى المجتهد الورع ذو النجدة والكفاية- ص٤٣ غياث الأمم. ط دار الدعوة.

الوالى وليس الإمام نفسه بدليل قوله صلوات الله عليه: **«من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعصى الأمير فقد عصانى».**

وكون الإمام سبطيًا يعنى أنه من أولاد الحسين وهو مذهب الزيدية غير الصالحية خلافًا لما تراه المعتزلة والأشاعرة الذين يستندون إلى الحديث «الأئمة من قريش». كما تخالف الزيدية أيضًا المذهب الإثنى عشرية الذى يوكل الإمامة بالنص إلى الأئمة المنصوص عليهم خلفًا عن سلف بالترتيب الذى ينظمونه.

يقول المؤلف: «لا دليل على ما يزعمون من النص، وإلا لظهر وانتشر، ولهذا يبطل القول بالنص».

أما كونه سبطيًا فلأن الإمامة من الأمور الشرعية التى لا تثبت لمدعيها إلا بدليل شرعى، وقد استقر الإجماع على صحتها فى الناس جميعًا وفى قريش خاصة. فالأولى إذًا أن تكون فى أولاد السبطين أى خاصة الخاصة.

وإذا كان اختلاف بين قصرها على أولاد السبطين أى من نسل فاطمة أو من نسل على ولو لم يكن من أبناء فاطمة فإن «الصحيح المعتقد الذى عليه الأكثر أن العبرة بمجموعها لأن الشرف باجتماع الطرفين أكمل».

وشرط غير موف معناه أن يكون الإمام سليم الحواس فلا يصح أن يكون أعمى أو أصم أو أبكم أو مقعدًا أو به علة منفرة أو أية آفة أخرى تجعله عاجزًا عن أداء مهام منصبه.

ويجب أن يكون الإمام أيضًا ذا غرائز، أى موهوبًا له من الكفايات الجبليّةِ التى فطر عليها لأنها لو كانت اكتسابية فإنه يصبح متكلفًا بها وكأنه يكره نفسه على التحلى بها مما يشغله عن القيام بأداء أعماله. ولأن منصبه يتطلب خصالاً عظيمة كبذل النفس والسخاء والورع كما يستطيع البت فى المسائل الاجتهادية فيتمكن بسهولة من استنباط الأحكام، أى على وجه الإجمال «التدبير والاحتيال فى السياسة وصلاح الأمور».

ولكن هذه الخصال التى يتمتع بها يجب أن تكون وسطًا بين طرفى التفريط والإفراط. ويبدو صاحب المخطوطة فى تقديم هذه الصفات متأثرًا بالوسط الأرسطى.

ففى غريزة بذل النفس لا يكون متهورًا أو جبانًا، وفى بذله المال يبتعد عن التبذير والبخل ولا يصبح فى ورعه متقشفًا أو مقدمًا على فعل المحظورات، وألا يكون فى تدبيره ماكرًا داهية أو ذا بلاهة وعته.

ويعارض صاحب الأزهار فى «فقه الأئمة الأطهار» جواز إمامة المقلد دون المجتهد فى العلوم الدينية لأن الاجتهاد شرط ضرورى فى الإمام فإن «أصحابنا والحنابلة يمنعون خلو الزمان من المجتهد والآثار السمعية متظاهرة للدلالة على ذلك».

فالحجة فى هذا هو أن الصحابة بلغوا الغاية القصوى فى علم الشريعة فهم المجتهدون الأول، وكذلك أئمة أهل البيت كانوا من حيث الاجتهاد فى الذروة القصوى، فلابد إذًا من توفر شرط الاجتهاد فى الإمام لأن المقلد يعد «كمن خلق له عينان فأطبقهما فكيف يهدى غيره من الضلالة؟».

وينتقل المؤلف بعد هذا إلى معالجة مسألة الإمام المفضول وهو الذى يميز مذهب الزيدية عن غيرهم من فرق الشيعة فيقول: «أن يكون الإمام أفضل الموجودين أو من جملة أفاضلهم» لأنه متى توافرت المواهب السابق بيانها فى شخص ما فلن يوجد من هوأفضل منه قطعًا.

فالشروط إذًا هى الأساس فى تنصيب الإمام ويصبح من توافرت فيه مستحقًا للإمامة لأن المقصود من هذا المنصب تنفيذ الأحكام الشرعية، وهوه الهدف الأسمى، «لأن المقصود بنصب الإمام إمضاء الأحكام الشرعية على مجاريها المشروعية، وحفظ حرمة الإسلام عما يشوبها الكفر والفسوق وإلزام المكلفين ما يجب عليهم طوعًا أو كرهًا».

وطريق الإمامة الدعوة فيما جاء بعد على والحسن والحسين لأنها تثبت للثلاثة بالنص «بلا شك عند العترة المطهرة».

والنص عنده خفى ويستخلص من المعنى المقصود بواقعة غدير خم وآية الركوع وذلك خلافًا للإمامية الذين يعتقدون بأنه نص جلى متوافر.

وهو يرى أيضًا أن الإمام الحسن والحسين بالنص لقول الرسول صلوات الله عليه: **«الحسن والحسين إمامان»** ولكنه يتحفظ فى قبول هذا الحديث فهو مقبول ولكنه ليس بمتواتر فيحتاج إلى النظر.

وفيما عدا الأئمة الثلاثة الأول: على والحسن والحسين فإن طريق الإمامة الدعوى عند الزيدية غير الصالحية ومعناها «أن يدعو الناس إلى جهاد الظالمين وإقامة الحدود والجمع وغزو الكفار والبغاة ومباينة الظالمين حسب الامكان».

وهو بهذا التكليف يقوم بتنفيذ معنى قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة﴾ وفى آية أخرى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر﴾ وقول عز من قائل: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾. أما الصالحية فقد سلكت طريق المعتزلة والأشاعرة فى إثبات الإمامة بالعقد والاختيار مطلقًا.

والعبرة عند الداعى إلى نفسه بكمال الشروط والصفات فإذا اكتملت هذه الخصائص لأثنين معًا فإن الأسبق هو الذى يدعو لنفسه أما الثانى فإنه يدعو إلى الإمام الذى سبقه بالدعوى- لا إلى نفسه- وإلا أصبح باغيًا. فالعبرة فى ثبوت الحق هى استكمال الشروط والصفات لا بمدى استجابة الناس له.

ولابد أن ينفرد أحدهما بالإمامة لأنه لا يصبح إمامان فى وقت واحد لقول النبى ﷺ: **«إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهما»**.

ولكن يذهب المؤلف إلى افتراض اجتماع الصفات التى قدمناها فى إمامين فى آن واحد ويحل هذا الفرض على النحو التالى:

يستحق الإمامة الذى دعى لنفسه أولاً، أما إذا تعذر تحديد المتقدم منهما عن الآخر فتبطل دعوى الاثنين ويحكم أهل الحل والعقد.

تلك هى مجمل آراء الزيدية التى انتهى إليها المذهب الزيدى، وإن اختلف عن آراء الإمام زيد نفسه ولا غرو فهو عمل الأصحاب والأتباع الذين يختلفون ويضيفون ويتجهون اتجاهات تخرج عن الآراء الأساسية التى ينادى بها صاحب المنهج الأول- أى الإمام زيد- الذى لم يكن شيعيًا على الإطلاق «ولم تكن حركته للشيعة، وإنما هى حركة إسلامية، استهدفت الخروج على الإمام الظالم من عالم من علماء المسلمين يمتاز على غيره من العلماء أنه من دوحة النبوة ومن أبناء على ﷺ»(1).

فالإمام زيد تنازعه الشيعة الزيدية وأهل السنة أيضًا. ولكنه فى الحقيقة إمام لأهل السنة والجماعة. وللتأكد من هذه الحقيقة يمكن الرجوع إلى دراسة آرائه فى الإمامة التى ذكرها فى كتابه «المجموع».

الإسماعيلية

أمر الإسماعيلية، فهى فرقة من فرق الشيعة أيضًا، استمدت أصولها فى بداية الأمر من الشيعة الإثنى عشرية، ثم افترقت الطرق بينهما، فبينما اتخذت الإثنى عشرية موسى الكاظم (١٨٣هـ- ٧٩٩م) الإمام السابع فى سلسلة الأئمة، أتمت الإسماعيلية سلسلة

---

(١) نشأة الفكر: جـ٢، ص١٥٧.

أئمتها إما بإضافة إسماعيل بن جعفر (١٤٥هـ- ٧٦٢م) أو محمد بن إسماعيل (١٨٣هـ-٧٩٩م) إمامًا سابعًا(١). ثم اتخذت هوة الاختلاف تتسع بينهما شيئًا فشيئًا.

ويحدثنا النوبختي عن الإسماعيلية «الخالصة»، وهي التي رأت أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه اسماعيل بن جعفر، كما أنكرت موت إسماعيل أثناء حياة أبيه وزعموا أن أباه أخبر بموته تقية وغيب عن الناس، وإسماعيل طبقًا لهذا لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمر الناس، وقد انتقلت إليه الإمامة من أبيه لأن أباه أشار إليه بالإمامة، والإمام لا يقول إلا بالحق فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت»(٢).

وتكونت العقائد الباطنية الإسماعيلية الأولى- كما يذكر الأستاذ الدكتور النشار- على أثر موت محمد بن إسماعيل، إذ دعى بعض أتباعه أنه المهدى وأنه سيبعث بشريعة جديدة تنسخ شريعة محمد ﷺ، وعدوه من أولى العزم وهم عندهم سبعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعلى ومحمد بن إسماعيل. أما تعليل تحديد هذا العدد فيرجع إلى أن النظامين الكونى والإنسانى قائمان على هذا العدد، فإن السموات والأرضين سبع وكذلك الجسد الإنسانى يكون من سبعة أعضاء والأئمة سبعة قبلهم محمد بن إسماعيل- وهو أيضًا خاتم النبيين- هذا فيما يتعلق بالعدد سبعة، أما العدد إثنى عشر، فإنهم يذهبون إلى أن الدنيا تتكون من إثنتا عشر جزيرة فى كل جزيرة منها حجة فالحجج إذًا إثنا عشر أيضًا.. «ولكل داعية يد. واليد هو رجل له دلائل وبراهين يقيمها. ويسمى رجال تلك الفرقة الحجة الأب والداعية الأم واليد الابن. ويروى أبو خلف القمى أن عقائد هذه الفرقة الإسماعيلية تضاهى ثالوث النصارى: اللّه ومريم والمسيح»(٣).

وقد دعمت هذه الطائفة حجتها القائلة بنسخ الشريعة الإسلامية بأسانيد نقلية نسبوها إلى جعفر الصادق بقوله: «لو قام قائمنا لعلمت القرآن جديدًا». ثم قاموا بتفسير الآية: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(٤)، بأن اللّه تعالى جعل للإمام محمد بن إسماعيل جنة آدم. ولهذا أباحوا جميع ما خلق اللّه فى الدنيا وأبطلوا كل تحريم. وقسموا الفرائض والسنن إلى ظاهر وباطن وذهبوا إلى أن الواجب إتباعه هو الباطن لأن فيها النجاة أما استعمال الظواهر فيه الهلاك والشقاء(٥). ويرى العزالى أن من أسباب تلقيهم بالباطنية هو دعواهم أن لظواهر القرآن

(١) دونلدس: عقيدة الشيعة. ص٣٤٧. (٢) النوبختي: فرق الشيعة. ص٦٨.

(٣) دكتور النشار: نشأة الفكر. جـ٢، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٤) الآية رقم ٣٥ من سورة البقرة. (٥) نشأة الفكر: جـ٢، ص٣٨٤.

والأخبار بواطن. وأنها بصورها توهم عند الجهال والأغبياء صورة جلية. وهى عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة(١).

وقد تعددت الفرق الإسماعيلية وتشعبت بها المسالك مما لا يدخل فى نطاق بحثنا عرضها. إلا أن ما يعنينا منها ويجب إظهاره هنا أمران:

الأول: نسجت العقيدة الإسماعيلية خيوطها حول الإمام فهو الدعامة الكبرى للعقيدة بل ذهبت إلى أكثر من هذا لأن الإمامة عندها عالمية تبدأ منذ بدء الخليقة وتشمل جميع الأمم والديانات. فالإمام من ناحية إحدى الدعامات الميتافيزيقية التى يقوم عليها الكون: وهو إلى جانب هذا القائم «بالتعليم» فى عصر «إما أن يكون ظاهرًا له الرياستين الدينية والزمنية أو الأولى فقط. وإما أن يكون مستترًا»(٢) فالعقيدة فى جوهرها «مزيج من المسيحية الغنوصية والإسلام مع فيثاغورية محدثة تتلاعب بالأعداد وبخاصة العدد سبع والعدد إثنى عشر»(٣). ويرى الأستاذ برنارد لويس أنها مزيج من نحل صوفية وهرطقية غالبة وربما كان بعضها من أصول فارسية قديمة أو سريانية غنوصية»(٤).

الثانى: إن الإسماعيلية تمثل انحرافًا عن الشيعة الإثنى عشرية. فالحق أن العاطفة الدينية الرقيقة التى أثخنتها الجراح بمقتل الحسين تضخمت وكبرت بتأثير مذاهب فكرية وعقائد غير إسلامية. ثم انتهت إلى مرحلة خطيرة أدت بها إلى انحراف لا شك فيه، إذ يقرر الأستاذ الدكتور النشار أن المذهب الشيعى الإسماعيلى انحرف عن إسلام أهل السنة والإسلام فى صورته الإثنى عشرية(٥).

---

(١) العزالى: فضائح الباطنية، ص١١.

(٢) الدكتور: محمد على أبو ريان: هياكل النور. ص١٢.

(٣) نشأة الفكر: جـ٢، ص٣٨٤.

(٤) برنادر لويس: أصول الإسماعيلية.

(٥) نشأة الفكر: جـ٢، ص٥٤١،

تعقيب

ظهر لنا من سياق البحث أن الأئمة الستة الأوائل- الذين يتخذهم الشيعة روادًا لهم- كانوا يسلكون مسلك أهل السنة ولم يعلنوا أفكار النص أو الوصية أو العصمة وما إليها من أفكار يعلنها الشيعة ويدعمون بها مذهبهم. فالحقيقة إذًا أن الشيعة «حملوا الأئمة السابقين آثاراً تعلن فكرة العدد الإثنى عشرى. كما حملوهم فكرة الإمام الغائب غيبته وخلوده ورجعته. وهم لم يذكروها أبداً».

أما الإسماعيلية: فقد تبين لنا انسلاخها عن الإسلام وكفرتها جميع فرق أهل السنة.

هذا، وقد ظل علماء أهل السنة والجماعة فى موقف المعارضة للعقيدة الشيعية فى الإمامة على مدى العصور كلها.

ويُعدّ شيخ الإسلام ابن تيمية من أبرز العلماء الذين تعرضوا لهذه العقيدة بالنقد، وهو يعبر عن مذهب أهل السنة والجماعة فى العصور الأخيرة.

ولهذا فإننا سنعرض آراءه حيث تصدّى للحلىّ- أحد علماء الشيعة- المعاصر له، مفنداً لآرائه كلها.

* * *

٨

عقيدة الإمامة عند الشيعة

١ - وجوب نص الإمام وتعيينه.
٢ - باب معرفة الإمام والرد عليه.
٣ - باب أن الأئمة هم الهداة.
٤ - الأئمة ولاة الأمر وهم الناس المحسودون.
٥ - مفتريات الإمام الكلينى حول الأئمة.
٦ - باب أن الأئمة قد أوتو العلم وأثبت فى صدورهم.
٧ - باب أن الأئمة فى كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار.
٨ - باب: أن القرآن يهدى للإمام.
٩ - الأئمة ورثة العلم يورث بعضهم بعضًا.
١٠ - الأئمة ورثوا علم النبى وجميع الأنبياء والأوصيا.
١١ - لم يجمع القرآن إلا الأئمة وأنهم يعلمونه كله.
وأبواب أخرى

الإمامة عند الشيعة

من نافلة القول الإشارة هنا إلى موضوع «الإمامة» يعتبر المحور الذى تدور عليه عقائد الشيعة على اختلاف فرقهم، فهى عندهم إحدى دعائم الدين، فلا دين لمن لا يعتقد بإمامة الأئمة من أهل بيت الرسول ﷺ ويضيفون قولهم: إن اللّه تعالى لا يقبل عمل مسلم إذا لم يكن يؤمن بولاية الأئمة ويطيعهم كطاعته للرسول ويوردون مفهومهم هذا عند تفسير قوله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] [النساء:٥٩]، وفى ذلك يروى علماء الشيعة عن الإمام جعفر الصادق أن سائلاً عن تأويل هذه الآية فكان جوابه: إيانا عنى بهذا، بنا يعبد اللّه، وبنا يطاع اللّه، وبنا يعصى اللّه، فمن أطاعنا فقد أطاع اللّه، ومن عصانا فقد عصى اللّه[2].

وقال أيضًا: سبقت طاعتنا عزيمة من اللّه إلى خلقه، إنه لا يقبل عملاً من أحد إلا بنا، ولا يرحم أحد إلا بنا، ولا يعذب أحد إلا بنا، فنحن باب اللّه وحجته، وأمناؤه على خلقه، وحفظ سره، ومستودع علمه.

ليس لمن منعنا حقنا فى ماله نصيب[3] والشيعة مجمعون على أن اللّه سبحانه وتعالى قرن الأئمة بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولى الألباب، وسفنًا للنجاة، والعروة الوثقى التى لا انفصام لها، وأمانًا للأمة من الاختلاف إذا عصفت عواصف النفاق، وباب حطة يغفر لمن دخلها، ويستشهدون أيضًا بأقوال أمير المؤمنين على بن أبى طالب التى تضمنتها إحدى خطبه: فأين تذهبون، وأين تؤفكون، والاعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خذوها من خاتم النبيين إنه يموت من مات وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان[4].

---

(١) سورة ٥٩/٤.　　(٢) دعائم الإسلام القاضى النعمان ٣٩/١ بحار الأنوار ١٦/٨.

(٣) المصدر نفسه ٧٢/١.　　(٤) نهج البلاغة ٨٣/١.

ويأتون بأقوال أخرى وردت فى خطبة ثانية قال ﷺ فيها نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمى سارقًا، إلى أن قال فى وصف العترة: فهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق الرائد أهله وليحضر عقله[1] وقالوا مما يأخذ بالأعناق إلى أهل البيت، ويضطر المؤمن إلى الانقطاع عن الدين إليهم، قول رسول الله ﷺ: **«ألا إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»**[2] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«وإنما أهل بيتى فيكم مثل باب حطة من بنى إسرائيل من دخله غفر له»**[3]. ويذكرون أن الغاية من تشبيه آل البيت بسفينة نوح قولهم: إن من يلجأ إليهم فى الدين ويأخذ فروعه وأصوله عنهم ينجو من عذاب النار، ومن يتخلف يكون كمن يأوى فى «يوم الطوفان» إلى جبل ليقيه من أمر الله، إلا أنه يغرق فى الماء وهذا معناه الجحيم.

ولدى الشيعة عامة نصوص وأحاديث كثيرة خاصة بهم ومن خلال رجال عندهم لا يقبلون غيرهم، وهى أحاديث لا يقرها أهل السنة، ولا يرون صحتها أو صدقها وقد جاء فى بعضها وجوب اتباع العترة الطاهرة دون سواهم، وبما أن على بن أبى طالب هو بنظرهم سيد آل البيت وإمامهم من حيث شخصيته العظيمة، وأنه ولى كل من كان رسول الله وليه فكان لابد عندهم من الرضوخ لما جاء فى هذه الأحاديث دون النظر إلى ماسواها مهما كانت درجة الرجال الذين رووها.

ولابد لنا ونحن فى هذا الصدد من الإتيان على ذكر ما يعتقده الامامية مما نسبوه إلى النبى ﷺ فى يوم «غديرخم» لأن الشيعة عامة يعتقدون بأنه لما دنا أجل رسول الله عليه الصلاة والسلام، ونعيت إليه نفسه، أجمع بأمر الله تعالى على ضوء ما يعتقد الإمامية على المناداة بولاية على فى حجة الوداع على رؤوس الأشهاد لأنه لم يكشف حسب قولهم «بنص الدار» يوم الإنذار، بمكة ولا بغيره من النصوص السرية المتوالية على إمامة على بن أبى طالب من بعده قالواه:

أذن فى الناس قبل موسم الحج وأبلغهم أنه سيحج هذا العام حجة الوداع، ووافه الناس من كل فج عميق، وخرج من المدينة بنحو مائة ألف أو يزيدون، فلما كان يوم الموقف

---

(١) نهج البلاغة ٢/٥٨.

(٢) أخرجه الحاكم بالاسناد إلى أبى ذر ٣/١٥١ في صحيحه المستدرك.

(٣) أخرجه الطبرانى في الأوسط أبى سعد ص ٢١٦ من كتابه الأربعين حديثًا.

فى عرفات نادى فى الناس ونصّ على بيعة على ليكون خليفة له وذلك يوم الجمعة المصادف ١٨ ذى الحجة تحت شجرات غدير خم فقال: أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب، وإنى مسؤول وأنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيرًا، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق ، وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: يا أيها الناس، إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه، يعنى عليًا، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، ثم قال: يا أيها الناس إنى فرضكم، وإنكم واردون على الحوض، حوض أعرض ما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم، قدحان من فضة، إنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين، كيف تخلفونى فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتى أهل بيتى، فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض.

وفى ضوء تلك الرواية فإن الشيعة جميعًا يعتبرون يوم غدير خم عيد يحتفلون به فى كل عام فى مساجدهم، يؤدون الصلاة فريضة ونافلة، ويتلون القرآن الكريم، والدعاء لله تعالى على إكمال الدين وإتمام النعمة بإمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

ويعتبر الشيعة حق على فى الخلافة والإمامة بعد رسول الله [أمرًا لا اختلاف فيه كالشمس فى رابعة النهار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥، ٥٦]، ولقد أجمع المفسرون منهم على أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب حين تصدق راكعًا فى الصلاة بخاتمه، وقالوا إن الله تعالى قد أثبت فى هذه الآية الولاية لنفسه، ولنبيه، ولوليه على نسق واحد، وقالوا إن ولاية الله عامة، وولاية النبى والولى مثلها وعلى أسلوبها، ويعبترون أن هنالك نصوص وأدلة قاطعة، وبراهين ساطعة على أن عليًا هو ولى عهد النبى وخليفته من بعده،، ووليه فى الدنيا والآخرة، وقد أثره بذلك على سائر أرحامه، ويدلون أنه أنزله منه منزلة هارون من موسى بقولهم: عندما استخلف النبى على بن أبى طالب على المدينة فى غزوة تبوك قال له الإمام على: أتخلفنى فى النساء والصبيان، فقال ﷺ: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من

موسى إلا أنه لا نبى بعدى.

وعلى العموم يتحدث عامة الشيعة فى مؤلفاتهم ويوردون أحاديث ونصوص كثيرة فى هذا الباب ويرون وجوب تعيين الإمام فى ضوء تلك الروايات كما يقولون: ما نزل فى أحد من كتاب الله ما نزل فى على، أنزل فى على ثلاثمائة آية من كتاب الله، وكل هذه الآيات تدل عندهم على أنه صاحب الحق الشرعى المنصوص عليه فى الخلافة والإمامة بعد النبى ﷺ.

وسنتناول هذا الموضوع بشى من التفصيل فى الصفحات القادمة.

* * *

---

(١) أخطأ صاحب المخطوط فى نسبة هذا الرأى إلى الجوينى لأن إمام الحرمين يقول: الصالح للإمامة هو الرجل الحر القرشى المجتهد الورع ذو النجدة والكفاية- ص٤٣ غياث الأمم. ط دار الدعوة.

وجوب نصب الإمام وتعيينه

الإمام: الكلينى صاحب أكبر وأشهر وأوثق كتاب فى عقائد الإمامية وفقههم ظل طوال فترة تاريخية مديدة لا يجرؤ أحد من أهل السنة أن ينقضه خشية أن يرمى بالجهل ولا من الإمامية خوفًا من الرمى بالمروق والردة فضلاً عن البطش والتنكيل، إلى أن قيض اللّٰه تعالى إمامًا من رموز الإمامية وشرح اللّٰه صدره للحق وحمل معوله وأقدم على «كسر الصنم» ونقض كتاب «أصول الكافى» وأورد ما فى الكتب المذهبية من الأمور المخالفة للقرآن والعقل ورد عليها ردًا يشفى غليل كل متعطش للحق، وفى الباب الذى نحن بصدده وجوب معرفة الإمام وتعيينه ذهب أية اللّٰه العظمى السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعى يورد روايات ومقالات الكلينى ويرد عليها، وحتى لا يقال: رجل من العامة، أو الصابئة كما يطلقون على أهل السنة قام لينقض أو ليهدم معتقدات قال بها الأئمة الأعلام نأتى بتصرف فى هذا الباب على ما قام به الرجل الذى كان من أئمة القوم ومن رموزهم ومراجعهم: اية اللّٰه العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعى.

فماذا يقول؟ فى كتابه «كسر الصنم».

* * *

باب معرفة الإمام والرد عليه

روى الكليني ١٤ حديثًا في هذا الباب يقول أن معرفة الأئمة من أركان الدين وأصوله وفي كل أمر ديني لابد من الرجوع عليهم، ويعلق الإمام أبو الفضل البرقعي ويقول: ويبدو أنه- الكليني- كان جاهلاً بالقرآن حيث أن القرآن بين أصول العقائد والإيمان والكفر وليس في آيات الله شيء من معرفة الإمام والرد إليه.

بل فيه ما يخالف هذه الأخبار المذهبية، لنتساءل هل العلوم الإسلامية يذكرها القرآن أم تذكرها أخبار المتذهبين المحرفين؟! فهل لو لم يكن هؤلاء الرواة الكذابون لم يكن يبقى للإسلام أصول وثقافة؟! قال الله في سورة البقرة الآية ٦٢: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فهما أمران يضمنان النجاة: الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر وفي آية ١٧٧ ذكر الله كل أصول الإسلام وذكر الله في آية ٢٨٤ ماذا يلزم للإيمان وذكر تعالى في سورة النساء الآية ١٣٦ كل أصول الإسلام والكفر، والإمام نفسه لابد أن يعرف ذلك ويعتقد به ولا فرق في الإسلام وأصول عقائده بين الإمام والمأموم، ولم يأت في القرآن نص يخص الإمام، فعلى الناس أن يعرفوا دين الإمام والمأموم، فعلى الناس أن يعرفوا دين الإمام ويسعوا لأن يكونوا أئمة للمتقين وذلك بكسب العلم والعمل كما ذكر في سورة الفرقان، فضلاً عن هذا فما هي طريقة معرفة الإمام؟ على سبيل المثال لنعرف ما اسم الإمام زين العابدين؟ وما اسم أبوه، وكم صلى وماذا عمل؟ هل كان من أرخ لهذه الأشياء وكتب ترجمة الإمام وعرفها للناس فهو شيعي، مع أن الأمر ليس كذلك. وإلا لابد أن يعتبر كل علماء أهل السنة وسائر علماء الأديان من الشيعة!!. ويختم تعليقه بقوله أليس للإسلام عقائد وشريعة يجب معرفتها أم أنه تكفي معرفة الرجال واتباعهم.

ثم يقول نحن نعتقد أن هؤلاء الرواة المختلقين لما شغلوا الناس بمعرفة الأكابر كانوا

يهدفون من وراء ذلك هدم أصول الإسلام والإسلام ليس دين عبادة الرجال والسادات والأكابر، بل إنه دين إيمان وعمل. إضافة إلى أنه يقول فى أخبار هذا الباب يجب معرفة الإمام والرد إليه، وهذا مخالف للقرآن ومخالف لعمل سيدنا الأمير ﷺ لأن القرآن يقول فى سورة النساء الآية ٥٩: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. يعنى ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله لا إلى أولى الأمر، وقال سيدنا الأمير ﷺ فى نزاعة مع معاوية بأنه مستعد أن يرجع إلى كتاب الله. ولم يقل ارجعوا إلى لأنى إمام.

وكذلك قال فى كتابه لمالك الأشتر، فكيف يقول الإمام الصادق إذن ارجعوا إليّ؟! ولقد أظهر الكلينى ورواته الإمام الصادق وسائر الأئمة أنفسهم مخالفين لأمر الله ومفسدين فى الدين وذلك عن طريق هذه الروايات المفتراة التى تقولها عليهم. ثم يعقب على كلام الكلينى بقوله: ويظهر من كتاب الكلينى أن عترة الرسول هدموا دين جدهم إلا أننا نعتبر هذه الروايات كذبًا وافتراءً ويعرج البرقعى على الحديث الأول عند الكلينى فى باب فى معرفة الإمام ويقول: فى متن الحديث الأول: قال السائل ما هى معرفة ا لله؟ فأجاب الإمام معرفة الله هى محب على ﷺ والاقتداء به وبأئمة الهدى، ونحن نسأل كيف عرف على نفسه الله تعالى؟ وفى نهج البلاغة يبدو أنه عرف الله دون أن يقتدى بنفسه وعرف القرآن دون أن يذكر اسم أحد من العباد فإما أن هذا الحديث باطل أو أن القرآن ونهج البلاغة باطلان- والعياذ بالله-(١).

(١) نهج البلاغة أغلبه باطل، وهو فى نسبته إلى على ﷺ موضوع مكذوب، وإن صحت بعض ألفاظه لكن من غير طريق الكتاب قال الذهبى فى ترجمة الشريف المرتضى على بن حسين بن موسى الموسوى (المتوفى سنة ٤٣٦): هو جامع كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلي الإمام على (بن أبى طالب)]، ولا أسانيد لذلك، وبعضها باطل، وفيه حق، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن أين المنصف؛ وقيل: بل جمع أخيه الشريف الرّى «سير أعلام النبلاء ٥٨٩/١٧-٥٩٠). وقال فى ترجمته ميزان الاعتدال (١٢٤/٣): وهو المهتم بوضع كتاب: نهج البلاغة.. ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على ﷺ ففيه السب الصراح والحط علي السيدين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة، والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل.

وقال ابن تيمية فى منهاج السنة (٥٥/٨-٥٦): فأكثر الخطب التى ينقلها صاحب «نهج البلاغة» كذب على على، وعلى ﷺ أجل وأعلى قدرًا من أن يتكلم بذلك الكلام.. لكن صاحب «نهج البلاغة» وأمثاله أخذوا كثيرًا من كلام الناس فجعلوه من كلام على، ومنه ما يحكي عن على أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به، ولكن هو فى نفس الأمر من كلام غيره.

وأما متن الحديث الثالث فيقول أن معرفة أئمتنا واجبة، نحن نقول إذا كان الأئمة مؤمنين فهل كان عليهم هذا الواجب واجبًا أم لا؟ هل هذا الحديث الذى يقول أى العامة (أى: أهل السنة) يعرفون خلفاءهم بوحى من الشيطان ولكن المؤمنين (أى: الشيعة) يدركون حق أئمتهم بوحى من اللّه!!.

نقول هل معرفة العامة (أهل السنة) بالخلفاء إلا على أساس أنهم مسلمون، فمعرفة الإمام إذن لابد أن تكون كمعرفة العامة للخلفاء، حيث يعتبر المؤمن الإمام مسلمًا ويحبه كسائر أهل الإيمان، وأما الغلو فلماذا؟ وبأى دليل؟.

يقول فى الحديث الرابع، إذا عرف أحد أى إمام من الأئمة ولم يعرف اللّه فهو ضال وهذا أمر جيد، وبناء عليه فإن أكثر الغلاة ومقلديهم من الرواة من الضالين، فلماذا أيها الكلينى، رويت فى كتابك أحاديثهم.

ويقول الراوى فى الحديث الثامن: من اختار دين اللّه وسعى فى عبادته ولم يعرف إمامه، فهل من شك فى صحة طريقه وإن كان لا يعرف شخصًا اتخذه مريدوه إمامًا؟ أرأيتم لماذا لا تتبعون الإمام الإلهى وهو القرآن وتتخذون لأنفسكم إمامًا من البشر، ونحن نسأل: أو ليس ذلك الإمام عبدًا للّه؟ والحق إن إمام الإمام وإمام المأموم لابد أن يكون القرآن فقط.

ويتضح هنا أن هؤلاء الرواة لم يكن لهم من هم سوى هجر القرآن واتخاذهم إمامًا من البشر ولو كلفهم ذلك أن يختلفوا إمامًا!!

وينتقل أبو الفضل البرقعى مع الكلينى حيث يورد من الأدلة والبراهين الموضوعة والمخلوطة ما يوهم به نفسه وأتباعه بأنه على صواب فيروى الكلينى فى باب فرض طاعة الأئمة سبعة عشر حديثًا وأكثرها من الأحاديث الضعيفة والمرسلة والمجهولة، يقول المجلسى بضعف كل من الثانى والثالث وأما الرابع فهو مرسل والخامس ضعيف، والتاسع ضعيف وأما العاشر والحادى عشر والثانى عشر فمجهولون، والثالث عشر ضعيف، والرابع عشر والخامس عشر مجهولان، والسادس عشر ضعيف والسابع عشر مجهول يقول الإمام أبو الفضل البرقعى وأما رواة هذه الأخبار فهم ناقلو الأخبار فى أكثر أبواب الكافى ومن المستحسن أن تنظروا روايات الحريز (الراوى) فى باب مواليد الأئمة فى الخبر الثامن، وأما على ابن إبراهيم «الرواوى الآخر» فهو يقول بتحريف القرآن وأبوه مجهول الحال ولمعلى ابن محمد روايات تخالف القرآن، لاحظوا رواياته فى باب مولد أبى جعفر

محمد ابن على الثانى وفى باب مولد أبى الحسن على بن محمد وكذلك فى الأبواب السابقة والتالية له، قد قال عنه علماء الرجال: إنه ضعيف ومضطرب المذهب وستأتى روايته فى باب: أن الأئمة خلفاء الله، والراوى الآخر هو حسن بن على الوشاء حيث له أحاديث كثيرة مخالفة للقرآن والعقل كما سيأتى فى باب عرض الأعمال، والأخر سيف بن عميرة الذى لعن من قبل الأئمة، والآخر على بن حمزة البطائنى الخان الذى اختلس أموال موسى بن جعفر وأسس مذهب الواقفية، والآخر سهل بن زياد الكذاب المعروف، والآخر منصور بن الحازم صانع الحجة! وغير ذلك من هؤلاء، ولست أدرى ما قيمة روايات يرويها هؤلاء؟! ومتن هذه الأحاديث، فى الحديث الأول أن معرفة الإمام وإطاعته من أفضل الأشياء واستدل بآية: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وما من أحد يسأل ما هى العلاقة بين هذه الآية وطاعة الإمام. فضلاً عن هذا، هل كان الأئمة معجبين بأنفسهم إلى حد أن يوجبوا طاعتهم ويستدلوا لأنفسهم بآية لا تتعلق بهم. والإمام الباقر نفسه قال إذا وردكم عنا حديث فاسألوا أين ورد هذا فى كتاب الله وفى أى آية (أى ما يؤيده). انظروا باب الرد إلى الكتاب والسنة الحديث الخامس. إن الأئمة كانوا تبعًا لكتاب الله وسنة رسوله ولم يكن لديهم سنة خاصة بهم.

إذن فآية– من يطع الرسول فقد أطاع الله– لا تتعلق بفضيلة الإمام، فضلاً عن هذا ترى من أيّة آية من القرآن استخرج وجوب طاعة الإمام؟ ليس فى القرآ آية كهذه. أجل طاعة ولى الأمر المطبق للكتاب والسنة واجبة ويأتى ذلك فى باب «أولى الأمر» وهم غير الأئمة الإثنا عشر فى الحديث الرابع: استدل على وجوب طاعة الإمام بالآية ٥٤ من سورة النساء ولا علاقة لها بالإمام إطلاقًا وقال الله فى تلك الآية: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ وقد وردت كلمة (آتينا) بصيغة الماضى ولما نزلت هذه الآية لم يكن الأئمة موجودين بل الله أعطى الملك والنبوة لآل إبراهيم فى الماضى أمثال سليمان ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى عليهم السلام.

ثم يعقب الإمام أبو الفضل البرقعى ويقول وهذه الآية لا تدل على المستقبل، هل الإمام حقًا لا يعرف الماضى من المستقبل؟! أم أن الرواة الوضاعون وضعوا الحديث؟! إضافة إلى ذلك إنكم تقرؤون فى دعاء الندبة وسائر الأدعية وتقولون للأئمة «إنى منتظر لدولتكم ومرتقب، ونصرتى لكم معدة حتى يمكنكم فى أرضه». فيبدوا أن أولئك الأئمة لم يتمكنوا فى الأرض بعد. فكيف قال ذلك الإمام إن أعطانا ملكًا عظيمًا، هل تريدون أن تهدموا

القرآن باسم الإمام؟ وتظهروا الإمام على أنه هادم للقرآن؟ يقول أبو الفضل البرقعي رادًا أحاديث الكليني في باب الإمامة: يقول في الحديث السادس: قال الإمام نحن محسودون. فلنسأل من هم حسادكم؟ ثم يقول نحن الراسخون في العلم. نقول أولاً: لا يحق للإمام أن يمجد نفسه بهذا القدر، وثانيًا وبنص القرآن لا ينحصر الراسخون في العلم بالأئمة ولا دليل لهم على ذلك في الحديث رقم ٧، ١٦ استدل الكليني على وجوب طاعة الإمام بالآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾... حيث تدل أن المولاة لا تتعلق بوجوب الإطاعة لأن هذه الآية وردت في سورة المائدة الآية ٥٥ ضمن الآيات التي تقول: ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ وبعد هذه الآية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة:٥٧]، وكل آيات هذه السورة حرب على الكفار من أهل الكتاب وتمنع موالاتهم وفي أثناء ذلك يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥].

لم ترد كلمة «الراكعون» بعد الصلاة بل وردت بعد الزكاة، أي يدفعون الزكاة برضاهم ورغبتهم. وهم على عكس المنافقين الذين يكرهون تأدية الزكاة. كما قال تعالى في سورة التوبة الآية ٥٤ بالنسبة لإنفاق المنافقين: ﴿وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]، معنى الولي هو الصديق ونحن يجب أن لا نغفل عن تناسب الآيات ونجعل كلام الله لا رابطة بينه ولا قرينة تجمعه. ومن إجل إطاعة الإمام نسقط ما في القرآن من الفصاحة ونختلق الحديث كما فعل علي بن الحكم الكذاب وهو نفسه راوي حديث سلسلة الحمار. وفي مسلسل إسقاط مفتريات الكليني ذهب البرقعي يرد الحديث الحادي عشر الذي أورده الكافي في باب الإمام ويقول في الحديث الحادي عشر: علي إن إبراهيم وصالح السندي المجهول يضعان أصول الدين للمسلمين ويقولون إن الإمام الصادق قال: «من عرفنا كان مؤمنًا ومن أنكرنا كان كافرًا ومن لم يعرفنا وينكرنا كان ضالاً» وهذا يخالف القرآن لأن القرآن يقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]، وفي هذا بيان لأصول الإيمان والكفر وقال تعالى في سورة النساء الآية ١٣٦: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾.

هل للّه أن يبين أصول الإيمان والكفر فى كتابه لرسوله أم لعلى بن إبراهيم وصالح السندى؟! ومعرفة الإمام ليست هى مناط الكفر والإيمان فى كتاب اللّه، هل وجود الإمام نفسه من أصول الدين لتكون معرفته من شروط الإسلام؟! أم أن الإمام هو أحد أتباع الدين؟! فى روايته رقم ١٦ جعل للقرآن قيمًا، وقال منصور بن حازم القرآن: ليس بحجة لأن كل فرقة تستدل به ولابد أن يكون له قيمًا وهو الإمام. والرد عليهم هو أنهم استدلوا بكلمات الإمام واختلفوا فيها أيضًا، أمثال الصوفية والشيخية والزيدية والواقفية والجعفرية الأصولية والأخبارية و...، وبناء على هذا المنطق لابد أن يكون للإمام قيم، وهو ليس حجة ولعلى الكلينى وعلى بن إبراهيم هما القيمان على الإمام! وأضاف إلى ذلك أن اللّه جعل القرآن هو الفصل فى الخلافات كما ذكر، وسيدنا الأمير عدّ القرآن حجة كافية كما مرّ فى الحديث ١٧: وأبدل بالآية ٧١ فى سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، وجوب إطاعة الإمام، ولكن الراوى المحرف قد عمل بالتحريف هنا أيضًا، ولم يأت ببقية الآية حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ [الإسراء:٧١]، ومعنى الإمام هنا هو لب الأعمال، يعنى أن الناس يحضرون مع أمامهم أى مع سجل أعمالهم. ولست أدرى كيف يتجرأ هؤلاء الرواة على اللعب بالقرآن وتحريفه باسم الإمام وباسم الدين وباسم النقل عن الإمام؟! أى يريدون أن يدعوا أن الإمام أراد أن يفسد كتاب اللّه ودين جده؟!.

وينتقل الإمام أبو الفضل البرقعى لينقض ما جاء عن الإمام الكلينى فى الكافى من أن الأئمة شهداء اللّه عز وجل على خلقه فيقول: اعلم أنه روى فى هذا الباب خمسة أحاديث تدل على أن الأئمة شهداء اللّه على الخلق: يقول آية اللّه أبو الفضل البرقعى ورواة هذه الأحاديث كلهم فاسدوا العقيدة وضعاف، كسهل بن زياد الكذاب المشهور الملعون، وزياد القندى الذى كان وكيلاً لسيدنا موسى بن جعفر فسرق أمواله أنكر شهادته وأوجد مذهب الواقفية، وكمعلى بن محمد الوشاء، وحس،و بن على الفضال، وسليم بن قيس الهلالى الذى له كتاب ملىء بالكذب، وعلى سبيل أمثاله كتب فى كتابه أن محمد بن أبى بكر وعظ أباه فى حال وفاته، مع أنه لما وفى أبو بكر كان محمد ابن سنتين فكيف يعظ ابن سنتين أباه؟! وكذلك كتب أن سليما عرض خبراً على الإمام حسن، والإمام حسين بعد وفاة معاوية وهما قد صدقا ذلك، وهذا المسكين لم يعرف أن سيدنا الحسين توفى قبل وفاة معاوية بعشر سنين، وهكذا.

وأما متون هذه الأحاديث ففيها استشهاد بالآية ١٤٣ من سورة البقرة تستنتج فيها

على أن الإمام شاهد على الخلق ونأتي بالآية لنفضح الكذابين الذين تلاعبوا بالقرآن، يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]. والظاهر من الآية أنكم تنظرون لأحوال بعضكم وتمنعون المنكر والرسول شاهد عليكم الآن، هذه الشهادة على الناس في أي وقت؟ طبعًا يكون الفرد حيًا وفي أثناء الاجتماع، ودليلنا آيات أخرى من القرآن، حيث أن القرآن يصدق بعضه بعضًا: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٦-١١٧]، إذن تكون النتيجة أن الأمة الإسلامية تشهد على الناس وتمنعهم عن الفساد ويكون الرسول شاهدًا على الناس مادامت الحياة. لا بعد أن أصبح ميتًا لا يدري عن هذا العالم شيئًا وفي عالم آخر حيث ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، وهي دار السلام.

أما إذا كان عالمًا بأحوال الناس وشاهدًا عليهم فلابد أن يحزن ويأسف، وفي عالم الآخرة لا تكليف على الأنبياء ولا على الناس. وبالإضافة إلى ذلك ما معنى أن يكون الأنبياء والأوصياء شاهدين على أخطاء المخطئين! فضلاً عن أن كلمة الشهادة وردت في الآية السابقة بنفس المعنى للناس ولرسول الله ﷺ، والكلمتان لهما معنى واحد. إذن رسول الله ليس ناظرًا بالمعنى الحسي المادي لأعمال الناس بعد وفاته فكيف بالإمام؟! وأراد الكليني أن يضع الإمام مكان رسول الله ليكون بعد ذلك شاهدًا وناظرًا للخلق ما دامت الحياة على حد قوله! ولذا جمعوا أخبارًا من الوضاعين والكذابين من الغلاة، حتى المجلسي نفسه ضعفهم وعدهم من الذين لا اعتبار لهم. وقال الله تعالى في سورة الحديد الآية ١٩: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

* * *

باب: أن الأئمة هم الهداة

روى الكلينى فى هذا الباب أربع روايات وضعف المجلسى اثنين منها، وقال بجهالة الآخر، وأما متنه: بين الإمام الآية ٧ من سورة الرعد، للراوى وهذه هى الآية: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ههنا قال الإمام: إن عليًا لكل قوم هاد، يقول الإمام أبوالفضل البرقعى وللرد نقول:

أولاً: لابد أن تعرف أن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥]، هل كان الإمام لا يعرف أن اسم على لم يرد فى الآية وفى آية مناسبة جعل عليًا هاديًا لكل قوم، أليس النبى هو الهادى إذا لم يكن النبى هو الهادى كيف يكون على هو الهادى؟، هل هو أعلى مقامًا من النبى؟.

وعلينا هنا أن ننبه إلى الرد هذا على مفتريات الإمام الكلينى بلسان وقلم رجل كان فى معظم أوطار حياته آية عظمى من آيات المذهب وأئمته، غير أن الله تعالى شرح صدره للحق فجأر به ولم يخش من الملامة، إنه يسترسل فى الرد على مزاعم الكلينى فى أن الأئمة هم الهداة فيقول أخبرونا من الذين هداهم على ولم يهدهم النبى ﷺ. أن الكفار طلبوا المعجزة من النبى وبأى مناسبة قال الله جوابًا للكفار أن عليًا هو الهادى. وبالإضافة على ذلك جعل اللَّه من واجب الأمة الإسلامية الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير والهداية، هذه الوظيفة لا تنحصر بعلى رضي الله عنه، إذن لأى سبب حصروا الهداية بعلى؟ إنّ هؤلاء الرواة الوضاعين أرادوا تخريب الإسلام عندما حصروا الهداية فى على، هل يمكننا تحريف القرآن بروايات موسى بن بكر الواقفى المذهب؟!!

وفى رد الإمام البرقعى على مفتريات الكلينى الذى يزعم أن الأئمة هم ولاة أمر اللَّه وخزانة علمه يقول ناقضًا ومسقطًا سند الكلينى ومتنه اعلم أنه روى ستة أحاديث فى هذا الباب وحتى المجلسى وهو من أئمة القوم يقول بضعف الأول وبجهالة الثانى والثالث

والرابع ولكننا نرى أنها كلها ضعيفة لأن راوى الحديث السادس هو سهل بن زياد الكذاب الملعون، وأن متون هذه الأحاديث تخالف النص القرآني مخالفة تامة، لأنه يقول فى هذه الأحاديث من جهته أن الأئمة ولاة أمر الله مع أن الله تعالى منزه عن ذلك فى أموره التكوينية ولا يحتاج فى أموره إلى والى. ثم يورد الإمام البرقعى من كتاب الله تعالى ما يدعو به رده على الكلينى فيقول قال الله تعالى فى سورة الإسراء الآية ١١١: ﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ وفى كثير من الآيات ننبىء أن الله تعالى أبلغ عباده أنه ليس للعباد ولى إلا الله، إذا كان العباد ليس لهم ولى ولا قيم فكيف يكون لله ولى فى أمره؟! فهل لواضعى هذه الأخبار عقل أم أنهم كانوا يستهزئون بالله؟!. قال تعالى فى سورة البقرة الآية ١٠٧: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾، وفى سورة الأنعام الآية ٥١: ﴿رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾، وفى سورة الكهف الآية ٢٦: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾ لا شك أن قبول بعض المسلمين لهذه الروايات المخالفة للتوحيد والعقل هو نتيجة ابتعادهم عن القرآن وعن الإسلام كليًا.

لو قصد من الولى هو الولى فى الأمور الشرعية لكان ذلك صحيحًا غير أنه لا ينحصر بالأئمة. بل من ينتخبه المسلمون أو حاكمهم لولاية الأمر فإنه هو ولى الأمر وينفذ أحكام الله ومن جهة أخرى يقول: إن الأئمة خزنة الله أو خزنة علمه. يقول الإمام البرقعى أو لم يفكر هؤلاء أن علم الله وسائر صفاته هى عين ذاته وإن ذاته لا تحدد فى خزينة[1]، قال تعالى لرسوله فى آيات متعددة بأنه ليس من خزنة الله فقد جاء فى سورة الأنعام الآية ٥٠: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾، فخزائن الله ليست لدى النبى ﷺ فكيف تكون لدى الإمام.

كل هؤلاء يعتبرون الأئمة أعلى مقامًا من الأنبياء وهناك كفر آخر فى هذه الروايات وذلك- والعياذ بالله- إن الإمام ادعى النبوة وقال: «نحن عيبَة وحى الله»، وقال فى مكان آخر: «نحن تراجمة وحى الله» يعنى أن ما يقوله الله ليس لأحد أن يترجمه، ونحن وحدنا الذين نرى ترجمته، يقول الإمام البرقعى ماذا نقول تجاه هذه المختلقات؟! وأسوأ من هذا

(١) هذا قول المعتزلة، والذى يشهد له القرآن والعقل الصحيح هو أن الصفة غير الموصوف، لكن الصفة تقوم بالموصوف، ولا تقوم إلا به، فصفات الله تعالى غير ذاته، وهى «أى الصفات» متعددة، ويجب الإيمان بها وإثباتها على حقيقتها.

ما ورد في الحديث الأخير حيث يقول الإمام والعياذ بالله، إن الله خلقنا فأحسن صورنا كأنه خلق كل الخلق بصورة قبيحة إلا الأئمة، وهؤلاء هم أحسن وأجمل من في الدنيا وجهًا. مع أن الله قال لجميع الناس في سورة المؤمن ويقال لها الغافر أيضًا: ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ إلى أن قال ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾. وقال في سورة السجدة الآية ٧ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، ليس الإمام وحده وقال للمؤمن والكافر في سورة التغابن ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾. ويتساءل آية الله العظمى أبو الفضل البرقعي بعد ذلك الرد الحاسم على مفتريات الكليني ومزاعمه في أصوله الكافي ويقول: إذن يحصر الإمام الخيالي للغلاة حسن الصورة بنفسه وماذا كان هدفه؟! ترى هل كان يريد أن يأتوه بمزيد من الإماء والجواري أكثر مما لديه، أم أنه كان يظن أن الله قليل الرحمة ببقية عباده، وبالإضافة إلى ذلك: أن هذا الحديث يخالف الحس والواقع إذ أن هناك من هم أحسن وجوهًا من الأئمة ألم يسمع هؤلاء بحسن يوسف عليه السلام. وبعد ذلك يقول في هذا الحديث: «وجعلنا خزان في أرضه وسمائه» هل الله بحاجة إلى خزنة في السماء!! وبعد ذلك يقول: «لما نطقت الشجرة يعني بذلك شجرة الطور عندما كلمت موسى عليه السلام والآن: لنسأل هل أنتم نفس سيدنا موسى النبي عليه السلام– أليس هذا ادعاء بوحدة الوجود وهو عين الكفر.

ثانيًا: هو يقول أن الشجرة هي التي نطقت بينما القرآن يؤكد أن الله تعالى كان هو الناطق، قال الله تعالى في سورة القصص الآية ٣٠: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وينبغي علينا هنا أن نوضح أن الشجرة لا شعور لها حتى تنطق، وهذه الشجرة ليست هي الله حتى تقول أنا الله، بل الله أوجد صوتًا في تلك البقعة المباركة في تلك الشجرة حتى تسمع موسى وتأمره[1] كما قال يا موسى أنا الله رب العالمين، ولما عد الشيخ الشبستري الصوفي في كتابه– «غلشن راز»[2]– الشجرة ناطقة وجعلها محقة لإدعاء الألوهية: يقول لما صارت الشجرة إلهًا وقالت أنا الحق فيحق لكل مرشد «من باب أولى» أن يقول أن الحق، يقول الإمام البرقعي: ونحن رددنا على كفرياته في كتابنا «غلشن قدس»[3]. وهو يقول شعرًا بالفارسي ما ترجمته: يجوز قول أنا الحق من شجرة، فلماذا لا يجوز من بشر.

---

(١) هذا تأويل لا يصح وهو خلاف القرآن الكريم، فالمتكلم هو الله تعالى، وموسى سمع صوت الله سبحانه وتعالى، هذه عقيدة الفرقة الناجية، وقول الشيخ هنا قول الأشاعرة وهو قول ينبغي نبذه ورده.

(٢) «غلش راز» معناه: حديثة الأسرار «م». (٣) «غلشن قدس» معناه: الحديقة الطاهرة «م».

بل ذرات العالم كلها كالمنصور «الحلاج» سواء اعتبرتها بسكر أو بغير سكر، بل أنا وأنتم وهو كلنا شيء واحد ولا تمييز في الوحدة. ونحن رددنا على هذه الخزعبلات في كتابنا «غلشن قدس» وقلنا إنكم أسأتم تأويل الآية القرآنية بتفسيركم بالرأى لأنه ليس في القرآن «نادت الشجرة» بل «نودى يا موسى إنى أنا الله »، ورددنا عليه شعرًا- بالفارسية- ما ترجمته:

لما نودى موسى فى الطور، خلق الله الصوت والصدى فى الشجرة[1] وسمع موسى قول الله- أنا الله رب العالمين ولست من جنس الأرض ولا السماء، إن الله منزه عن الشجرة وبرىء من قياس البشر، متى جاز أنا الحق من شجر ليكون جائزًا من بشر. وأما المنصور فمن ضلالته قال أنا الحق، والصوفية عدوها تجليًا. وجميع الناس يعلمون أن هذا القول كان خطأ وقد نطق الحلاج بالكفر عندما نطق بذلك.

وفرق بين الخالق والمخلوق. ومن يرى أنهما واحد فهو غارق فى الكفر، والذى يقول عن نفسه أنا الحق كافر مطلقًا، وليس لأحد أن يقول أنا الحق إلا الحق، ولا طريق لهم إلا التأويل حتى يموهوا على العوام. وكان قول: «أنا الحق» من شجرة، بإنشاء من الله ولم يكن إنشادًا من الله لأنه كان مما خلق، ولا يجوز القياس هنا، واعلم أن وجود الله ليس وجودًا مطلقًا حتى يسرى ذلك على كل المخلوقات، وليس وجودًا عامًا بل ذات الله وجود خاص مقيد بواجب الوجود، وهو غنى بذاته مباين عن الخلق الفقير بالذَّات، أما الصوفية فقد اعتبروا الله وجودًا عامًا- والعياذ بالله- تقليدًا للفلاسفة والعرفاء وعدوه ساريًا فى الممكنات، فهم يعتبرون الشجر والحجر والمدر كلها وجود واحد، كأن راوى هذا الحديث «السادس» سهل بن زياد الكذاب الخبيث المعروف كان مقلدًا للصوفية، ونسب هذا الكفر للإمام الصادق، وبعد ذلك يقول قال الإمام: «وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله» إى على يقين من أن العاقل لا يمكن أن ينطق بهذا الغرور ويعجب بنفسه وبعبادته، بل إن سيدنا الرسول ﷺ يقول فى دعائه- ما عبدتك حق عبادتك.

هذا وقد روى الكلينى ثلاثة أحاديث فى هذا الباب وعدها المجلسى ضعافًا، لأن رواتها لا اعتبار لهم، بل كانوا فاسدى الدين وأتوا بخرافات فى الإسلام، وأما متونها فتخالف العقل والقرآن، لأنه يقول إن الأئمة خلفاء الله، نقول: إن الإمام من البشر يحتاج

---

(١) هذا قول باطل وعار عن الصواب كما تقدم، بل موسى سمع صوت الله تعالى وكلامه ولذا سمي كليم الله.

كغيره من البشر إلى البول والغائط وإلا يمرض، والإنسان يموت بحمى بسيطة كيف يمكن أن يكون خليفة اللّه، بالإضافة إلى ذلك، أن الخليفة يكون عندما يذهب السلف أو يموت، ليجلس أحد مكانه، وليس بمقدور أحد الوصول إلى مقام الألوهية ليكون خليفته، قد أغمى نبى من الأنبياء كموسى لما لم يستقر الجبل فكيف يخلف المقام الإلهى الذى يدبر المليارات من المجرات يقول الإمام البرقعى لست أدرى حال هؤلاء الذين افترضوا خليفة للّه تعالى!!، هل لأنهم ما عرفوا اللّه أم أنهم ينكرونه مطلقًا؟! وكما يبدوا من القرآن أن البشر خلفوا الموجودات السابقة عليهم، الذين أفسدوا فى الأرض وأراقوا الدماء فأخلف اللّه نكانهم البشر، قال تعالى فى سورة البقرة فى الآية ٣٠: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، ولم يقل فيها خليفة لى أو خليفة اللّه، إذن فقد فهم الملائكة المخاطبين أن اللّه يريد أن يجعل خليفة بدل الذين فسدوا فى الأرض وأراقوا الدماء وهلكوا، وليس لأحد أن يدعى أنه يفهم خيرًا مما فهم الملائكة، إلا أن يخلق الرواة خليفة للّه كأمثال الراوى محمد بن جمهور، وعبد الله بن سنان اللذان هما من الغلاة، ومن مشاهير الكذابين، ونقل الكلينى هذه الأباطيل عن هؤلاء فقلده مجهتدو عصرنا! يقول تعالى لآدم وزوجته بعد ذلك بقليل: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ **[البقرة:٣٥]**، يبدو أنه كان هناك ظالمين من قبلهما وهما أصبحا خليفتان لهم. وهناك آيات أخرى تدل على أن كل البشر أصبحوا خلفاء للسابقين.

يقول الكلينى فى الحديث رقم ٣: إن الإمام الصادق ادعى أن الآية ٥٥ من سورة النور تطبق عليه إذ قال تعالى لرسوله وأصحابه مخطابًا إياهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي﴾. هذه الآية تستهل الخطاب بكلمة «منكم» فهى تقول يا أيها الذين آمنوا من أصحاب محمد سوف أجعلكم خلفاء المشركين وأعطيكم الدولة وأمكنكم، وهدف هذه الدعوة الإسلامية هو العمل بالتوحيد الخالص والبعد عن الشرك، ويبدو أن عبد اللّه بن سنان الكذاب لم ير كلمة «منكم» ونسب ذلك كذبًا للإمام قائلاً إن القصد هو التمكن من دولة الأئمة، مع أن الأئمة لم يكن لهم دولة، والشيعة العوام أيضًا اتبعوا عبد الله بن سنان، ويقولون إن المقصود هو دولة الإمام الثانى عشر، كان هؤلاء المدعون لم يروا كلمة «منكم»، تدل هذه الآية أن الدولة الإسلامية التى قامت فى عهد الرسول وخلفائه قد قامت

كما وعد الله وإلى هذا المعنى أشار الإمام على رضي الله عنه حين وقعت الحرب بين الفرس والمسلمين قال لعمر رضي الله عنه: «ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده».

وفى الحديث الثانى: فى هذا الباب نقل الرواة الكذابون كمحمد بن جعفر عن الإمام الصادق أن الأوصياء أبواب الله، ولكن عليًا رضي الله عنه قال فى نهج البلاغة فيما يتعلق بالخالق والمخلوق (فما قطعكم عنه حجاب، ولا أغلق عنكم دونه باب، وإنه لبكل مكان وفى كل حين وأوان) هنا نفى سيدنا الأمير أن يكون لله بابًا ولكن أبناءه قالوا نحن أبواب الله على حد قول الرواة المختلفين، وهذا الكلام أصبح حجة لأهل الباطل وجاء سيد محمد على الباب (زعيم البهائية) وقال أنا باب من أبواب الله التى أوردها الكافى فى كتابة.

ربما يقول رواة أحاديث النبى ﷺ أننا أبواب علم رسول الله ليأخذ الناس قوله عنا ونقل عن النبى ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلى بابه» (والحديث ضعيف بإسناده) ومع هذا لم يقل باب الله. وقال الإمام السجاد فى الدعاء الأول فى الصحيفة السجادية (الحمد لله الذى أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه).

ويواصل الإمام البرقعى الطرق على جنبات الصنم الذى شيده الكلينى فى أصوله وفروعه فيأتى على ذكره لمزاعم أن الأئمة هم أركان الأرض ويقول: روى فى هذا الباب ثلاثة أحاديث ضعفها المجلسى كلها، لأن أحد رواتها محمد بن سنان من الكذابين المعروفين ومن الغلاة قال علماء الرجال عنه ذلك، وهو الذى يقول إن الله خلق العالم ووكل أمر العالم لمحمد وعلى! وجلس يرتاح، والآخر سهل بن زياد الملعون الكذاب، والآخر على بن حسان من الباطنية، وكان له كتاب تفسير باطنى حيث عمد إلى التحريف فى الإسلام، هؤلاء الفسقة أتونا بما سموه مذهبًا!! وهنا يقولون إن الأئمة أركان الأرض وكل من لا يقبل ذلك فهو مشرك! ويقولون قال على: إن الجنة والنار بيدى وأنا الفاروق الأكبر، يعنى لما لقبوا عمر ابن الخطاب بالفاروق فأنا الفاروق الأكبر!! يقول الإمام البرقعى: بهذه الكلمات أتوا بمذهب جعلوا كل المذاهب الإسلامية يسيئون الظن به، لأن هذه الموضوعات وأمثالها بطلانها وتضادها مع العقل والقرآن بين، لذا لا حجة إلى المزيد من الشرح والتبيين، قال الله فى كتابه: ﴿وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم﴾، كى لا تضطرب ، أما هؤلاء فيقولون فى هذا الحديث إن الإمام ركن الأرض فلو لم يكن الإمام لاضطربت الأرض! هنا نتساءل، كيف كانت الأرض قبل خلق آدم وقبل قيام القيامة حيث لم يكن بشر ولا يكون، لا إمام ولا مأموم؟!. والجدير ذكره فى هذا المقام: أن مقالة خلق الله للعالم ثم أوكل أمره وتدبيره لبعض خلقه لكى يستريح مقاله يهودية وردت فى أسفار العهد القديم.

الأئمة ولاة الأمر
هم الناس المحسودون

فى قائمة المفتريات التى أوردها الإمام الكلينى فى كتابه.. أصول الكافى عقيدة المذهب من أن الأئمة هم ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله تعالى وقد تصدى له بمنهجه التصحيحى الإمام أبو الفضل البرقعى عندما ذكر أن الكلينى ذكر فى هذا الباب خمسة أحاديث تؤيد الزعم القائل بأن الأئمة ولاة الأمر فى هذا المذهب قد ذكرهم الله وراح الإمام البرقعى يقول: روى الكلينى خمسة أحاديث فى هذا الباب. وسند كل من الأول والرابع ضعيف والثانى مجهول على حد قول المجلسى، ولكن نرى أنها كلها ضعيفة لأن رواة هذه الأحاديث هم رواة الخرافات فى الأبواب الأخرى.

وأما متونها. سأل الراوى فى الحديث الأول: من هم أولوا الأمر: فلم يجب الإمام بوضوح بل تلى عددًا من الآيات القرآنية مشيرًا بأنهم محسودون، أجل، من هو الذى يخلو من الحسد، ألم يكن سيدنا يوسف ﷺ محسودًا من قبل إخوته؟ والخلفاء كانوا محسودين من قبل الذين لم يحرزوا مقام الخلافة، والسادات العلويون كانوا محسودين، ومن قبل أمثالهم من العباسيين والسادات العباسيين كانوا محسودين من قبل غيرهم، ولكن الإمام قرأ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤]، وقال هذا يتعلق بنا دون غيرنا ونحن المعنيون بها وحدنا، هذا الكلام من اختلاق الرواة قطعًا، لأنه فى وقت نزول هذه الآية لم يكن الإمام الصادق موجودًا كى يحسد، بل فى وقت نزول الآية لم تكن خلافة وإمامة ورياسة، وكان رسول الله ﷺ وحده إمامًا للناس، إضافة إلى أنه لو كانت كل آية تتعلق بواحد من الناس لصار القرآن لاغيًا بمجرد ذهاب هؤلاء الناس، وبغض النظر

عن كل هذا، اقرؤوا الآية وسياقها في سورة الناس الآية ٥٧: هذه الآية والآيات التي قبلها تتعلق باليهود، حيث ذهبوا إلى مكة وقالوا للمشركين أنتم أحسن من هؤلاء سبيلاً- أي من محمد ﷺ واتباعه، وأنزل الله هذه الآيات في ذم اليهود ولا تتعلق بإمام أصلاً، وبعد ذلك قال: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء:٥٤، ٥٥]، فمنهم- أي: من اليهود- وأيضًا أول الإمام هذه الآية لنفسه، مع أن القرآن ذكرها بصيغة الماضي (آتينا) ولا تتعلق بالمستقبل وبأئمة الشيعة، أجل، إن هؤلاء الرواة لم ينصبوا الإمام ليزرعوا التفرقة بين المسلمين ويستغلوا التعصب المذهبي ويصطادوا في الماء العكر.

مفتريات الإمام الكلينى حول الأئمة

من نافلة القول التأكيد هنا على أن كتاب: الكافى بأصوله وفروعه يعتبر العمدة والحجة فى تقرير قواعد المذهب الإمامى عقيدة وفقهًا بل أدبًا وأخلاقًا وسلوكًا، ومن هنا فإن ما جاء فى كتاب أصول الكافى يعتبر دينًا ومذهبًا وذلك على الرغم مما وقع فيه الكاتب من معتقدات ومقالات، لا تعتبر منهجًا باطنيًا أو تأويلاً وتلفيقًا عقديًا فقط، بل فى معظمه ما يخرج عن الملة ومن ذلك مثلاً وعلى ضوء ما توقف عنده الإمام آية اللَّه العظمى أبو الفضل البرقعى من أن الأئمة الذين يقول بهم دعاة المذهب قد ذكرهم اللَّه تعالى فى كتابه، وقد ذهب الإمام البرقعى وهو «يكسر الصنم» يعنى الباب الذى جاء عند الكلينى بعنوان: باب أن الآيات التى ذكرها اللَّه فى كتابه هم الأئمة وقد جاء عند الإمام البرقعى أنه رويت ثلاثة أخبار فى هذا الباب.

يقول المجلسى بضعف الأول والثانى وأن الثالث مجهول، وأن بعض رواتها من أسوأ خلق اللَّه، من بينهم أحمد بن هلال العبرتائى الخبيث الملعون المغالى والمرائى الذى كان يراءى بالتصوف كما نقل المقانى فى المجلد الأول من كتاب الرجال ص٩٩ والشيخ الطوسى والنجاشى وآخرون أن أحمد بن هلال حج أربعًا وخمسين مرة ذهب عشرين مرة منها ماشيًا، مع هذا لعنه سيدنا العسكرى] وسبه وطلب من اللَّه العذاب .

وكتب قاسم بن علا: أمرنا لك أن تعلم عن الرجل المرائى الصوفى أحمد بن هلال- لا رحمه اللَّه- ولا أزال أقول لا رحمه اللَّه ولا غفر خطاياه لأنه يتكلم برأيه وإن شاء اللَّه سيكون مثواه النار، نحن نصير حتى يقطع اللَّه عمره ونعلن لأصحابنا أنه ليس فى رحمة اللَّه، ونحن بريئون منه.

ثم يسأل الإمام البرقعى مستنكرًا منهج الكلينى ومصادره ويقول كيف روى الكلينى الروايات عن رجل كهذا؟!!، روايات هدفها الوحيد هو هدم الإسلام، إذ يريد الكلينى أن

يثبت مقام الإمام عن طريق هؤلاء الرواة، وينقل كل خرافة باسم الإمام وعلومه وعن رجال كهؤلاء، مثلاً روى فى هذا الباب هذا الراوى وأمية بن على وداود الرقى وهما من الغلاة، رووا عن الإمام الصادق تفسيرًا يتعلق بالآية ٤٢ من سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فيه أن الإمام قال إن الآيات التى كذبها آل فرعون، كنا نحن الأئمة تلك الآيات، يتساءل البرقعى ويقول: بالله عليكم إذا كانت هذه هى علوم الأئمة يعنى قولهم إن اتباع فرعون كذبوا بإمامة الإمام الصادق فكيف تكون علوم الآخرين!!! انظروا كيف يهزأ هؤلاء الرواة ويسخرون بكتاب الله، والعجب من المجلسى لماذا يؤول ويقبل الخرافات التي فى الكافى، وإذا كان فى الأساس هو التأويل والتوجيه فيمكن أن يؤول أى كفر وزخرف من القول ويوصف بالإيمان والحقيقة، هذه الخرافة فى الحديث الثانى نقلت عن الإمام الباقر، وروى عنه أيضًا في الحديث الثالث أنه قال، إن المقصود من الآية: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبا:١:٣]، هو سيدنا على ﷺ ، حيث تساءل كفار مكة فيما بينهم عن خلافته، مع أن مشركى مكة لم يقبلوا رسالة محمد ﷺ أصلاً.

وهذه السورة «النبأ» نزلت فى مكة وبما أنه في هذه السورة وردت أخبار القيامة فإن المشركين لم يقبلوها وتساءلوا فيهما بينهم عن خبر القيامة بدليل أنه جاء بعد هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا:١٧، ١٨]، إن «النبأ العظيم» هو خبر القيامة ولا علاقة له بالخلافة. وفى مكة كانوا لا يؤمنون بالرسول نفسه فكيف يعتبرون خلافة على نبأ عظيمًا. وبالإضافة إلى هذا إن النبأ العظيم ورد فى سورة ص أيضًا من الآية ٦٧، ٦٨، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ وهذه السورة مكية أيضًا إذ أن النبأ العظيم ليس عليًا مع أن سيدنا الأمير ﷺ يقول فى دعاء يوم الإثنين فى الصحيفة العلوية أنه يؤمن بالنبأ العظيم وقال أيضًا: «الحمد لله الذى هدانى للإسلام وأكرمني بالإيمان وبصرنى فى الدين وشرفنى باليقين وعرفنى الحق الذى عنه يؤفكون والنبأ الذى هم فيه مختلفون.

«ويعقب الإمام البرقعى على كلام أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ﷺ ويقول يبدو أن هؤلاء الرواة المختلفين لم يطلعوا على كلام سيدنا الأمير ﷺ نفسه، والعجيب أن الكلينى يريد أن يقول عن الآيات المذكورة أن المقصود منها هم الأئمة مستدلاً أيضًا برواية من لا دين لهم. واستطرد الإمام البرقعى يناقش وينقض مزاعم الإمام الكلينى حول كل ما

أورده عن الأئمة ونعتهم فى كتاب الله على ضوء ما يدعى الكلينى بالعلم فيقول إن الكلينى روى فى هذا الباب حديثين.

يقول المجلسى إن سند الأول مهمل ولكننا نقول إنه لا اعتبار له لوجود غير الله ابن المغيرة حيث يعتقد أن الإمام يعلم الغيب ويخبر عما فى ضمير الإنسان، وغيرها من العقائد الفاسدة، وقال الطبرسى إن الذى يعتقد أن الغيب يعلمه غير الله خارج عن الإسلام، وأما متنه فيقول ، عن الآية ٩ من سورة الزمر: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.

قال الإمام: إننا الذين يعلمون وأعداؤنا الذين لا يعلمون!!، أراد الكلينى بهذا الحديث أن يثبت إن كل من يصفهم القرآن بالعلم هم الأئمة، هذا وأمثاله من الأخبار تنافى القرآن والعقل، والله تعالى قد ذكر فى القرآن كثيرًا من الذين لم يكونوا أئمة وكانوا علماء، ومنهم العلماء المفرقين للجماعة! حيث سماهم العلماء، ففى الآية ١٩ من سورة آل عمران، سمى علماء اليهود علماء، ومثل الآية ٦٦ من آل عمران أيضًا، والآية ١٦٢ من سورة النساء وفى مئات من الآيات غيرها.

إذن لا تنحصر صفة العلم بالأئمة فى كتاب الله، ثانيًا: نزلت الآية ٩ من سورة الزمر فى مكة ولم يكن هناك أئمة حتى يذكرهم بصفة العلم ويستطرد الإمام المصحح البرقعى ينقض مفتريات الكلينى ويقول عنه إنه يدعى، إن شيعتنا وحدهم هم أولوا الألباب، وهم العقلاء، أما غيرهم فلا عقل لهم، وهذا لا يصح أيضًا، لأن الله تعالى قال في آخر سورة آل عمران الآية ١٩٠: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ ولا يخصص الشيعة فقط، بالإضافة إلى أنه من غير الصحيح أن يقول فى كل أبواب الكافى، أنا وأنا وأنا.. ويمجد نفسه مرارًا وتكرارًا ويقول أنا العالم فقط وأنا العاقل فقط وأنا الراسخ فى العلم فقط، هل تليق الإمامة بإمام كهذا؟! أجل يكون ذلك إمام المتكبرين لا إمام المتقين، فالكلينى ورواته نصبوا إمامًا متكبرًا معجبًا بنفسه، ثم إن ما نسب إلى الأئمة فى كتاب الكافى يكفى لكى يظهر أن إمام الكلينى المزعوم هو إمام جاهل خرافى لا علم له.

ثم يتوسع الإمام البرقعى ويقول: إن الزعم بأن الراسخين في العلم هم الأئمة فقط بالروايات التى أوردها الكلينى بغض النظر عن السند تخالف القرآن والعقل بل وحتى نهج البلاغة، وإسنادها أيضًا ضعيف جدًا وذلك لوجود على بن حسان المعالى الكذاب فى سنده

حيث كان له تفسير باطنى ليس فيه من الإسلام شيء وأيضًا لوجود عبد الرحمن بن كثير، الضعيف الوضاع ولوجود محمد بن أورمه المغالى الذى خلط فى كتبه الحق بالباطل وكان لا يعتمد عليه، وأما متنها: فقال الإمام في سورة آل عمران الآية ٧: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قال الإمام نحن الراسخون فى العلم، قد فصلنا نحن عن معنى هذه الآية فى مقدمة تفسيرنا للقرآن الكريم. يقول الإمام البرقعى ناعيًا عن الكلينى فيما ذهب إليه من روايات ومفتريات.

إن كثيرًا من الناس قد تنحوا عن القرآن وابتعدوا عنه بسبب هذه الروايات المختلفة، وعند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

فهؤلاء المغرضون يقولون إن فى القرآن آيات متشابهات، ونحن لا نفهم معناها ولا تأويلها وطبقًا لهذه الروايات من الكافى فإن من يعلمها هو الإمام وحده، ولأننا لا نفهم تلك الآيات ولا ندرى معناها فعلينا أن نغض البصر عن الآيات المتشابهات لأن الإمام قال لا يعلم تأويله أحد غيرنا، ومن جانب آخر إن الآيات المتشابهات غير معروفة وكل آية يمكن أن تكون متشابهة، إذن لابد أن نغض الطرف عن القرآن كله، ثم يعقب الإمام البرقعى ويقول هذا المنطق الخطأ وهذه المغالطة هى التى جعلت القرآن بعيدًا عن الناس، وكان بعد الناس عن القرآن الكريم تحت ظلال هذه الروايات المكذوبة! أما نحن فنقول لإيقاظهم- إذ أرادوا أن يتيقظوا:

أولاً: لم يقل اللَّه تعال بإن المتشابهات لا يفهمها أحد أو لا يدرك معناها، بل قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾، وتأويل الآية غير تفسيرها وبيان معناها، ولم يقل اللَّه لا يعلم تفسيرها ومعناها إلا اللَّه.. فلماذا تقولون لا نفهم تفسير الآية ومعناها، وأمرنا اللَّه تعالى بتدبر الآيات لفهمها، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ وقال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ لأن اللَّه وصف آيات القرآن بأنها ﴿آيات بينات﴾، ووصف القرآن بأنه ﴿كتاب مبين﴾ وأنه ﴿بيان للناس﴾، إذن التأويل غير التفسير، هل يمكن أن ينزل اللَّه آيات لا يفهمها أحد ثم يلزمنا بفهمها والعمل بها ويوجب العقاب على عدم فهمها والعمل بها؟! إن هذا عين الظلم والاستبداد واللَّه سبحانه منزه عنه. وأما معنى التأويل،

فهو التحقق الخارجي، مثلاً لما قال سيدنا يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يستطيع كل إنسان أن يفهم معنى الآيات وتفسيرها، أما التحقق الخارجي للآية فلم يعرفه أحد حتى وصل يوسف إلى الملك والسلطة، وجاء إخوة يوسف وأبوه وأمه وخضعوا لعظمته، هنا قال سيدنا يوسف عليه السلام هذا تأويل رؤياي من قبل، ومثلاً لما قال الله تعالى في سورة النبأ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ كل أحد يعرف معني هذه الآية، حيث ينفخ الصور يومًا ويأتى الناس أفواجًا، أما الوجود الخارجي للصور وتحققه فى الخارج على أى كيفية تكون، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى.

ثانيًا: الآية تقول لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، ومن قال إن الراسخين يعلمونه كان جاهلاً مخطئًا ولم يكن له علم بالعربية لأنه جعل- الواو- فى الراسخون واو العطف لا واو الاستئناف، ولم يدرك أنه لو كانت الواو عاطفة لأدى القول إلى الشرك والكفر وإن أى إمام لا يمكن أن يتفوه بمثل ذلك الجهل، لأن الواو إذا كانت عاطفة يكون المعني : كما يلي: لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ويقول الله والراسخون آمنا به كل من عند ربنا، مع أن الله لا يقول آمنا وكل من عند ربنا، لأن الله ليس له رب حتى يؤمن به، إذن الواو تكون للاستئناف كما جاء فى كتاب مغنى اللبيب لابن هشام وكتب اللغة الأخرى، إذن لا يفهم تأويل المتشابهات إلا الله، ولم يرد الله من أحد تأويل المتشابهات والعلم بالتأويل، ونحن لسنا مكلفين بالتأويل ولا يلزمنا العلم به، أما فهم الآيات والعمل بها فلا علاقة له بالتأويل(١) .

ثالثًا: روايات الكافى تقول إن الراسخين ينحصرون برسول الله والأئمة، هذا غلط ومخالف للقرآن ، لأن القرآن وصف علماء اليهود الذين لا يؤمنون بالقرآن الراسخين وقال في سورة النساء الآية ١٦٢: ﴿لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ إذا قيل لعلماء اليهود أنهم الراسخون في العلم فيكون علماء المسلمين من باب أولي راسخين فى العلم، والراسخ فى العلم يعني الذى يكون ثابتًا

(١) هذا كلام رجل موفَقٌ ومُعانٌ. قال ابن تيمية: فمن قال إن القرآن يجوز أن يشتمل علي ما لا سبيل لبعض الناس العلم به فقد أصاب، وذلك لعجزه، لا عن نقص في دلالة القرآن.. وإن أراد أنه لا سبيل لأحد إلى معرفة تفسيره فقط غلط، وإن قال: لا سبيل لأحد إلى معرفة حقيقته وهيئته ونحو ذلك فقد أصاب، فينبغي أن يعرف الفصل فى هذا الباب حتى يظهر الخطأ من الصواب. انظر (نقض التأسيس ٢/٢٠٠).

فى العلم وراسخًا فى المسائل لا يتزعزع ولا يتحير، إضافة إلى أن أمير المؤمنين ينسب إليه فى نهج البلاغة فى الخطبة رقم ٨٩: «واعلم أن الراسخين فى العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدود المضروبة دون العيوب، والإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح اللّه يكلفهم البحث عن كنهه رسوخًا، فاقتصر على ذلك». ثم يتوسع الإمام البرقعى ويقول بناء على قول سيدنا على فإن من لا يدخل فى الغيبيات معترفًا بعجزه وجهله هو من الراسخين، ويقول سيدنا السجاد أيضًا فى الصحيفة السجادية فيما يتعلق لك باعتقاده التسليم لمحكم آياته ويفزع إلي الإقرار بمتشابهه وموضحات بيناته.. واجعلنا ممن يعتصم بحبله، ويأوى من المتشابهات إلى حرز معقله ويهتدى بضوء صاحبه». إذن كيف حصر الرواة الكذابون الراسخين بالأئمة خلافًا لسيدنا على وسيدنا السجاد رضى اللّه عنهما. إضافة إلى ذلك إن الرسوخ فى بعض المسائل العلمية ليس لها أمرًا محصورًا لأحد، وروايات الكافى أيضًا لا تدل على الحصر، أما الآيات التي لها تأويل وهى من المتشابهات ولا يعلم تأويلها وتحققها الخارجى إلا اللّه فهى الآيات التى تتعلق بالقيامة والآيات التى تتعلق بصفات اللّه تعالى لأنه ليس لأحد أن يحيط علمًا بصفاته تعالى ولا العلم بحقائق القيامة إلا اللّه، ولكن معنى الآيات تفسيرها واضح لكل من يفهم وهو المقصود وما لنا بتأويلها.

* * *

الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت فى صدورهم

إن هدف الكلينى فى هذا الباب غير واضح ولا يعلم ماذا يريد أن يقول، فالله تعالى قال فى سورة العنكبوت الآية ٤٨ لرسوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ وبعد ذلك يقول تعالى فى الآية ٤٩: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وجاء الكلينى ونقل عدد من الرواة الذين يجهل حالهم أن الإمام الباقر أو الإمام الصادق قال: آيات الله فى صدورنا فقط وخاصة بنا وهذا باطل مخالف للقرآن.

القرآن ما أنزل لعدد خاص، ونرى فعليًا أن كثيرًا من العلماء كثير الرغبة إلى القرآن وفى صدورهم آيات من القرآن ولذا روايات الكلينى هذه هى خلاف الواقع، قال الله فى سورة الأنبياء الآية ١٠٩: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وليس هناك آية فى القرآن تقول: يا أيها الإمام أو يا أيها الأئمة كى تخص الأئمة، إذا ما الفائدة من جمع هذه الروايات المخالفة للقرآن ولماذا يسيئون إلى الأئمة ويظهرونهم بمظهر الجهل من جراء هذه الأخبار؟.. ثم يقول الإمام البرقعى وأما ما ذهب إليه الكلينى فى الكافى من أن من اصطفاهم الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة رضى الله عنهم فأخبار الكلينى مروية ورواياته فى هذا الباب مروية من راوية سيىء السمعة محمد بن جمهور الكذاب المعروف فاسد الحديث الذى روج الفسق والفجور بأشعاره ولذا ضعف المجلسى الخبر الأول والثانى والثالث، وأما متونها: قال الله تعالى في سورة فاطر الآية ٣٢ بعد ما قال إنا أنزلنا إليك القرآن: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فهذا القول:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني أمة محمد ﷺ حيث اصطفاهم وسماهم خير أمة قال تعالى في سورة آل عمران الآية ١١٠: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يقول الكليني في عنوان الباب أن أولئك العباد الذين أورثهم الكتاب واصطفاهم هم الأئمة الطاهرون وجاء بثلاث روايات من الذين لا اعتبار لهم ولا وزن يقول فيها قال الإمام نحن عباد الله المصطفون مع أن الإمام في هذه الروايات لم يقل ذلك بل قال رحمه الله السابق بالخيرات الإمام.

فإما أن الكليني لم يفهم قول الإمام وإما أنه أراد اتهامه. ثانيًا: صنف الله عباده في الآية السابقة إلى ثلاث فئات «سمى فئة منهم الظالم لنفسه» وإذا كان القصد من ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢] هو الإمام يلزم أن يكون الإمام ظالمًا لنفسه يقول البرقعي وعلينا أن ننظر مدى جهل الكليني عندما يدعي أن المقصود بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو الإمام. بماذا اصطفى الله الأئمة بالوحي أم النبوة؟ والغريب حقًا أن مدعي العلم والاجتهاد يقلدون رجلاً عاميًا كهذا.

وأما الحديث الرابع في هذا الباب، روى الكليني عن عدد من الجهال في قول الله تعالى: في سورة البقرة ١٢١: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ والمقصود من الآية أن هناك من اليهود والنصارى الذين لم يؤمنوا بالقرآن وهناك الذين يتأملون في القرآن ويتدبرون فيه ويدركون أن القرآن حق ويؤمنون به أما الكليني فقد نقل في معنى هذه الآية عن الذين عمدوا إلى التحريف المعنوي قال الإمام: الذين يتلون القرآن حق تلاوته ويؤمنون به هم الأئمة وحدهم مع أن هذا مخالف للواقع ويخالف القرآن نفسه.

وثانيًا: ذكر الله في القرآن في عدد من الآيات أهل الكتاب الذين آمنوا بالقرآن كالآية ١٩٩ من سورة آل عمران: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ وقال تعالى في سورة النساء الآية ١٦٢ عن اليهود: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ ويقول في مكان آخر عن النصارى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣]، وثمة مئات من الآيات الأخرى تدل على ذلك ألم ير الإمام الصادق هذه الآيات أو لم يعرفها؟ أم أن الكليني ورواته أرادوا اتهام الإمام؟!.

باب: أن الأئمة فى كتاب اللّه إمامان:
إمام يدعو إلى اللّه وإمام يدعو إلى النار

روى الكلينى فى هذا الباب روايتين كلاهما ضعيف، لأن رواة الأول من الغلاة ورواة الثانى أحدهما طلحة بن يزيد وهو مهمل ويقول المجلسى بضعفه وأما المتن الأول: ففيه يقول: قال الإمام لما نزلت الآية ٧١ من سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ ومعنى الإمام فى الآية هو سجل الأعمال بقرينة جملة «فمن أوتى كتابه» لأنه قيل عن الكتاب إنه الإمام كما قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف:١٢]، خاصة سجل الأعمال كما جاء فى آية ١٢ من سورة يس: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وقال سيدنا على فى الصحيفة العلوية «أشهد أن القرآن إمامى» وكذلك فى نهج البلاغة اعتبر القرآن إمامًا. ثم انتقل الإمام البرقعى إلى رواية الكلينى فى هذا الباب وقال:

على كل حال نقل الكلينى آية ٧١ من سورة الإسراء وقال المقصود من هذا الإمام أئمة أهل البيت مع أن اللّه قال: ﴿نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ وأمم الدنيا لهم أئمة كثيرة منهم أئمة الكفر ومنهم أئمة الإيمان وحصر كل ذلك بالأئمة الاثنى عشر خطا واضح ، ويعلق البرقعى ويقول: يبدو أن هذا الوضاع لم يعرف كيف يضع. على كل أراد الراوى أن يضع مذهبًا ولكنه لم يتقن ذلك بسبب جهله.

وأما متن الرواية الثانية عندما يقول الإمام إمامان أئمة الكفر وأئمة الإيمان يؤيد قولنا ولا يحصر الأئمة بالاثنى عشر.

باب: أن القرآن يهدى للإمام

اعلم أن القرآن هاد لجميع المؤمنين والمتقين وهو هاد للنبي ﷺ نفسه كما قال الله تعالى له: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ:٥٠]، إذن على كل إمام ومأموم أن يرجع إلى القرآن ويهتدى به وببركته، أما هؤلاء الغلاة فيتخيلون أن القرآن أنزل ليهدى الناس إلى الإمام، مع أن القرآن يهدى إلى الطريق المستقيم لا إلى الأشخاص، وهذا أمر واضح، على كل حال حرّف الكلينى حديثين، ورواته إما من الغلاة أو الواقفية من أعداء سيدنا الرضا ﷺ كإبراهيم بن عبد الحميد الواقفى إذ نقل الآية بعد آيات الإرث: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ لأنه كان معروفًا فى تلك الأيام أن يتعاقد اثنان على المودة والوفاء وأجيز ذلك فى الإسلام، وقد كان نص المعاهدة «تعاهدنا أن دمك دمى وثأرك ثأرى وحربك حربى وسلمك وسلمى تورثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عنى وأعقل عنك».

ولما تعاقدا توارثا، وإلى هذا العقد تشير الآية: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾. إما الكلينى أو رواته كسروا الهمزة فى ﴿أَيْمَانُكُمْ﴾ التى هى بالأصل مفتوحة وروى عن الإمام أو افترى عليه القول إن المقصود من هذه الجملة الإمام حيث يقبل إيمانكم عن طريق هؤلاء الأئمة، لاحظوا مدى جهل هؤلاء لا يفرقون بين الفتحة والكسرة، ويريدون أن يخرجوا الإمام من هذه الآية وإن كانت كلمة الإمام لا تتفق مع عنوان الباب لأن عنوان الباب هو أن القرآن يهدى الناس إلى الإمام، ولا يستنتج هذا من هذه الآية وأنا لا أظن أن هذا التحريف وقلب الفتحة كسرة كان سهوًا، بل صانعوا المذهب أبطنوا سوءا.

وأما متن الحديث الثانى: فنسب للإمام قولاً ليثبت أن القرآن هاد للإمام بعد ما أورد

الآية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٩]، قال الإمام: ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ هو الإمام، ولم يصل فهم الراوى إلى أن «التى هى» مؤنث وليس لنا إمام مؤنث! وهذه الآية لا تتعلق بالإمام إطلاقًا. يقول الإمام البرقعى: هل الكينى كان جاهلاً إلى درجة أنه لم يفهم هدف الرواة من وضع هذه الروايات؟! ولماذا قبل الشيعة هذه الأحاديث وعدوها من عقائدهم!!. ثم انتقل الإمام البرقعى يكسر الصنم الذى شيده الكلينى فى «الكافى» ويهدم الباب الذى خصصه لعرض الأعمال على النبى ﷺ والأئمة وهم يعلمون أعمال الناس خيرها وشرها، وأحد هؤلاء الرواة هو على بن أبى حمزة البطائنى الذى أسس مذهب الواقفية، وأكل أموال سيدنا الكاظم، ولعنه الإمام الرضا، والآخر عثمان بن عيسى شريكه فى الاختلاس والخيانة، والآخر عبد الحميد الطائى، وأمثال هؤلاء سعوا كلهم فى تشويه القرآن ووضع الروايات المخالفة له منها ما روى فى هذا الباب من أن الأعمال تعرض على الأئمة استنادًا إلى ما جاء فى الآيتين ٩٤، ١٠٥ من سورة التوبة حيث قال تعالى للمنافقين الذين لم يحضروا غزوة تبوك وجاءوا ليعتذروا من النبى ﷺ بعد رجوعه لهم ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا﴾ وعليكم أن تفادوا ذلك فى المستقبل حتى يرى الله والمؤمنين أعمالكم ونحن سنأتى بالآية كى تظهر خيانة الرواة ولكى يتبين أن هذه الآيات لا علاقة لها بعرض الأعمال على الأئمة ولا تتعلق بعرض أعمال المؤمنين إطلاقًا.

قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٩٣، ٩٤].

وبعد عشر آيات قال تعالى مرة أخرى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وينبه الإمام البرقعى الدارس ويقول أنظر الخطاب بقوله تعالى: ﴿لاَّ تَعْتَذِرُوا﴾ و ﴿لَكُمْ﴾ و ﴿أَخْبَارِكُمْ﴾ و ﴿عَمَلَكُمْ﴾ إنهم المنافقون الذين كانوا عند حضرة النبى ﷺ واعتذروا، إذا ما علاقة هذه الآيات بالمؤمنين الذين يأتون بعد ذلك؟، وما علاقتها بالمؤمنين الذين كانوا فى عصر النبى ﷺ حيث قال تعالى أيها المؤمنون اعملوا سيرى رسول الله أعمالكم فى عالم الآخرة بعد وفاته وتعرض أعمالكم عليه وعلى الأئمة، انظر مدى التحريف والتلاعب بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ وقد كررها فى الآية ١٧ من سورة الإسراء والآية ١٨ من سورة الفرقان، والله ستار على ذنوب عبيده ولا يرضى أن يعلم ذنوب عباده غيره- تعالى-

يقول الله لرسوله في سورة التوبة الآية ١٠١: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ وقال تعالى في الآية ٤٣: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ وقال تعالى في الآية ٢٠٤ من سورة البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

إذن، كيف يقول الرواة الكذابون إن الأئمة مطلعون على أعمال العباد خلافًا للقرآن، بالإضافة إلى أن النبي والأئمة في عالم آخر وقال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:١٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢].

وإذا عرض عليهم سوء أعمال الأمة مثلاً فإن ما يعرض عليهم هو مدى إراقة الدماء ومدى العصيان والخيانة والجناية ومدى الكذب على المنابر على الله ورسوله هل يعرض كل هذا على النبي ﷺ حتى يحزن دائمًا!! ولا فائدة من ذلك أيضًا، وسيبقى الناس على حالهم، هذه هي نتيجة البعد عن القرآن واتباع الخرافات التي يأتي بها الرواة، ألم يروا قوله تعالى في سورة المائدة الآية ١٠٩ بأن الأنبياء لا علم لهم بأعمال الأمة: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا﴾ ألم يروا قول عيسى عليه السلام بما يفيد بأنه لا علم له بهم بعد ما توفاه الله ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية ١١٧ من سورة المائدة، ألم يروا قول نوح عليه السلام في سورة الشعراء الآيتين ١١٢، ١١٣: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ومئات الآيات الأخرى، التي تدحض قول الأئمة ومزاعمهم: يقول الإمام التصحيحي الذي كشف زيف الكليني في هذا الباب وغيره نعم يروي الكليني الجاهل بالقرآن في هذا الباب عن عثمان بن عيسى الخائن عن الإمام «ما لكم تسوءون رسول الله ﷺ فقال رجب كيف نسوؤه؟ فقال أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوءوا رسول الله وسروه» واستدل الإمام بالآيتين ٩٤و ١٠٥ من سورة التوبة، حيث لا علاقة لهما بعرض الأعمال، يبدو أن الراوي أراد أن يظهر الإمام جاهلاً بالقرآن. ثم ينقد الإمام البرقعي مزاعم الكليني في دعواه أن الأئمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة فيقول: لم يرو الكليني أكثرمن ثلاثة أحاديث في هذا الباب والمجلسي ضعف اثنين منها وقال عن الثالث إنه مرسل، أحد رواته ربعي بن عبد الله

ويبـدو من روايتـه فـى أبواب أخـرى أنه لـم يؤمن بالقـرآن، والآخـر زياد بـن منذر يعنـى أبو الجارود صـانع المذهب ومنه مذهبًا السرحوبية والجارودية، ولعنه سيدنا الصـادق وقال هو أعمى القلب والبصر، وهو الذى شرب الخمر وكان يصـادق الكفار وكان كفيفًا ويقال له سرحوب نسبة إلى شيطان ساكن فى البحر يسمى بالسرحوب!.

ما قيمة روايات هؤلاء الكذابين؟! وأما متن هذه الروايات: إن الإمام مدح نفسه كثيرًا، مثلاً قال نحن شـجرة النبوة ومحل الرسالة والملائكة تراودنا، ونحن سـر اللّٰه وأمانته، ونحن حـرم اللّٰه الأكبر، ونحن كذا وكذا، مع أن أميـر المؤمنين ينسب إليـه فى نهج البلاغـة فى خطبة رقم ٢١٤: «فلا تثنوا على بجميل ثناء» وقال تعالى فى سورة النجم الآية ٣٢: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ فضلاً عن هذا كله ما فائدة هذه الروايات فى الكتب التى تدل على العجب العجـاب، إلا الغلو ومدح الرجال والأئمة والغفلة عن دين اللّٰه؟، ولم يغفل الناس عن أصل الدين إلا عندمـا بدأوا بمدح الرجال وتعظيمـهم، وجعلوا هذا الثناء والمدح من أصل الدين وفرعه، ومهما كان الإمام عظيمًا فعليه أن يتبع الدين لا أن يكون أصل الدين أو فرعه ثالثًا: ما معنى أن الأئمة سر اللّٰه؟ ما هذا؟ هل دين اللّٰه سرى؟!.

ما معنى نحن معبر الملائكة؟ إذا كان ذلك كذلك فلماذا تقولون أن الوحى انقطع بوفاة النبى ﷺ لماذا يقول الشيخ مفيد إن الذى يدعى الوحى للإمام قد خرج عن الإسـلام كما جـاء بالتـفـصـيل فى باب الفرق بين الرسـول والنبى المحدث، إذن يتـبين أن هؤلاء الرواة أرادوا إغـفـال الناس عن أصل الدين عن طريق هذه الروايات، لما قـال الإمـام نحن حـرم وجاريات للحرم، وما هذا الإله الذى يصفونه بما يشاؤن؟ سبحان اللّٰه عما يصفونه وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

الأئمة ورثة العلم
يورث بعضهم بعضاً

هذا وقد نقل الكليني في هذا الباب روايات على توارث العلم، وهذا يخالف الشرع والعقل لأن أمير المؤمنين ﷺ قال مكرراً: علمني رسول الله، ولم يقل ورثني رسول الله العلم، قال جابر بن عبيد الله كما نقل المقاني في رجاله ص١٩٩ وغيره من علماء الرجال عنه: (أنا رأيت محمد بن علي الإمام الباقر ﷺ في المكتب إذ قال سيدنا السجاد ﷺ له: ذهب ابني إلى المكتب للتعلم أرسل إليه ليأتي، قال جابر أنا ذاهب لزيارته وزد على ذلك أن هناك ألوف الروايات قال فيها الأئمة حدثني أبي عن آبائه أو أخبرني أبي عن آبائه ومن جملة الأخبار ما قاله سيدنا الرضا في النيسابور: حدثني أبي موسى بن جعفر.. إلى الآخر، إذن علم الأئمة كغيرهم من الناس كان عن طريق التعليم والتعلم ولم يكن بالإرث، لأن العلم والمعرفة يكونان إما بالكسب والتعليم أو بالوحي وحيث أن هناك إجماعًا على عدم نزول الوحي على الإمام فيكون علمهم بالتعليم والتعلم قطعًا، والعلم عن طريق الإرث لا يصح، لأن لكل إمام أبناء عديدون فكيف يرث أحدهم العلم عن أبيه ولا يرثه الإخوة الآخرون؟ يقول البرقعي: هذا الكليني ورواته كانوا حفنة من الجهال وعديمي التبصر والدراية كالصوفية، إذ الصوفية تقول إن سلسلة الإرشاد تصل إلى ابن المرشد بالإرث.

وهؤلاء يقولون أن العلم يصل إلى الابن عن طريق الإرث!! وهم بذلك لم يعملوا الفكر ويتأملوا ليعلموا أن الإرشاد والدعوة إلى دين الحق واجبان على كل المسلمين لا يأتيان إرثًا لشخص معين وكذلك التعلم فـ (طلب العلم فريضة على كل مسلم) إمامًا كان أو مأمومًا فضلاً عن هذا كله فإن روايات هذا الباب تخالف روايات باب فقد العلماء في هذا

الكتاب نفسه روى عن الإمام الصادق قال: (إنّ أبى كان يقول إن اللّه لا يقبض العلم بعدما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم) إلا أن يكتب ذلك فى كتاب أو كراس إذن كل عالم يذهب علمه وتزول محفوظاته الذهنية بموته وقبض روحه، ولذا قال الإمام الصادق فى باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة (القلب يتكل على الكتابة) وقال فى حديث آخر (اكتبوا فإنكم لا تحفظوا حتى تكتبوا) والسادات الأئمة أنفسهم كان لهم كتب جامعة أخذوها عن آبائهم وكان الرسول ﷺ يحبب للمسلمين أن يقيدوا العلم بالكتابة كأن الكلينى هذا لم يكن مطلعًا عن باب آخر من كتابه! وهو باب رواية الكتب، وجمع الأضداد فى الكافى، يقول فى باب لابد من كتابة العلم وفى باب آخر يقول لا يلزم ذلك، وعلم الأئمة عن طريق الإرث وبذلك يكون كأنه لا يعتبر الأئمة من البشر، وفضلاً عن هذا، لا فضيلة لعلم يكون عن طريق الإرث وفضل العلم لكسبه وتعليمه ومشقته على ما ذكرنا أن يكون الباب التالى أيضًا مخالف للقرآن والعقل.

* * *

الأئمة ورثوا علم النبى
وجميع الأنبياء والأوصياء

روى الكلينى فى هذا الباب عدة روايات كلها تخالف صريح آيات القرآن ومعظم رواته من الضعفاء كعلى بن حكم راوى سلسلة الحمار، وعبد الرحمن بن كثير الضعيف فاسد العقيدة والغالى، وزرعة بن محمد الواقفى الذى عده علماء الشيعة من الكلاب المطورة، وأما متن الروايات: فى الحديث الأول قال الإمام: (نحن أمناء الله فى أرضه) هنا لابد من التساؤل: على أى شىء كانوا أمناء الله؟ قال تعالى فى آخر سورة الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ هل أراد الراوى أن هذا الإنسان الظلوم الجهول الذى قبل الأمانة هو الإمام وإلا فليس لله أمانة خاصة، وبعد ذلك يقول: قال الإمام (إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق) وهذا يخالف صريح القرآن لأن الله قال لنبيه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة:١٠١]، هذا من جانب مع أن النبى ﷺ كان يعاشرهم وعلى الرغم من ذلك ما علمهم، أما الإمام الذى لم يعاشر أحدًا ولم يعرف اسمه كيف يعرف ومن أين له إذا رأى أحدًا من الناس بأنه مؤمن أو منافق؟ هل هذا الإمام الذى نقل عنه الراوى كان جاهلاً بالقرآن كالراوى نفسه؟ نحن نقول لا الإمام الصادق من العرب خبير بالقرآن لكن هؤلاء الرواة هم الذين أظهروه بمظهر المخالف للقرآن ثم أن الله قال لرسوله فى سورة الأحقاف الآية ٩: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ﴾ أما هؤلاء الرواة المخالفون للإسلام

فيقولون إن الإمام يعرف إيمان أو نفاق كل واحد يراه حتى إنهم يقولون إن الإمام قال نعلم أسماءهم وأسماء آبائهم وذلك مكتوب عندنا مع أن الله قال في سورة البقرة الآية ٢٥٥: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ ويقول أيضًا: قال الإمام: (نحن المخصوصون في كتاب الله) مع أن الله قال: ﴿هذا بيان للناس﴾ و ﴿هدى للناس﴾ و ﴿يا أيها الناس﴾ و {وما أرسالنك إلا كافة للناس} ولم يقل للإمام أو المأموم خاصة هل غرض هؤلاء أن يجعلوا القرآن كتابًا خاصًا ويبعدون الناس عنه ويبعدون القرآن عن الناس؟ كما فعلوا ذلك ويقولون أيضًا قال الإمام: نحن الذي شرع لنا دينه فقال في كتابه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ ويتلظى الإمام البرقعي ويعلو صوته أيها القارئ الذكي لاحظ إلى أي حد وصلوا في تحريفهم القرآن، هذه الآية في سورة الشورى الآية ١٣: قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ لا يوجد في هذه الآية يا آل محمد أنظر كيف كذبوا على الله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ وأنا أجزم أن هؤلاء الرواة لم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر، وإلا لما كذبوا على الله كل هذا الكذب، وفي الأصل هذه الآية نزلت في مكة ولم يكن لمحمد ﷺ آل ولم يكن إمام ووصاية، ثم يقول هنا الله في هذه الآية: (لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين من أشرك بولاية علي) أيها المحرفون تعالوا واقرؤوا بأنفسكم الآية في سورة الشورى، يقول الإمام البرقعي: كنت أفكر عند (باب: إن الأئمة هم الراسخون) لماذا يصر هؤلاء الكذابون على أن يكون الأئمة هم: (الراسخون في العلم) والآن أدركت السبب. إنهم يصرون على ذلك ليوهموا اتباعهم أن ذلك منزل في القرآن، حيث إذا ما استشكل أحدهم فإنهم يقولون في جوابهم له: هذا تأويل الآيات، والإمام هو الذي يعلم وأنتم لا تعلمون، وبعد ذلك ليدركوا إن الراسخين لا يحق لهم تأويل الآية أيضًا، بل التأويل خاص بالله تعالى كما ذكر، وبالإضافة إلى ذلك قلنا إننا لسنا مأمورين بالتأويل، وإذا لم نعرف التأويل فيكفي أن نعرف المعنى وما تدل عليه الآيات والذي يريد أن يتلاعب بالقرآن سوف نفضحه، يقول الراوي في هذا الباب في الحديث الثاني قال رسول الله أن محمدًا ورث علم من كان قبله من الأنبياء المرسلين وهذه مخالفة صريحة لما جاء في القرآن لأن القرآن نزل على النبي بعد الأربعين من عمره، ويقول الله له في سورة الشورى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا

الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ وقال فى سورة القصص الآية ٨٦: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ والنبوة لا تورث أصلاً وهى تفضل الهى وتكون عن طريق الوحى لا عن طريق الإرث، وإلا فعن من ورث سيدنا آدم ﷺ النبوة، إن الراوى الوضاع لم يعرف كيف يضع! لابد أن يقول إنى ورثت لا أن محمداً ورث: على كل حال الراوى الجاهل صنع ما شاء، ولكن العجب من مدعى العلم والاجتهاد أن يقلدوا فى الأصول والفروع الكلينى الذى بضاعته قليلة.

يقول فى الحديث الثالث: أن محمداً ورث سليمان وأنا ورثنا محمداً. كيف ورث محمد ﷺ من سليمان حيث قاس الإمام الصادق الأمر على نفسه وقال أما ورثنا محمداً؟
والإسلام لم ين على القياس، هل كان محمد ﷺ ابن سليمان؟، هل وصلت نبوة سليمان إلى محمد ﷺ بالإرث؟ لقد دام كتاب الكافى بخرافاته هذه طوال ألف عام بين أيدى الأمة ولم يقدم أحد ليدرسه ويدقق فيه كى يرى ما جمع الكلينى فى كتابه من خرافات! بل ازدادو تقليداً على مر الأيام، وفضلاً عن هذا سمع الراوى فى هذا الحديث والحديث الرابع هذه الأكذوبة واستغرب وسأل الإمام أهو العلم؟ فأجابه الإمام، ليس هذا هو العلم، بل هو شىء يحدث لنا يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، ذلك العلم الذى يأتيه ساعة بعد ساعة. هل هو شىء أعلى من الوحى؟ لأنه قال عن العلم الذى ورث من الأنبياء ليس علماً والعلم الذى يصله يوماً بعد يوم.. هو العلم، هل يجوز التلاعب بعقول الناس، هل هناك أخبث من هذا التلاعب بالإسلام؟ هل يمكن للإمام إن يقول مثل هذا، وهنا مجد الإمام نفسه كثيراً، وجعل نفسه خيراً من الأنبياء وأعلى مقاماً فى الرواية السابقة، هل يصح هذا، مع أن الإمام نفسه إذا لم يؤمن بالأنبياء الذين ذكرهم لا يكون مسلماً وأما أسخف السخافات التى أوردها الكلينى وردها الإمام البرقعى فهو جاء فى الكافى من أن الأئمة عندهم العلم يجمع الكتب التى نزلت من عند اللّٰه وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها وقد روى الكلينى فى هذا الباب حديثين قال المجلسى بضعف الأول وأن الثانى مجهول، نعم فمن رواتهما سهل بن زياد الكذاب وبكر بن صالح وهو لا نظير له فى سرد الروايات التى لا واقع ولا صحة لها، ولا اعتبار لأخباره.

وأما متنها فهما على خلاف الواقع ويخالفان القرآن، يقول فى الحديث الأول: قال الإمام: أن اللّٰه لا يجعل حجة فى أرضه يسأل عن شىء فيقول لا أدرى، مع أن رسول اللّٰه كان حجة وكم سئل وأجاب لا أدرى واصبروا حتى ينزل الوحى، وكم قال فى القرآن: (ما

أدرى) و (إن أدرى)، وقال الله له: (لا تدرى)، و (ما أدراك) و (ما يدريك) وقال فى الخبر الثانى، كنا عند الإمام وأردنا أن نستأذن، ثم سمعناه يتكلم بكلام غير عربى، ويستنتج الكلينى من هاتين الروايتين أن الإمام يعرف اللغات جميعًا، مع أن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف اللغة العبرية، لغة اليهود فى المدينة، كما جاء فى سورة البقرة الآية١٠٤ قال اليهود: (راعنا) لم يفهم الرسول ﷺ قصدهم فقد أرادوا الإساءة إليه حتى نهى الله عن ذلك وقال: ﴿ لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ إذا عرف سليمان منطق الطير فلا علاقة للأنبياء الآخرين بذلك، لأن الأمور الدينية لا تثبت بالقياس، والرسائل التى أرسلها النبى ﷺ إلى الناس للدعوة الإسلامية كانت باللغة العربية وإما فى فرية المفتريات التى أوردها الكلينى فهو الباب الذى جاء عنوانه:

لم يجمع القرآن إلا الأئمة
وأنهم يعلمونه كله

وقد روى الكلينى فى هذا الباب ستة أحاديث ضعف المجلسى خمسة منها، ونحن نضعفها كلها، لأن فيها رواة متهمين كمنخل الغالى والضعيف الذى كان يبيع العبيد، كمحمد بن سنان وهو من الكذابين المشهورين ومن الغلاة، وكسهل بن زياد وقد لعن من قبل الإمام، وكعلى بن حسان المغالى الباطنى الكذاب، وكعبد الرحمن ابن كثير فاسد المذهب وقد اجتمع فى هذه الروايات كل العيوب والمفاسد التى انتشرت فى غيرها، وأما متن هذه الروايات فمن شأنها كلها نسف الدين وتخريبه.

يقول الرواى فى إحدى الروايات- نعوذ بالله- لم يجمع أحد القرآن بل لا يعلمه أحد إلا على بن أبى طالب، يريد أن يقول أن الكتاب الذى بين أيدى المسلمين لا يحوى كل الآيات وهو ناقص، لأن عليًا لم يجمع ذلك، وقرآن على ﷺ اختفى أيضًا وبقى لدى الأئمة ولم يظهروه لأحد، ولا يعلم ذلك إلا حفنة من الكذابين كسهل بن زياد، وعلى بن حسان مع أن الله نص على حفظ القرآن فى عشرات من الآيات، وتعهد الله تعالى أن يحفظ القرآن من الزيادة والنقص قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١، ٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

ثم يقول هؤلاء إن عليًا ﷺ كان متعلمًا والرسول الأكرم ﷺ علم الأميين القرآن كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]، ومن جهة أخرى يقولون أن الرسول ﷺ علم القرآن لعلى وحده، ولم يفهم القرآن إلا على!!.

فى الحديث الخامس: يقول هؤلاء الكذابون فى الآية ٤٠ من سورة النمل حيث قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ قال الذى عنده علم الكتاب- ملك أو أصف بن برخيا-. قال الإمام نحن عندنا علم الكتاب كله، ولم يبين أى كتاب، فإذا أراد بالكتاب القرآن فإن القرآن لم يكن فى زمن سليمان حتى يعرف آصف بعض ذلك ويعرف الإمام كل ذلك! وما هدف هذه الرواية أنها تريد أن تقول أن آصف أتى بالسرير ونحن قياسًا على هذا نأتى بالأرض والسماء، هل يمكن التمسك بكذب كهذا، لا يجوز القياس بهذه الأمور وخاصة قياس غير الأنبياء على الأنبياء، والمفسرون أرادوا الاحتمالات لإحضار السرير، مثل أن اللَّه أعدم ذلك وأوجده عند سليمان أو أحضره الملك بأمر اللَّه وبعضهم قال: إن سليمان نفسه أحضره أو من الأرض رئى فيها نورًا، وقال سيدنا على رضي الله عنه فى الأدعية، والإمام الصادق إن سليمان دعا وطلب من اللَّه وبسبب دعائه أحضره اللَّه، إذن الذى تدعيه الغلاة من هذه الآية على الولاية التكوينية المطلقة لكل إمام لا يصح بوجه من الوجوه، لأننا ولو قلنا ذلك جدلاً كان ذلك بدعاء أو بفعل آصف، مع أن آصف لم يكن له ولاية تكوينية لا على العالم كله ولا على بعضه.

يقول فى حديث آخر، لما قال الكفار فى آخر آية فى سورة الرعد آية ٤٣ لما قالوا نحن لا نقبل رسالتك قال اللَّه: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال الإمام هنا، يعنى أن عليًا وأولاده يشهدون بأنى رسول اللَّه يقول الإمام البرقعى فى رده على هذه الكفريات هل يعقل أن يقول الكفار إننا لا نقبل رسالتك فيقول اللَّه الحكيم لهم، اذهبوا واسألوا عليًا وهو طفل فى بيت رسول اللَّه حيث تكفى شهادته.

* * *

باب: نادر فيه ذكر الغيب

جاء فى هذا الباب الرابع من كتاب الكلينى «الكافى» روايات كلها متناقضة ومتعارضة مع بعضها البعض، وهؤلاء الرواة المجهولون على حد قول المجلسى الذى عد الروايتين مجهولتين، كأنهم أعرضوا عن القرآن وكان لهم عداوة معه!!.

فإنهم لم يقرؤوا صريح آياته ليعلموا أن الله تعالى أعلن فى سورة النمل الآية ٦٥: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ﴾ وقال لرسوله فى سورة الأنعام الآية ٥٠: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ وقال فى سورة يونس الآية ٢٠: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ وكثير من الآيات الأخرى، إذن ما غرض ذلك الرجل الفارسى المجهول الذى جاء ذكره فى هذا الباب حين سال الإمام: هل تعلم الغيب؟ فأجاب الإمام يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم. وقال: سر الله عز وجل أسره لجبرائيل وأسره جبرائيل لمحمد وأسره محمد إلى من شاء الله، لابد أن يقال هل الله يمزح فى القرآن[1]- والعياذ بالله- حيث يبسط الغيب للإمام حينا ويعطى سره لجبرائيل، إلى آخر الحديث أليس هذا تلاعب بكلمات الله، وبدينه وبكتابه؟! هل يعطى الله سره لأحد وهل أعطى محمد سر الله لمن شاء؟! لابد أن يوضح هنا كى يفهم الغلاة: أن الله يكشف لرسوله المصطفى المختار الأخبار الغيبية التى لا يعرفها أحد ويطلعه على ذلك أحيانًا كما جاء فى سورة الجن الآية ٢٦، ٢٧: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وكما جاء فى سورة هود الآية ٤٩: بعد بيان قصة نوح، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ وبعد أن يوحى الله لبعض

---

(١) أكثر الشيخ الذى تجاوز عمره الثمانين من هذا الأسلوب فى كتابه، ولو أعرض عنه لكان أولى فإن مجرد هذا الحديث عن الله وإن كان بصيغة الاستنكار لا يطمئن له القلب ولا يرتاح له.

رسله بعض تلك الأخبار الغيبية فإن ذلك الرسول يخبر أصحابه وأمته بها ويؤمن بها الإمام والمأموم على حد سواء، وكما قال فى سورة البقرة الآية ٢، ٣: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ والرسول الكريم وأصحابه وأمته الأتقياء يصدقون بذلك ا لغيب ويؤمنون به ويعدون من المؤمنين بالغيب، إذن يصبح رسول اللّه والمتقون من أصحابه وأمته مؤمنين بالغيب لا عالمين به، لأن العالم بالغيب هو اللّه تعالى الذى يعرف الغيب بنفسه ولم يأخذه من أحد، على خلاف الرسول وأتباعه الذين يؤمنون بأخبار الغيب، إذن العالم بالغيب هو اللّه وحده والمؤمنون بالغيب هم عبادة المتقون، هذا الأمر بهذا الوضوح لم يفهمه الرواة ولا الناقلون عنهم، وكانوا لا يفكرون إلا بإغداق الصفات والخصال الخارقة للإمام وحده.

فى الخبر الأول أجاب الإمام بجواب لا يتعلق بالغيب أصلاً، وفى الخبر الثانى قال الإمام: للّه علم مفيض يفيضه على الملائكة وللّه علم موقوف عن... ولكن ما جواب الآية: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ وما هو؟ ومن هو؟ لم يبين ذلك، وأما فى الخبر الثالث فقال صراحة: يا عجبًا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ما يعلم الغيب إلا اللّه عز وجل، وسدير وأبو بصير اللذان أحبا أن يعظما الإمام، اختلفا مع الإمام بعد المجلس حيث لم يعجبهما أن يصغر الإمام نفسه بأن يقول لا أعلم الغيب وأراد منه أن يعظم نفسه قليلاً ويثنى على علمه وعندها صنعًا أخبارًا لا توافق القرآن ومن المؤكد أن الإمام الذى يجب عليه أن يكون عالمًا بالقرآن لا يقول كلامًا كهذا، لأن هذا الإمام نفسه يقول فى صدر الحديث لقد هممت بضرب جاريتى فلانة فهربت منى فما علمت فى أى بيوت الدار هى؟ كيف يقول فى آخر الخبر أنا أعلم الغيب ويقول أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أمّن عنده بعض علم الكتاب؟ ولما قال تعالى فى سورة الرعد الآية ٤٣: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.

قال الإمام: والذى عنده علم الكتاب، قد أشارت الآية إلينا، ونحن الذين عندنا علم الكتاب، والآن لابد من أن نتأمل فى هذه الآية، هذه آية من سورة مكية، الكفار الذين قالوا لمحمد لست مرسلاً ولست رسولاً من اللّه، فأجابهم اللّه بجواب لابد أن يكون مقنعًا وكافيًا، فبماذا أجاب؟ قال: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ وأما قوله تعالى: ﴿عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فعلى قول الشيعة- مثلاً-: المعنى على وأولاده رضى اللّه عنهم، هل الكفار الذين لا يؤمنون للنبى يقبلون شهادة على الذى ربى فى بيت النبى ولم يكن عمره يتجاوز عشر سنوات

وربى فى بيته وأولاده الذين لم يولدوا بعد؟! هل شهادة هؤلاء تكفى الكفار؟! الذين لا يقبلون كلام محمد، هل يستجيبون لكلام صبى فى بيته!! هل كلام الله لغو- والعياذ بالله- فاعلم أن القول الصحيح أن الله قدم شاهدين لصدق رسالة محمد ﷺ وصحتها، ليؤمن الكفار به، الأول شهادته نفسه أنه نزل إليه كتاب يعجز الناس كلهم عن إتيان سورة مثله، والآخر شهادة الذين يعلمون التوارة والإنجيل، وهم أهل الكتاب الذين رأوا اسم محمد ﷺ ووصفه فى كتبهم ودليلنا على هذا المعنى الآيات القرآنية الأخرى، فقد استشهد الله بشهادة علماء أهل الكتاب للكفار كالآية ١٩٧ من سورة الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وقال فى سورة القصص الآية ٥٢و ٥٣: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾ وقال فى سورة العنكبوت الآية ٤٧: ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وقال فى سورة الأعراف الآية ١٥٧: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ وقال فى سورة المدثر الآية ٣١: ﴿وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وقال فى سورة الأنعام الآية ٢٠: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ وفى سورة التوبة الآية ١٤٦ وفى سورة آل عمران الآية ٨١ وفى كثير من الآيات الأخرى، وفى غالب السور المكية وكلها شاهدة على أن المقصود من آية: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ التى وردت فى آخر سورة الرعد هم علماء أهل الكتاب، كما جاء فى السورة نفسها الآية ٣٦: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فكل هذه الآيات تصدق وتفسر بعضها بعضًا. وشهادة علماء أهل الكتاب الذين آمنوا فى ذلك الزمن كما جاء فى سورة المائدة الآيات ٨٢ إلى ٨٥، تتبين هذه من تفسيرهم للآية أى من هو ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ . هل يأتى هؤلا الغلاة العوام ليفسروا طبقًا لرواية الكافى أن الله قال فى هذه الآية أن: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو على وبنوه، حيث أن لهم ولاية تكوينية على العالم كله بدليل أن عندهم علم الكتاب كله؟!!، هل يمكن أن يكون الإمام الصادق جاهلاً بكل هذه الآيات القرآنية فيتبع الغلاة ويقول إن الله قال للكفار أن يسألوا صبيًا كان فى بيت محمد؟ وقال فى الرد على الكفار إنه سيكون ولى أمر العالم صبيًا. هل يعقل كل هذا؟ لابد لمقلدى الكلينى أن يحجموا عن تقليده.

وفى كتب مدعى العلم فى زمننا هذا دعوى لتقليد الكلينى وهم يستدلون بهذه الرواية وهذا التفسير لهذه الآية. وأن عليًا عليه السلام متصرف بالكون وأمور العالم كله. إذن نحن بناء على قول سيدنا الرضا عليه السلام حيث قال فى هذا الكافى نفسه فى باب إبطال الرؤية (إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها) نكذب رواية الكلينى هذه.

فى الحديث الرابع: من هذا الباب يقول عمار سابطى الفطحى المذهب: سألت الإمام هل يعلم الغيب؟. فقال: لا. ولكن إذا شاء أن يعلم فإن اللَّه يعلمه.

لابد أن يقال لهذا الراوى الكذاب: يظهر من كلامكم أن اللَّه عندما قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ [الحشر:٢٢]، وحصر علم الغيب به وحده كان هذا باطلاً- والعياذ باللَّه- وأن الإمام وحده يمكن له أن يعلم الغيب. ثم هل يوحى إلى الإمام؟ فإن كان يوحى إليه فلماذا قال سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام (ختم بمحمد الوحى)؟، ثم هل يتبع اللَّه الإمام ويطيعه ليعلم الإمام كلما شاء الإمام نفسه؟!!..

الأئمة إذا شاؤوا
أن يعلموا علموا

روى- الكليني- في هذا الباب ثلاثة أحاديث عن رواة كذابين، كسهل بن زياد، حيث قال: إن الإمام إذا شاء أن يعلم فإن الله يعلمه.

هذه الأخبار تخالف العقل والقرآن، لأن مشيئة الله وإرادته ليستا تبعًا للإمام، فيعلم الإمام متى شاء ذلك. بل ليس هذا تابعًا حتى لمشيئة الرسل، فقد دعى الرسل، ولم يجبهم الله تعالى إلا عندما شاء هو ذلك.

قال الله تعالى في سورة الإنسان في الآية ٣٠: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وقال في سورة التكوير الآية ٢٩: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

يقول الله تعالى في هاتين الآيتين إن مشيئتكم تابعة لمشيئة الله وأنه لابد من أن تطلبوا الهداية والتوفيق منه. ونحن قد أردنا لكم الاختيار والمشيئة.

ويقول الإمام الصادق في دعائه: يا من يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره.

ويخلص الإمام البرقعي في نقضه لكتاب «الكليني» الكافي إلى أن روايات هذا الباب تخالف العقل والقرآن معًا، لأن أي عقل سليم لا يمكن أن يدعي أن الله تعالى تابع لعبده إلا عقول الغلاة الجهال الكفرة.

* * *

الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون

فى نقض «الكافى» واسقاطه يقول الإمام البرقعى هذا الباب الذى خالف القرآن صراحة جاء فيه عدة أحاديث وهى كلها إما ضعيفة أو مرسلة، وعد المجلسى سبعة منها مرسلة وضعيفة، ونحن نعجب فأى كتاب هذا الذى يسعى فى جمع أخبار أكثرها تخالف القرآن أو تغالى فى تعظيم الأئمة؟!، وكأن هؤلاء يعتبرون قول سلمة بن الخطاب المغالى وسهل بن زياد الكذاب وأمثالهما خير من قول اللَّه تعالى.

وروى فى هذا الباب فى الحديث الأول عن سلمة بن الخطاب المغالى وعبد اللَّه بن القاسم البطل وهو أيضًا من الغلاة ومن الكذابين: إن كل إمام لا يعلم ما الذى سوف يحدث له وما يؤول إليه فهو ليس بإمام ولا حجة. مع أن اللَّه تعالى قال لرسوله ﷺ فى سورة الأحقاف الآية ٩: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ هل يعقل أن رسول اللَّه الذى يوحى إليه لا يدرى ما يفعل به وما يحصل له فى حين أن الإمام الذى لا يوحى إليه يعلم ذلك.. أى دين هذا الذى اختلقه الغلاة؟!.

جاء فى هذا الباب: قال الإمام أنا أعلم متى أموت، ولكن اللَّه قال فى سورة لقمان الآية ٣٤: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ وفيما نسب إلى- أمير المؤمنين فى نهج البلاغة فى خطبة رقم ١٤٧ قبل وفاته وبعد أن أصابه ابن ملجم: (أيها الناس كل امرىء ملاق ما يفر منه فى فراره، والأجل مساق النفس والهرب منه موافاته، كم أطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى اللَّه إلا إخفاءه.

هيهات علم مخزون) وقال فى هذه الخطبة بناء على آيات القرآن أن لا علم لأحد بوقوع الموت وكذلك قرأ فى خطبته رقم ١٢٨ الآية ٣٤ من سورة لقمان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويقول بعد ذلك فهذا من علم الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله. وهذا الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله ولا يعلمه نبى ولا وصى. ويقول فى رسالته رقم ٢٣ بعد أن جرحه ابن ملجم حيث لا علم له بموته: (إن أبق فأنا ولى دمى وإن أفن فالفناء ميعادى). وفى رسالته المعروفة لمالك الأشتر النخعى (الرسالة رقم ٥٢ من نهج البلاغة) وبما أنه لم يكن يعلم وقت موته يقول: (وأنا أسأل الله سعة رحمته أن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة).

وكان فى دعواته دائم الخوف طالبًا للشهادة كدعائه فى خطبة رقم ٢ من نهج البلاغة، وكذلك فى دعائه فى حرب صفين قبل أن يرفع معاوية المصاحف على السيوف قال: (فإذا كان ما لابد منه الموت فاجعل منيتى قتلاً فى سبيلك). وكذلك فى دعائه فى صفين: (وإن أظفرتم علينا فارزقنا الشهادة) وكذلك فى سائر دعواته ﷺ.

إذن يتبين طبقًا لكلام الله ورسوله وأمير المؤمنين أنه لا علم لأحد بوقت موته سواء فى ذلك الإمام أو المأموم، والناس فى الإسلام سواء لا فرق بين إمام ومأموم فهو ليس دينًا عنصريًا.

وأما تفسير الآية فإن علماء أهل الكتاب الذين آمنوا فى ذلك الزمن كما جاء فى سورة المائدة الآيات ٨٢ إلى ٨٥، تتبين هذه الحقيقة من تفسيرهم للآية أى هو ﴿مَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ . هل يأتى هؤلاء الغلاة العوام ليفسروا طبقًا لرواية الكافى أن الله قال فى هذه الآية أن ﴿مَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هو على وبنوه، حيث أن لهم ولاية تكوينية على العالم كله بدليل أن عندهم علم الكتاب كله، هل يمكن أن يكون الإمام الصادق جاهلاً بكل هذه الآيات القرآنية فيتبع الغلاة ويقول إن الله قال للكفار أن يسألوا صبيًا كان فى بيت محمد وقال فى الرد على الكفار إنه سيكون ولى أمر العالم صبيًا. هل يعقل كل هذا؟ بم سيجيب الكلينى ورواته الله تعالى يوم القيامة حين يسألهم عن تلاعبهم بآيات القرآن إلى هذا الحد؟!. فلابد لمقلدى الكلينى أن يحجموا عن تقليده.

وفى كتب العلم فى زمننا هذا دعوى لتقليد الكلينى وهم يستدلون بهذه الرواية وهذه الآية. وهى أن عليًا عليه السلام متصرف بالكون وأمور العالم كله. إذن نحن بناء على قول سيدنا الرضى عليه السلام حيث قال فى هذا الكافى نفسه فى باب إبطال الرؤية: (إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها) فهو يكذب رواية الكلينى هذه.

فى الحديث الرابع: من هذا الباب يقول عمار سابطى الفطحى المذهب: سألت الإمام هل يعلم الغيب؟. فقال: لا. ولكن إذا شاء أن يعلم فإن اللَّه يعلمه.

لابد أن يقال لهذا الراوى الكذاب: أيظهر من كلامكم أن اللَّه عندما قال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ وحصر علم الغيب به وحده. كان هذا باطلاً- والعياذ باللَّه- وأن الإمام وحده يمكن له أن يعلم الغيب.

ثم هل يوحى إلى الإمام؟.. فإن كان يوحى إليه فلماذا قال سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام (ختم بمحمد الوحى)؟، ثم هل يتبع اللَّه الإمام ويطيعه ليعلم الإمام كلما شاء الإمام نفسه؟.

أما الكلينى ورواته فخلافا للقرآن والعقل وقول سيدنا الأمير رضي الله عنه يريدون أن يجعلوا الإمام عالمًا بوقت موته. أليس هذا الإمام الذى يقولون عنه بأنه يعلم وقت موته؟، أليس هو من الذين يتبعون القرآن أم لا علم له بالقرآن، أم أنه جاء بمذهب جديد. أم ترى أن الرواة يكذبون عليه؟!.

وفى الحديث الثانى نقل عن شيخ مجهول من وعاظ السلاطين دخل السجن بدعوة من السندى بن شاهك رئيس شرطة هارون الرشيد، ونقل عن موسى بن جعفر رضي الله عنه قوله: أنى أموت بعد غد. فهل كان موسى بن جعفر جاهلاً بالقرآن وصداقًا فى حدسه أم أن هذا الشيخ كان يكذب فيما قاله؟!.

وفى الحديث الرابع: سأل حسن بن الجهم- واللَّه يعلم هدفه- سأل الإمام، بل لقد شكر الأشياء التى سمعها من الغلاة أن أمير المؤمنين كان يعرف قاتله والليلة التى يقتل فيها- وسمع صياح الأوز الذى كان يخبر عن موته- (أى أن الإوز- نعوذ باللَّه- تعلم الغيب وهى التى أخبرت عن موته) وطلبت أم كلثوم إليه أن يصلى فى البيت ولكن سيدنا الأمير لم يقبل وخرج تلك الليلة بلا سلاح مع أنه عرف قاتله من قبل سيفه- وهذا ليس جائزًا له- فأجابه الإمام الرضا، نعم هكذا كان ولكن قدر اللَّه وما شاء فعل، وتمسك سهل

بن زياد الكذاب وعدد من الرواة مثله بهذه المقولة من أن أمير المؤمنين كان يعلم بموته، وهذا افتراء وكذب بدليل ما ورد فى خطبة فى نهج البلاغة الخطبة ١٤٧ أو فى سائر خطبه حين قال بأنه لا يعلم وقت موته، وهذا كذب على اللّه كذلك.

فالقرآن إذا نزل خلافًا للواقع- والعياذ باللّه- بناء على أقوالهم، فهم يدعون أن الإمام يعلم كل شيء ولذا بناء على رواية سهل بن زياد الفاسد لمذهب لابد أن يعلم الإمام وقت موته وهنا يقال:

عندما قال اللّه سبحانه فى القرآن: ﴿لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، كان هناك استثناء آخر وهو أنه لا يعلم الغيب إلا اللّه والإوز؟!. [تعالى اللّه].

وفى الحديث الخامس: روى شيئًا عجيبًا يخالف كل العقول، حيث قال الإمام الكاظم أن اللّه غضب على الشيعة وخيرنى إما أنا أفتدى بنفسى أو أفتدى بشيعتى.

لابد هنا من طرح هذا السؤال: هل يوحى إلى الإمام؟ ولماذا يغضب اللّه على أهل السنة مثلاً، إضافة إلى أن الإمام أشرف من المأموم عندهم فهل يفتدى الأدنى بالأعلى؟.

فإننا مثلاً لا نجد من يفتدى أغنامه بولده إلا عند على بن إبراهيم وأمثاله من الرواة والكلينى، والأعجب من ذلك أنهم تمسكوا بهذا الحديث الفاضح واتخذوه دليلاً على علم الإمام بموته مع أنه لا علاقة له أصلاً بذلك.

وفى الحديث السادس: نقل عن الإمام الرضا أنه قال لرجل يسمى المسافر: إنى رأيت رسول اللّه فى المنام ليلة أمس وقال: يا على ما عندنا خير لك. واستدلوا بهذا على أن الإمام يعلم وقت موته. مع أن هذا القول لا يدل على ذلك إطلاقًا.

إن هؤلاء يريدون أن يثبتوا بهذه الأقوال الواهية المتحيرة أن الإمام- خلافًا للقرآن- يعلم وقت وفاته ولقد فرق هؤلاء بين القرآن وما عليه الأئمة رضى اللّه عنهم، وجعلوا كلا الطريقين مخالفًا للآخر.

وكذلك فى الحديث السابع، يقول: قال الإمام الباقر: صاح أبو زين العابدين من وراء الجدار، وقال: يا محمد تعال وعجل. واستدلوا بهذا على علم الإمام بموته وهذا لا يدل على ذلك وهو كالخبر السابق.

وفى الخبر الثامن: روى على بن الحكم الخرافى راوى حديث سلسلة الحمار، وسيف بن عمير الملعون الذى لعن من قبل الأئمة على حد قول المقانى أن الإمام الحسين خيّر بين أن ينتصر ويهزم حكومة يزيد وبين أن يقتل ويلقى اللَّه. واختار الإمام الحسين القتل بناء على رواية هؤلاء الكذابين الوضاعين لم يقم الإمام الحسين لدفع ا لظلم ونشر العدالة بل قام للقتل أيضًا مع أن الإمام الصادق قال: قتل الحسين كان مصيبة فوق المصائب. ويقول سيدنا الأمير ﷺ فى رسالة رقم ٤٥ من نهج البلاغة بشأن معاوية:

(سأجهد فى أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد)، ويكتب لعمرو بن العاص فى رسالة رقم ٣٩ من نهج البلاغة: (فإن يمكن اللَّه منك ومن ابن أبى سفيان أجزكما بما قدمتما وإن تعجزا وتبعثرا فما أمامكم شر لكما).

إذن بناءً على هذا إذا كان الإمام الحسين راغبًا فى القتل لم يصب الإمام الصادق وسيدنا الأمير ﷺ، نعوذ باللَّه من أفكار الغلاة، ويستطرد الإمام البرقعى ويقول:

ولابد أن نسأل الكلينى ورواته: إذا كان الإمام الحسين اختار الشهادة فما علاقة هذا بعلم الإمام ﷺ بموته؟ ثم هل يوحى إلى الإمام؟!.

الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون

روى الكلينى فى هذا الباب ستة أحاديث يعد المجلسى خمسة منها ضعيفة ومجهولة، وأحد رواتها إبراهيم بن إسحاق الأحمر النهاوندى الفاسق والمبتدع، وقد ضعفه علماء الرجال وسموه من الغلاة، والآخر سيف التمار الذى تخالف أخباره القرآن. والآخر أحمد بن محمد البرقى الشاك فى الدين، والآخر محمد بن سنان وهو من الكذابين المشهورين ومن الغلاة، والآخر يونس بن يعقوب الفطحى المذهب، والآخر سهل بن زياد الكذاب. ثم يقول الإمام البرقعى:

ماذا يتوقع من رواة كهؤلاء سوى ضرب الإسلام والكيد له والغلو فى أشخاص ذوى سيرة حسنة لاصطياد السمك فى الماء بعد تعكيره بترهاتهم.

روى هؤلاء عن الإمام الصادق فى الحديث الأول: أن جماعة من الشيعة أتوا إلى الإمام– والله أعلم إنهم كانوا من هؤلاء الغلاة– قال سيف التمار عن الإمام: لقد جعلوا علينا جاسوسًا– وربما كان هذا سيف التمار نفسه– ولكن سيفًا يقول نظرنا يمينًا وشمالاً فلم نر أحدًا. وقلنا: لا يوجد جاسوس. فتبين لنا أن الإمام تكلم خلافًا للواقع وبلا علم. فحلف الإمام ثلاث مرات برب الكعبة بأنه أعلم وأزكى من موسى والخضر عليهما السلام؛ فهما قد أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ولكنه (أى الإمام) أعطى ذلك إرثًا عن رسول الله.

أولاً: إن الإمام الذى لم يعلم شيئًا عن أصحابه وتكلم على خلاف الواقع بأن هناك جاسوسًا مع أنه لم يكن ثمة جاسوس فأنى لذلك الإمام أن يعلم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة؟!.

ثانيًا: قال رسول الله ﷺ: «علامة الكذب كثرة الحلف» فلماذا إذًا يحلف الإمام ثلاث مرات بأنه أعلم من موسى.

ثالثًا: من أين عرفتم أن موسى والْخضر كان لهما علم ما كان، وموسى عليه السلام نفسه لم يدع هذا، ولم يعلم بما كان حين وجوده فى الطور ولم يعرف عن عباده قومه للعجل. فيقول له الله تعالى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه:٨٥]، ولما رجع من الطور ووجد أن قومه قد فتنوا بالشرك غضب جدًا وقال لهم: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ [الأعراف:١٥٠]، حتى إنه لم يعلم أن أخاه لم يقصر فى نصحهم فأخذ بلحيته ورأسه ولم يعرف أنه منعهم من عبادة العجل حتى قال له هارون: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف:١٥٠]، ثم اختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقات جبل الطور ولكنهم جميعًا كانوا ممن غضب الله عليهم.

رابعًا: إن العلم لا يورث إلا عند الرواة القائلين بالخرافة.

خامسًا: قال الله تعالى مرارًا لرسوله فى القرآن الكريم: ﴿قل ما أدرى.. وما أدراك.. إن أدرى.. وما كنت تدرى.. لا تدرى.. ما يدريك﴾. ومع كل ذلك كيف يمكن الإدعاء أن الرسول علم ما كان وما سيكون فضلاً عن أن يورث ذلك لغيره. وحتى رسول الله ﷺ عندما يسأل عما لا يعلم كان يصبر حتى ينزل الوحى.. فكيف يمكن للإمام الذى لا يوحى إليه أن يعلم ما كان وما سيكون.

وانتبهوا إلى الحديث الثانى: كيف أحاط عدد من الشيعة الخرافيين بالإمام من أمثال حارث بن المغيرة وعدد من الناس المجهولين وسمعوا أن الإمام قال: أنا أعلم ما فى السموات وما فى الأرض، وما فى الجنة، وما فى النار، وما كان، وما سيكون، ثم مكث الإمام برهة ورأى أن هذا الكلام قد كبر على المستمعين ولم يصدقوه فقال: لقد تعلمت هذا العلم من كتاب الله حيث يقول الله عز وجل: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾

أولاً: لابد أن يقال إن رسول الله ﷺ الذي هو أعلى من كل إمام لم يدع شيئًا كهذا. ويقول الله سبحانه له في الإسراء: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥]، ورسول الله نفسه يقول في دعائه: إلهي أنت العالم وأنا الجاهل.

ثانيًا: قال الإمام: تعلمت كل هذه العلوم من كتاب الله. ثم قرأ الآية خطأ.

هذه الآية التي ذكرها الإمام (فيه تبيان كل شيء) هي في سورة النحل الآية ٨٩ حيث قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فظاهر أن الآية ليست كما ذكر- فيه تبيان لكل شيء- فهل يعقل أن يكون الإمام الصادق جاهلاً بالقرآن إلى هذه الدرجة فيقرأ آياته خطأ؟... ثم يكون فوق ذلك عالمًا بما في السموات والأرض. إذن من المؤكد أن هذا الكذب من صنع رواة الكليني.

وجوب عصمة الإمام

دارسو العقائد عندما يقلبون صفحات التاريخ الخاص بالمذهب الآمامى فإن قضية وجوب تنصيص الأمام وتعيينه تجابههم فى كل مطالعات المعتقدات الامامية ويلازمها ولا ينفصل عنها ضرورة الإيمان بعصمة الأمام. وعمدة احتجاج الشيعة على غيرهم هو احتجاجهم على وجوب أمامة الامام من اعتبارين:

الأول النص على الأمام بالاسم. والثانى شدة حاجة الناس إليه فى بيان الشريعة إذا علمها وتأويلها عنده وحده لا عند غيره وإن كانت هذه القواعد أحيانًا تتخبط عند التطبيق ويضطرب العمل بها عند التنفيذ خاصة فى مثل الانحرافات التى فرضتها السياسة والأهواء وصار فيها محمد بن على بن الحسين مقدمًا بالامامة على أخوته زيد وعمر وعبد اللّه وعلى والحسين.

ولا يشفع فى ذلك إن كان ادعاء وجود نص من أبيه عليه أو من النبى ﷺ، أنه الباقى فإن ذلك لا يخرج عن كونه ابتداع وكذب ولم تكن الامامية بهذا التبرير أولى من (الكيسانية فى دعواهم النص على ابن الحنفية وإن برروا هذا التخطى أنه كان أفضل من أخوته وأنهم خرقوا القاعدة التى تقرر أن الفضل للإمام لا يقطع إلا من عند اللّه).

ونفس الأشكال وقع فيه الإمامية عندما دعت المتغيرات إلى جعل موسى بن جعفر الإمام بدلاً من أخيه محمد أو اسحق أو على، ونعتقد أن الأمامية لا يجدون سبيلاً لتبرير هذا الذى وقع خاصة وأن هناك واقعة ثالثة عندما وقع الاختيار على بن موسى بالامامة دون أخوته وكانوا سبعة عشر ذكرًا كما أن هناك واقعة رابعة جعلت محمد بن على بن موسى يتقدم بالإمامة على أخيه على بن على كذلك تقدم على بن محمد بالامامة على أخيه موسى بن محمد كما تقدم بالامامة الحسن بن على بن محمد على على بن موسى.

وهذه الوقائع والتى استفاض فى ايرادها العلامة ابن حزم فى موسوعته (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) جـ٤ ص١٠٢- ١٠٣ تبطل الزعم بأن الأمام منصوص عليه. ونحن هنا لا نود أن نتوسع فى مناقشة ونقد قول الامامية بوجوب النص والتعيين للأمام وضرورة ألا يكون إمامًا فى عنقه بيعة أحد كما جاء عند الكلينى فى (الأصول من الكافى فى كتاب الحجة)[1]. باب ما يفصل به بين دعوة الحق والباطل فى أمر الامامة ج١ ص٣٥١- ٣٥٢ لكن ناقش العصمة التى جعلوها من خواص الإمام ولوازمه واحتجوا بها على إمامة أئمتهم بأنه لم يكن معصومًا غيرهم كما يدعم ذلك الحلى فى كتابه (منهاج الكرامة ص٧١) ف «أن هذا الفريه كثير الحديث عنها فى كتب أئمة الشيعة القدماء والمحدثين.

وكنا نتمنى أن نتوجه إلى الإمام الخمينى ومدرسة الفقهاء التى تنضوى تحت لوائه نسأله: ما الذى يرونه فى موضوع عصمة الأمام وكونه لا يرى إلا حقًا وصوابًا؟ لكى نستقرئ تاريخ الشيعة الامامية فى هذه العقيدة خاصة وأن جوانب التناقض فيها واضحة جلية. فأن الإمام على رضي الله عنه- اختلف معه ابنه الأكبر حسن والذى هو أيضًا بعقيدة الشيعة الامام الثانى المعصوم بعد أبيه. أعنى أنه أختلف معه فى مسألة أخذ البيعة من الناس بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما أختلف معه بعد ذلك فى خروج على لمحاربة مطالبى دم عثمان والقصاص من قاتليه وبداهة فإنه يترتب على هذا الاختلاف أن واحدًا من الامامية كان مصيبًا والثانى مخطئًا فكما نرى من الواقعتين فإن كلاً منهما يرى رأيًا غير الذى يراه الآخر ولابد أن أحدهما كان على صواب والآخر على خطأ.

والأمر لا يحتاج إلى اجتهاد أو تخمين. فلقد ثبت أن الأمام على صوب رأى ابنه الأمام الحسن بعد معركة الجمل وندم وحزن بل وتأسف على أنه لم يأخذ برأى الحسن.

والعجيب الغريب أن الأمام على رضي الله عنه- هو الذى قال فيما بعد فيما نسب إليه محسن الأمين فى كتابه «أعيان الشيعة» الجزء الأول من القسم الأول ص٦٥ وص١٣٦: (لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فأنى لست بآمن أن لما أراد الصلح مع معاوية كان الحسين مع الذين خالفوه. ومن المعروف أن الحسين والحسن أمامان معصومان عند الشيعة لكن الحسن رأى الحسين وقد أثر الصلح مع معاوية وكان الحسين يأسف كثيرًا لما فعله الأمام الحسن وكان يقول- كما روى عنه- برواية صاحب «أعيان الشيعة: (لو جز أنفى كان أحب

---

(١) الكلينى (الكافى والأصول) كتاب الحجة جـ ٣٥١/١.

إلى مما فعله أخى). وهنا أيضًا فى هذا الموقف فإنه من البداهة الواضحة الجلية طبقًا لقواعد المذهب كان واحدًا من الامامين مصيبًا والآخر مخطئًا مع افتراض العصمة المدعاة.

كما أن مزاعم أئمة الشيعة القدماء من أن الأمام لا يكون إمامًا وفى عنقه بيعة أحد كما يذهب إلى ذلك الكلينى فى الأصول من الكافى- يكفى فى دحض هذه المقولة وابطالها وبيان فسادها أن الإمام الأول الذى يقولون بعصمته على بن أبى طالب ﷺ بايع ثلاثة- رضى الله عنهم- قبل امامته ناهيك عن مبايعة الحسن والأصل فيه كما يقولون أنه أمام معصوم- معاوية- ﷺ- فضلاً عن مبايعة على بن الحسين ليزيد بن معاوية والأصل فيه كما يعتقدون أنه الإمام المعصوم الرابع فهل كان على خطأ أم صواب؟ أم أن التقية تضيع الحدود بين الخطأ والصواب فى عقائد الأمامية وخاصة فى مذهبهم القائل بعصمة الأمام؟.

وفى مسلسل الأسئلة التى نتمنى للرأى العام المسلم أن يجد لها جوابًا فى مذهب الأئمة المحدثين يطرح الفكر الإسلامى المعاصر جملة من الاستفسارات أمام الفقهاء الذين آمنوا بشريعة ولاية الفقيه إذا كانت الإمامة- كما تقول قواعد المذهب- واجبة وأنها رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبى لأنه لابد للناس من رئيس يطاع ومرشد يردع الظالم عن ظلمه ويحمل الناس على الخير ويردعهم عن الشر كما أنها واجبه لأن الأمام نائب عن النبى ﷺ فى حفظ الشرع الإسلامى وحفظ أحكام الله عن الزيادة والنقصان كما يقول الشيخ (السيد الزين) وهو من المحدثين صاحب كتاب «الشيعة فى التاريخ» (الأمام موضح للمشكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ومميز للناسخ من المنسوخ).

وكما يقول الحلى فى (منهاج الكرامة ص٧٢): (أن الامام يجب أن يكون حافظًا للشرع لانقطاع الوحى بموت النبى ﷺ وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة فلابد من أمام منصوب من الله تعالى وحاجة العالم داعية إليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه).

أن الاعتقاد بهذه القواعد فى مذهب الامامية يضع المذهب وأئمته القدامى والمحدثين فى غاية الحرج والمعاناة فأن دراسة تاريخ الأمامية تنبىء أن الأئمة جميعًا باستثناء أمير المؤمنين على بن أبى طالب لم يكتب لواحد منهم أن يتولى بالفعل وأن يملك حقيقة الرئاسة العامة فى أمور الدين والدنيا ولم يملكوا ولو فترة الليلة من الزمن كردع الظالم عن ظلمة

ولا حمل الناس على الخير كما أن المحن والمآسي التى تعرض لها من انضووا تحت لواء هؤلاء الأئمة تقوم دليلاً على عدم تحقيق مزاعم الأمامية فى قولهم ووصفهم ومعتقدهم فى وجوب نصب الأمام.

والجدير ذكره فى هذا المقام وعلى ضوء ما تنبئنا المصادر الشيعية فإنه قد ثبت أن كثيرًا من الأئمة يفتون خاصتهم بخلاف ما أنزل الله من أحكام وما بينه الرسول من تطبيق بل وبخلاف ما كانوا عليه فى قلوبهم ويحتفظون به لأنفسهم.

يقول الكلينى فى الكافى عن موسى بن أشيم الذى يقول: (على ضوء ما فى الكافى فى الأصول ج١ ص٦٦) (كنت عند أبى عبد الله ﷺ- فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبر بخلاف ما أخبر الله. فدخلنى من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبى يشرح بالسكاكين فقلت فى نفسى تركت أبا قتادة بالشام لا يخطىء فى الواو وشبهه وجئت إلى هذا يخطىء هذا الخطأ كله فبينما أنا كذلك إذ دخل آخر فسأله عن تلك الآية فأخبرة بخلاف ما أخبرنى وأخبر صاحبى).

كما تقول كتب الشيعة فيما روى عند محمد بن مسلم أنه قال: (دخلت على أبى عبد الله ﷺ وعنده أبو حنيفة فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة فقال لى: يا بن مسلم هاتها: إن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبى حنيفة فقلت رأيت كأنى دخلت دارى وإذا أهلى قد خرجت على فكسرت جوزًا كثيرًا ونثرته على فتعجبت من هذه الرؤيا فقال أبو حنيفة أنت رجل تخاصم وتحاول أن تنال مالك فى مواريث أهلك. فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها. إن شاء الله- فقال أبو عبد الله- ﷺ أصبت والله يا أبا حنيفة. وعند هذا الحد من الرواية يكمل محمد بن مسلم جوانب من الزيف فى معتقدات الأئمة حول الأمام يقول ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت له. جعلت فداك أنى كرهت تعبير هذا الناصب. فقال يا بن مسلم لا يسؤوك الله فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره فقلت له: جعلت فداك فقولك أصبت وتحلف عليه وهو مخطىء قال نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ. ولو كانت هذه الرواية وأمثالها مدونة فى غير كتاب الروضة من الكافى للإمام الكلينى فى ج٨ ص٢٥٢ لقال علماء الشيعة سواء من القدماء أو المحدثين أنها من وضع العامة الذين يوصفون من قبل الامامية بأنهم أعداء أهل البيت.

وعلى سبيل المثال نأتى بواقعة ثانية لنبرهن بها على أن زعم الامامية بأن الأمام عندهم لحفظ وحراسة الأحكام من الزيادة والنقصان وردع الظالمين ونصرة المظلومين ما

جاء عند الكلينى مما جاء من طريق زرارة بن أعين عن أبى جعفر عليه السلام الذى قال: سألته عن مسألة فأجابنى ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ثم جاء رجل آخر فسأله فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى فلما خرج الرجلان قلت: يا بن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدمًا يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحب؟ فقال يا زرارة أن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا. قال: ثم قلت: لأبى عبد الله عليه السلام: شيعكم لو حملتوهم على الأسنة أو على الثأر يخرجون من عندكم مختلفين؟ قال فأجابنى بمثل جواب أبيه.

وأخيرًا نعيد ما سبق أن طرحناه من أستفسار هل الأئمة الذين تنطوى جوانحهم على مثل هذه المعتقدات وتقوم فتواهم ونصحهم على مثل هذه الممارسات أيعقل عاقل أن يقال له عنهم أن من شروط وجوب الإمامة أن هؤلاء الأئمة يقومون على حفظ وحراسة الأحكام من الزيادة والنقصان وهم موضحون للمشكل من الآيات والأحاديث ومفصلون للمجمل والمتشابه ويميزون للناسخ من المنسوخ وهذه هى تناقضات فتواهم؟!! وإذا كانت النماذج التى وقفنا عليها هى تعبير عن أداء الأئمة لمثل هذه المعتقدات فما هو الكذب اذن وما النفاق وكيف تكون المؤامرات؟.

* * *

أكذوبة عصمة الإمام

من المشكلات التى خلقتها الامامية على مدى التاريخ الإسلامى الطويل وانقسمت بسببه الأمة إلى طوائف وأحزاب وقامت بسببه المعارك والحروب هو موضوع الامامة الذى نسجت حوله الشيعة من الاباطيل والمفتريات ما انفردوا به على طول التاريخ الإسلامى.

وقبل أن نتناول شيئًا من عقائدهم فى القول بعصمة الإمام نود أن نشير إلى أن الإمامية ممن يقولون بوجوب الإمام الذى أختاره اللّه يقرب من الطاعات وأن اللطف يتحقق بمجرد وجوده لأنه مستعد للقيام بجميع مسئولياته لكى ترجع الأمة إليه ومن ثم فإذا لم ترجع تكون مسئولة عن تقصيرها، تعتقد الامامية زيفًا وبهتانًا أن تسهيل أسباب الطاعة منوط بنصب الإمام فلو رجعوا إليه واستمعوا لنصائحه لم يقعوا- بزعم الامامية- فى المعاصى والمنكرات. ومع أن المعتزلة يقولون بوجوب اللطف والأصلح على اللّه سبحانه ولكنهم لم يلتزموا بهذه المقولة فى هذا المقام ويبدو- واللّه أعلم- أن الذى يمنعهم عن الالتزام بها هو أنهم لو قالوا بها فى هذه المسألة لترتب عليها فى ضوء المعتقد الذى يقول بوجوب نصب الإمام أن يقولوا بعدم صحة خلافة المتقدمين على على- رضي الله عنه- وهم عند المعتزلة أهل عدل وتقوى، ومن ثم لم يقل المعتزلة فى موضوع الامامه بمنهجهم الذى التزموا به القائم على قاعدة وجوب اللطف والأصلح على اللّه لأن قاعدة اللطف ستلزمهم بالقول بأن يكون الخليفة منصوصًا عليه. وهذه المسألة من القضايا المعقدة التى كانت بينهم وبين الامامية. وقد تناول المعتزلة بنوع من النقد والتجريح أحد أعلام الامامية وهو هشام بن الحكم الذى عرف بشدة الخصومة مع المعتزلة وقد ورد عنه أنه التقى بالرأس الثانية للاعتزال بعد واصل بن عطاء وهو عمرو بن عبيد وكان عمرو يخطب فى مسجد البصرة حول الامامة وآراء المذاهب فيها وكان يهاجم الشيعة فى مسألة الامامة ويحاول أن

يفند آراءهم وكان هشام ابن الحكم الإمامى قد حضر هذا المجلس فقام إلى عمرو بن عبيد وتخطى الرقاب وهو شاب يتجاوز العشرين من العمر وسأله عن الحواس الخمس واحدة واحدة وعمرو بن عبيد يجيبه عنها ثم سأله عن فائدة القلب فقال له أن اللّٰه خلقه ليميز به الإنسان ما يرد على بقية الجوارح لأنها قد تشك فى أشياء ولم تدرك غايتها وعندما تشتبه فى شىء تعرضه عليه فيرشدها إلى خيره أو شره.

وقد ترتب على هذه المواجهة الفكرية أن قال هشام بن الحكم لعمرو بن عبيد أن اللّٰه لم يترك جوارحك حتى جعل لك إمامًا يكشف لها الحق وينفى عنها الشك ويترك هذا الخلق فى حيرتهم وضلالهم واختلافهم بدون أمام يبين لهم ما يختلفون فيه.

ومثل هذا المنحى من التفكير الامامى كان فيه هشام يترجم ما جاء عن الامام جعفر بن محمد من أنه قال لهشام: لقد نطق على لسانك روح القدس.

وخلاصة القول أن الامامية استعملوا شتى وسائل الاستدلال والمغالطات للتعبير عن معتقدهم فى وجوب نصب الامام. وفى (أوائل المقالات للمفيد) يقول: اتفق أهل الأمامة على أنه لابد فى كل زمان من أمام موجود يحتج به اللّٰه على عباده المكلفين. لكن كما سبقت الاشارة إليه فإن الشيعة الامامية قد انفردوا بين أمة الإسلام بهذا القول كما أجمعت المعتزلة على خلاف ما ذهبت إليه الامامية وجوزوا خلو أزمان كثيرة من وجود أمام وشاركهم الخوارج بجميع فرقهم والزيدية من الشيعة والمرجئة وغيرهم.

هذا وقد ترتب على قول الامامية بوجوب نصب الامام القول بوجوب عصمة الأئمة انطلاقًا مما يقولون به من وجوب عصمة الأنبياء والأئمة من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها بل يرون عصمة الأئمة من السهو الخطأ والنسيان وغير ذلك مما يحدث لسائر الناس.

وإذا كان جميع المسلمين باستثناء الامامية قد أثبتوا العصمة للأنبياء لكنهم لم يلتزموا بها فى جميع الحالات وعن جميع الذنوب فالمعتزلة مثلاً جوزوا على الأنبياء الوقوع فى الصغائر من الذنوب سهوًا أو تأويلاً، والأشاعرة جوزوا على الأنبياء الوقوع فى الكبائر والصغائر سهوًا إلا الوقوع فى الكفر والكذب لأن جواز الكذب عليهم قد يؤدى إلى إبطال رسالتهم. لكن القاضى أبا بكر الباقلانى جوز وقوع الكذب سهوًا أو نسيانًا.

وقد أجمعت الأمة على عدم وقوع الأنبياء فى الكفر قبل البعثة وبعدها وإن كان

الأزارقة من الخوارج يقولون أنه يجوز أن يبعث الله نبيًا يعلم أنه سيكفر بعد البعثة. والجمهور الأعظم من المسلمين على منع صدور الذنوب من الأنبياء خاصة الكبائر. وقد منع المعتزلة صدور المعصية أو الذنوب من الأنبياء بحكم العقل أعمالاً لقاعدة اللطف والأصلح أما صدورها نسيانًا فقد أجازوها والمنسوب إلى الجبائى أنه أجازها سهوًا بعد النبوة لكن الرأى الأغلب لجمهور الأشاعرة قد جوز وقوع الأنبياء فى الكبائر والصغائر عمدًا أو سهوًا قبل أن يشرفهم الله بالنبوة.

هذا وقد استدل القائلون بأنهم معصومون عن الكبائر عمدًا بالأدلة الكثيرة التى استدل بها القائلون بعصمتهم المطلقة وخلاصة ما يذهبون إليه أنه لو صدرت منهم الذنوب لحرم اتباعهم فيما يفعلون مع أن الأجماع والنصوص يدلان على وجوب متابعتهم فى أقوالهم وأفعالهم ولابد من عصمتهم وإلا لم تجز متابعتهم.

وأما الشيعة الامامية فقد قالوا بعصمة الأنبياء فى جميع الأحوال عن جميع المعاصى قبل النبوة وبعدها واستدلوا فيما ذهبوا إليه بأن جواز المعصية يتنافى مع الغاية التى أرسلوا من أجلها.

وقد مهدوا لمعتقدهم بمقولات عقلية ونقلية لتخدم معتقدهم فى القول بعصمة الإمام بقولهم أن الله سبحانه إنما أرسل الرسل لعباده ليعلموا برسالتهم ويسيروا على هديها ومنهجها قال سبحانه (لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نضل ونخزى) ثم يرتب الامامية على هذه الآية قولهم: إذا جاز على الأنبياء أن يخالفوا ما يأمرون به وينهون عنه لم يحصل الوثوق بأقوالهم ما دامت لا توافق أفعالهم. ولو جاز عليهم السهو والخطأ فى أقوالهم وأفعالهم لم يعد ما يمنع من وقوعهما منهم فى التبليغ عن الله سبحانه.

وإذا جاز عليهم الكذب فى أقوالهم وأخبارهم ضعفت ثقتهم فى النفوس فلا تحصل الغاية التى من أجلها أرسل الله الرسل والأنبياء.

* * *

النبوة لم تنته عند الإمامية

من النتائج البدهية والطبيعية لعقيدة الإمامة لدى الشيعة أن من يؤمن بها يؤمن بالتالى بأن النبوة لم تنته وأن عقيدة «ختم النبوة» لم يعد لها معنى عندهم. ومن الواضح أن النبوة والرسالة وأن ختم النبوة «وختم الرسالة» ليست مجرد ألفاظ بل هى حقيقة ثابتة ومحددة ومعروفة ومعنى أن رسول اللّه هو «خاتم النبيين وخاتم المرسلين» هو أن النبوة والرسالة تنتهيان به- ﷺ- فكل نبى وكل رسول يأتى من عند اللّه يكون حجة اللّه على عبده. والإيمان بهذا هو شرط للنجاة، فعن طريقه تصلنا أحكام اللّه عن طريق الوحى المنزل على النبى، وطاعة النبى واجبة، وتعاليمه وارشاداته هى مصدر هداية الأمة، وهذا هو المقام الذى لا يحصل عليه- ولن يحصل عليه- أى إنسان بعد رسول اللّه- ﷺ- وهو حجة اللّه على عباده حتى يوم القيامة، والإيمان بهذا هو شرط من شروط النجاة فى الآخرة، والأحكام والارشادات الالهية التى كانت تصلنا عن طريق الوحى قد انتهت بوفاة رسول اللّه- ﷺ- وسيظل كتاب اللّه حتى يوم القيامة، وستظل أقوال رسول اللّه وأعماله وما أوثر عنه هى «السنة» وهما فقط المنبع والمرجع الذى يرتشف منه المسلمون ويأخذون عنه كل ما يعنيهم من أمور دينهم ودنياهم، فلا يوجد أى إنسان بعد رسول اللّه ﷺ يكون له مكانة الأنبياء والرسل ويكون حجة على عباد اللّه أو تجب طاعته كالأنبياء والرسل، وهذا هو معنى ختم النبوة، وهذه هى حقيقة عقيدة ختم النبوة عند المسلمين.

إلا أنه عند أصحاب المذهب الاثنى عشرى. فإن هناك اثنتى عشرة شخصية لها مكانة الأنبياء والرسل، حجة اللّه على عباده، وهى عند الامامية شخصيات معصومة واجبة الطاعة، ومعرفتهم والإيمان بهم شرط للنجاة، تأتيهم الأحكام والارشادات من عند اللّه عن طريق الوحى، نالوا جميع الفضائل والكمالات التى نالها الأنبياء عليهم السلام من اللّه،

درجتهم كدرجة رسول اللّه وأعلى وأرفع من درجة بقية الأنبياء عليهم السلام، حتى أولئك الأنبياء «أولى العزم» هذا بالإضافة إلى أنهم يمتلكون السلطات الإلهية، وهم مطلعون على عالم «ما كان وما يكون» لا يخفى عليهم شيء، ومن سلطتهم التحليل والتحريم يملكون الدنيا والآخرة، يهبون من شاءوا ويحرمون من شاءوا، يملكون حياتهم ومماتهم أيضًا «ومن الواضح أنه بعد الإيمان بكل هذا فى حق الأئمة فإن الإيمان بختم النبوة لا يعتبر له أى معنى بل يجب أن يؤمن من يعترف بالإمامة بأن درجة النبوة لا تزال تحتاج إلى مرحلة أخرى من مراحل الرقى وأنها سترقى وتتطور تحت عنوان الامامة لتصل إلى درجة عالية من النبوة حتى يوم القيامة، وختام هذه المرحلة من التطور هو الإمام المهدى الغائب الذى سيظهر كمالاته التى لم يظهرها حتى رسول اللّه- ﷺ- فهذا الامام المهدى- كما سبقت الاشارة- سيخرج أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم من القبر ويحييهم ويعاقبون، يميتهم آلاف المرات ويصلبهم وفى ذلك يقول واحد من أئمتهم وهو الأعظم عندهم العلامة باقر مجلسى: الامامة أعلى وأرفع من النبوة (أمامت بالاتراز مرتبة بيغميرى است) ولهذا فالنتيجة الحتمية للاعتراف بعقيدة الامامة يؤدى إلى الإيمان بأن النبوة لم تنته بل ستمضى دائمًا وترقى تحت اسم الأمامة، وليت من بين الشيعة من يعقل الأمور ليفكر فى هذا الأمر[(١)] بموضوعية وأعمال فكر أو فطرة.

ومجمل القول الذى يذهب إليه الشيعة الامامية فى قضية الخلاف حول عصمة الأنبياء قبل النبوة وبعدها هو أن مذهبهم كما يقول الشيخ المفيد فى أوائل المقالات: «أن جميع الأنبياء معصومون عن الكبائر قبل النبوة وبعدها، ومما يستخفى فاعله من الصغائر كلها وأماما كان من صغير لا يستخفى فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوة وعلى غير عمد وممتنع منهم بعدها).

هذا وقد استرسل الشيخ المفيد فى هذه القضية إلى أن أضاف أن هذا هو مذهب جمهور الامامية، والمعتزلة بأسرها تخالف فى ذلك ومعنى هذا الكلام من الشيخ المفيد صاحب «أوائل المقالات» أن المعتزلة لا يلتقون مع الأمامية فى المقدمات التى بنوا عليها قولهم فى مسألة عصمة الإمام.

والأمامية تدعى أن معتقدهم فى هذه المسألة هو الذى يتناسب مع مقام النبوة

---

(١) شيخ محمد بن منظور نعمانى (الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام) ترجمة د. سمير عبد الحميد ابراهيم- صفحى ١٨٩.

والرسالة ووظائف الامام وهو الذى يساعد على تحقيق الأغرض التى بعثوا من أجلها.

وعصمة الإمام من العقائد الجوهرية فى عقائد الشيعة الامامية وعندهم أنه لابد من القول بها واعتناقها انطلاقًا من عقيدتهم بوجوب نصب الإمام على الله.

والمراد من العصمة التى يدعيها الإمامية هى عدم صدور الكبائر والصغائر منهم عمدًا أو سهوًا ولعل هذا المعتقد يفسر لنا بعض الأسباب التى كانت تجعل معظم الأئمة فى تاريخ الشيعة الامامية يرفضون الرجوع إلى الحق أو قبول النصح حتى لا تنفضح خبيئات نفوسهم وقلوبهم أمام الأجيال المؤمنة بعدم صدور الكبائر أو الصغائر أو وقوع الخطأ منهم عمدًا أو سهوًا. يقول المفيد فى «أوائل المقالات»: أن الأئمة معصومون كعصمة الأنبياء ولا تجوز عليهم صغيرة ولا يحدث لهم سهو فى شىء من الدين ولا ينسون شيئًا من الأحكام وعلى هذا المذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم- مثل الشيخ الملقب بالصدوق محمد ابن بابويه القمى حيث جوز عليهم السهو والنسيان حتى فى الأحكام.

وفى هذا يقول صاحب كتاب «الياقوت» وهو من قدماء الامامية:

(العصمة لطف يمتنع من يختص بها من فعل المعصية لا على وجه القهر بنحو لا تكون له القدرة عليها بل يكون امتناعه عنها لعدم الداعى إليها وليس المراد من عدم الداعى هو انتفاء القابلية فإن ذلك مرجعه إلى الإلجاء وإنما المراد منه أن القوة الخيرة فى الأنبياء والأولياء هى التى تسيطر على شهوات النفس وأهوائها مع كونها مقدورة له.

وقد ذهب الأمامية إلى أن الإمام لابد وأن يكون أفضل الناس وأكملهم لأن ترجيحه عن غيره وتعيينه أمام من بين سائر الناس لابد وأن يكون لأمر لا يوجد فى غيره وإلا كان ترجيحه بلا مرجح.

وهذا هو سر القداسة والتبجيل والتعظيم الذى يحرص عليه الامامية فى التعامل مع أئمتهم ولذا فالأمر كما يقول ابن بابويه القمى فى (كمال الدين وتمام النعمة ج١ ص٢٠٦): (يجب على الله نصب الإمام كنصب النبى).

وإذا كان من البداهة أن يطرح سؤال هنا وهو لماذا هذا الوجوب؟ فإن ما نسبوه إلى جعفر يطالعنا بالجواب. قال جعفر فيما نسب إليه صاحب «الأصول من الكافى» (نحن خزان علم الله نحن تراجمة أمر الله نحن قوم معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض).

وقد يسأل سائل: كيف يتأتى علم الإمام بما فى أقطار الأرض وهو جالس فى بيته مرخيًا عليه سترًا؟ ولا تعدم الشيعة جوابًا لمثل هذه التساؤلات ففى رواية عن مفضل بن عمر عن جعفر أنه سئل عن علم الامام بما فى أقطار الأرض فكان الجواب كما تقول العقائد الامامية: يا مفضل أن الله تبارك وتعالى جعل فى النبى- ﷺ- وآله- خمسة أرواح روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الايمان فيه أمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة فإذا قبض النبى- ﷺ- انتقل روح القدس فصار إلى الإيمان، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو وأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو وروح القدس كان يرى به.

وفى التدليل على هذه الدعوى الفارغة التى لا جدال فى دلالتها الواضحة على إنكار ختم النبوءة والاعتقاد بسريانها بعد النبى محمد- ﷺ- فإن الكلينى روى أن جعفر سئل من قبل رجل من أهل البيت عن قول الله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) فكان رد جعفر بما يتمشى مع هذه المزاعم التى نسبوها إلى أئمتهم إذ قال حشاه منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد- ﷺ- ما صعد إلى السماء وأنه لفينا. وفى رواية: كان مع رسول الله- ﷺ- يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده وهو من الملكوت.

ولذا فليس من العجيب أن تنطوى عقائد الشيعة الامامية على هذا النوع من المزاعم التى لا يقرها عقل فضلاً عن أن يرتضيها دين. فقد روى صاحب (بصائر الدرجات الكبرى) فى باب أمير المؤمنين ﷺ ذلك الزعم الذى يقول: (لا يعلم الله محمدًا علمًا إلا وأمره أن يعلم عليًا) لماذا؟ لهذه الغاية التى تنسب فى مزاعمهم إلى على بن الحسين الذى نسبوا إليه قوله: (أن محمدًا- ﷺ- كان أمين الله فى أرضه فلما قبض محمد- ﷺ- كنا أهل البيت ورثته ونحن أمناء الله فى أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وأن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا نحن النجباء وافراطنا أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء ونحن المخصوصون فى كتاب الله ونحن أولى الناس بالله ونحن أولى الناس بكتاب الله ونحن أولى الناس بدين الله ونحن الذين شرع لنا دينه فقال فى كتابه (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا) وقد وصانا بما أوصى به نوحًا والذى أوصينا إليك يا محمد (ما وصينا به إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى وإسحاق ويعقوب).

فقد علمنا وبلغنا واستودعنا علمهم نحن ورثة الأنبياء ونحن ورثة أولى العزم من الرسل أن أقيموا الدين بآل محمد ولا تفرقوا فيه وكونوا على جماعة كبر على المشركين من أشرك بولاية على ما تدعوهم إليه من ولاية على، إن الله يا محمد يهدى إليه ممن ينيب من يجبك إلى ولاية على عليه السلام).

ما رأى كل أصحاب الفكر فى الدنيا فى هذا الزعم الذى جعل من خاتم الأنبياء محمد- صلى الله عليه وسلم- مجرد أداة فى يد الامام الذى جعل منه الأمامية الحجة والمرجع؟ وإذا قيل للإمامية أن ما ادعيتموه كذب وأنه منذ ملك زمام الحكم على بن أبى طالب- عليه السلام- عندما بايعه الذين بايعوه أبا بكر وعمر وعثمان لم يملك واحد من أئمتهم أمر الدين أو الدنيا باستثناء ما قاموا به من فتن ومؤامرات على مدى التاريخ الطويل. فبماذا يجيب هؤلاء الأئمة المعصومون المقهورون المظلومون العاجزون بغير سلطان ولا قدرة إلى أن أصبحوا أداة فى يد القوى الدولية تعاون على ضرب أمة العرب والإسلام فى مهالك ضاع فيها من المقدرات والقوى ما كان يمكن أن يعين أمة الإسلام فى العصر الحديث على مجابهة أعداء الإسلام لو لم تبتلى أمة الإسلام بذلك الموروث الذى بعث لبعثرة كيانها وتشتيت جهودها.

الخومينية والمذهب الإمامى

استحدث الدستور الذى ابتدعه الخمينى (نظرية ولاية الفقيه) والتى تزعم بأن الفقيه الذى يرمز له بشخصه يتمتع بولاية عامة وسلطة مطلقة على شئون البشر باعتباره بزعم الفكر الخمينى (الوصى) على شئون البلاد والعباد فى غيبة (الامام) المنتظر.

والمادتان الأولى والثانية من الدستور الذى وضعه خمينى تنصان على أن:

تكون ولاية الأمر والأمة فى غيبة الأمام المهدى- عجل الله فرجه (هكذا) للفقيه العادل وهذا النص فى الدستور الذى ابتدعه الخمينى يعد من المبتدعات فى المذهب الأمامى على كثرة ما فيه من مبتدعات. فالقدماء والمحدثون من أئمة المذهب أمثال الكلينى والصدوق والمفيد والطبرسى ومرتضى الانصارى والتائينى لم يتجاوزوا بالفقيه العادل مرتبة (الولاية الخاصة) حيث لا يوجد دليل قطعى مستفاد يدل على وجوب طاعة الفقيه طاعة مطلقة فى الأحكام العامة والخاصة كما أن اثبات الولاية العامة للفقيه ينتهى لا محالة إلى التسوية بينه وبين الإمام المعصوم الذى يقولون به ومن ثم فمنح الإمام لنفسه الولاية العامة يرفعه إلى مقام الأئمة المعصومين الذين يزعمهم المذهب ويقول بوجودهم وعليه فالدستور الذى يرمز إليه بدستور الحكومة الإسلامية يستمد مواده وأفكاره من ذاتية واضعه باعتباره فيما ادعاه لنفسه حجة مطلقة ونائبًا للإمام الغائب فى الفصل بين الأشقياء.

والعلماء والباحثون يجدون أنفسهم أمام دعوى للقانون أو النظام يقيم الحكومة الإسلامية على أساس (ثيوقراطى) يستند إلى حق الهى مفروض يسوى بين الدين والمذهب خاصة فيما ورد فى المادة الثانية عشرة.

ومعظم مواد الدستور الايرانى والذى راجع مواده الخمينى مادة مادة تستند إلى

رأى منفرد بذاته هو رأى (الحاكم المتأله) الذى يدعى لآرائه واجتهاداته العصمة واليقين حيث يقوم الزعم بأن السلطة الروحية للأمام الخمينى ومن ثم من يخلفه تعتبر خارج النطاق الانسانى فقد نص الدستور فى المادة السابعة والخمسين على (أن السطات الحاكمة فى جمهورية ايران الإسلامية هى عبارة عن السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية التى تمارس تحت اشراف ولاة الأمر وأمامة الأمة).

أن هذا الاعتقاد كما هو واضح بين يسد منافذ الاجتهاد ويصادر حرية الرأى والاستنباط أمام أهل العلم من مجتهدى الأمة.

وهذا الاعتقاد فى الإمام لا يمكن أن يصدر عن اعتقاد إسلامى صحيح أو مبدأ يعترف به فقهاء المذاهب الإسلامية، ولكنه يرتد إلى أصول فارسية تدور حول ما يسمى (التوقير) أو الطاعة المطلقة والانقياد التام للسلطة السياسية الدينية التى يمثلها تراث فارس السياسى والدينى (لكسرى) قبل الإسلام. ومن دراسة الوقائع المستفادة من قراءة تاريخ الحركات السياسية الهدامة التى ظهرت فى بلاد فارس يتبين أنها كانت تعتمد جميعًا على دعوى (الولاية الروحية) التى تجعل من قيامها بالانابة عن المهدى أساسًا لبرامجها وخططها للسيطرة على السلطة متخذة من زعم يقول: أن الولاية فيض دائم أو نبوة مستمرة لكى تفرض على أنصارها وأتباعها الاستسلام المطلق والطواعية العمياء وتبلغ التبعية الصارمة لمدعى الولاية الروحية صورًا لا يقبلها دين ولا يقرها عقل لأنها تبعية قائمة فى جوهرها على «التوقير الوثنى».

* * *

٩

كتب التفاسير عند الشيعة
نماذج من التأويلات المتعسفة

أ

القرآن الصامت والقرآن الناطق

الإمام كالنبى

ذكرنا من قبل قول الجعفرية بأن الإمام كالنبى فى عصمته وصفاته وعلمه، ولذلك فهم يشيرون إلى القرآن الكريم والإمام بقولهم: ذلك القرآن الصامت وهذا القرآن الناطق، فالإمام هو- فى رأيهم- القرآن الناطق[1]، ودوره بالنسبة للقرآن الصامت كدور النبى ﷺ سواء بسواء.

مذهب الإخباريين

وما دام القرآن الكريم صامتًا فلابد من الرجوع إلى القرآن الناطق حتى يوضح مراد اللّه تعالى، ولهذا قال الإخباريون من الجعفرية[2]: لا يجوز العمل بظاهر القرآن الكريم!!

---

(١) انظر الشيعة والتشيع ص٥٤، ويزعمون أن الإمام عليًا قال: «ذلك القرآن فاستنطقوه فلن ينطق لكم، أخبركم عنه. إنه فيه علم ما مضى وعلم ما يأتى «إلى يوم القيامة ، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه مختلفين. فلو سألتمونى عنه لأخبرتكم عنه لأنى أعلمكم». (ص٣ من مقدمة تفسير القمى، وانظر الكافى ١/٦١، ٨/٥٠). ويزعمون كذلك أن الإمام الصادق قال: «إن الكتاب لم ينطق ولن ينطق» وأن أباه الباقر قال: «القرآن ضرب فيه الأمثال للناس، وخاطب اللّه نبيه به ونحن، فليس يعلمه غيرنا». (تفسير القمى ٢/٢٩٥، ٤٢٥).

(٢) ينقسم الجعفرية إلى أصوليين وإخباريين: الأصوليون يعتمدون على الاستنباط والاجتهاد وإعمال العقل، فهم يبحثون ويفكرون بذهنية أصولية، وهم أصحاب علم أصول الفقه عند الجعفرية. والإخباريون لا يعتمدون إلا على متون الأخبار التى تروى عن أئمتهم. ويرى الأصوليون أن الحركة الإخبارية ظهرت فى أوائل القرن الحادى عشر على يد الميرزا محمد ابن الاسترابادى، واستفحل أمرها بعده وبخاصة فى أواخر القرن الحادى عشر وخلال القرن الثانى عشر، على حين يرى الإخباريون أن الاتجاه الإخبارى كان هو الاتجاه السائد بين الفقهاء الإمامية إلى نهاية عصر الأئمة ولم يتزعزع هذا الاتجاه إلا فى أواخر القرن الرابع وبعده حين بدأ جماعة من علماء الإمامية ينحرفون عن الخط الإخبارى، ويعتمدون على العقل فى استنباطهم، ويربطون البحث الفقهى =

وقال جمهور الجعفرية- وهم الأصوليون- بحجية الظواهر ولكنهم قالوا: لا يجوز الاستقلال فى العمل بظاهر الكتاب بلا مراجعة الأخبار الواردة عن الأئمة.

قول الأصوليين

وناقش الأصوليون الإخباريون فيما ذهبوا إليه: قال صاحب فوائد الأصول بعد أن بين حجية الظواهر:

«نسب إلى الإخباريين عدم جواز العمل بظاهر الكتاب العزيز، واستدلوا على ذلك بوجهين، الأول: العلم الإجمالى بتقييد وتخصيص كثير من المطلقات والعمومات الكتابية، والعلم الإجمالى كما يمنع عن جريان الأصول العملية، يمنع عن جريان الأصول اللفظية من أصالة العموم والإطلاق التى عليها مبنى الظهورات. الثانى: الأخبار الناهية عن العمل بالكتاب.

ولا يخفى ما فى كلا الوجهين، أما الأول فلأن العلم الإجمالى ينحل بالفحص عن تلك المقيدات والمخصصات، والعثور على مقدار منها يمكن انطباق المعلوم بالإجمال عليها... وأما الثانى فلأن الأخبار الناهية عن العمل بالكتاب وإن كانت مستفيضة، بل متواترة، إلا أنها على كثرتها بين طائفتين: طائفة تدل على المنع عن تفسير القرآن بالرأى والاستحسانات الظنية، وطائفة تدل على المنع عن الاستقلال فى العمل بظاهر الكتاب من دون مراجعة أهل البيت الذين نزل الكتاب فى بيتهم صلوات الله عليهم، ولا يخفى أن مفاد كل من الطائفتين أجنبى عما يدعيه الإخباريون»[١].

فالإخباريون يمنعون العمل بظاهر الكتاب، والأصوليون يمنعونه كذلك إلاَّ بعد الرجوع إلى أقوال الأئمة، ويندرج تحت هذا الظاهر مثل العام والمطلق وغيرهما مما هو ظاهر فى معنى ومحتمل لمعنى آخر، فالعام ظاهر فى العموم مع احتمال التخصيص، والمطلق ظاهر فى الإطلاق مع احتمال التقييد[٢] فيرون إذن وجوب الرجوع إلى الأئمة وما روى عنهم

= بعلم الأصول تأثرًا بالطريقة السنية فى الاستنباط، ثم أخذ هذا الانحراف- كما يقولون- فى التوسع والانتشار. والإخباريون الآن قلة قليلة بالنسبة للأصوليين، والقسم الكثير منهم فى البحرين، وهم أيضًا عدد قليل (انظر المعالم الجديدة للأصول ص٧٦- ٨٢، وفقه الشيعة الإمامية ٤٨/١- ٥٠ وانظر كذلك موقف الإخباريين من علم الأصول فى الحاشية للقمى ٢١١/٢).

(١) فوائد الأصول ٤٨/٣، وانظر كذلك العامة للفقه المقارن ص١٠٢- ١٠٥ وأصول الفقه للمظفر ١٣٠/٣: ١٣٤، ١٣٨، ١٤١.

(٢) تحدث أحد علمائهم عن الأصول اللفظية وحدده بخمسة هى: أصالة الحقيقة- أى الأصل أن تحمل الكلام على معناه الحقيقى، وأصالة العموم، وأصالة الإطلاق، وأصالة عمد التقدير، والأصل =

بمعرفة مراد الله عز وجل.

قال أحد علمائهم المعاصرين[1]: «لا يجوز العمل بالعام قبل الفصح عن المخصص»، ويوضح هذا بقوله: «لا شك أن فى بعض عمومات القرآن الكريم والسنة الشريفة لها مخصصات منفصلة شرحت المقصود من تلك العمومات، وهذا معلوم من طريقة صاحب الشريعة، والأئمة الأطهار- عليهم الصلاة والسلام. حتى قيل ما من عام إلا وقد خص ولذا ورد عن أئمتنا ذم من استبدوا برأيهم فى الأحكام، لأن فى الكتاب المجيد والسنة عامًا وخاصًا، ومطلقًا ومقيدًا، وهذه الأمور لا تعرف إلا من طريق آل البيت، وصاحب البيت أدرى بالذى فيه.

وهذا ما أوجب التوقف فى التسرع بالأخذ بعموم العام قبل الفحص، واليأس من وجود المخصص، لجواز أن يكون هذا العام من العمومات التى لها مخصص موجود فى السنة أو الكتاب لم يطلع عليه من وصل إليه العام. وقد نقل عدم الخلاف بل الإجماع عل عدم جواز الأخذ بالعام قبل الفحص واليأس». ا.هـ.

والسنة- عند الجعفرية تتسع لتشمل أقوال أئمتهم، وهم مجمعون على الأخذ بما ورد من كلام الأئمة مخصصًا لكثير من عمومات القرآن الكريم، ومقيدًا لكثير من مطلقاته، وما قام قرينة على صرف جملة من ظواهره، ويعتبرون هذا من الأمور القطعية التى لا يشك فيها أحد[2]. ولكن المخصصات التى ترد عن الأئمة أتعتبر من باب النسخ أم التخصيص؟ خلاف وقع بين الجعفرية!

= الخامس هو أصالة الظهور، وقال عن هذه الأصالة: «موردها إذا كان اللفظ ظاهرًا فى معنى خاص لا على وجه النص فيه الذى يحتمل معه الخلاف، بل كان يحتمل إرادة خلاف الظاهر، فإن الأصل حينئذ أن يحمل الكلام على الظاهر فيه. وفى الحقيقة أن جميع الأصول المتقدمة راجعة إلى هذا الأصل، لأن اللفظ مع احتمال المجاز- مثلاً- ظاهر فى الحقيقة، ومع احتمال التخصيص ظاهر فى العموم، ومع احتمال التقييد ظاهر فى الإطلاق، ومع احتمال التقدير ظاهر فى عدمه، فمؤدى أصالة الحقيقة نفس مؤدى أصالة الظهور فى مورد احتمال التخصيص، وهكذا فى باقى الأصول المذكورة، فلو عبرنا بدلاً عن كل من هذه الأصول بأصالة الظهور كان التعبير صحيحًا مؤديًا للغرض، بل كلها يرجع اعتبارها إلى اعتبار أصالة الظهور، فليس عندنا فى الحقيقة إلا أصل واحد هو أصالة الظهور». (أصول الفقه للمظفر، ١/٣١- ٣٢).

(١) هو الشيخ محمد رضا المظفر، من كبار علمائهم. انظر كتابة أصول الفقه ١/١٣٦. وهو الذى نقلنا عنه الأصول اللفظية آنفًا.

(٢) انظر أصول الفقه للمظفر ١/١٤١: ١٤٢.

النسخ بعد عصر النبوة:

١- فمنهم من ذهب إلى أن المخصصات ناسخة لحكم العمومات، لأن العام لما ورد وصل وقت العمل به بحسب الغرض، فتأخير الخاص عن وقت العمل لو كان مخصصًا ومبينًا لعموم العام يكون من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة. وهو قبيح من الحكيم، لأن فيه إضاعة للأحكام ولمصالح العباد بلا مبرر. فوجب أن يكون ناسخًا للعام، والعام باق على عمومه يجب العمل به إلى حين ورود الخاص، فيجب العمل ثانيًا على طبق الخاص(١).

وكيف يمكن النسخ بعد عصر النبوة وانقطاع الوحى؟

قيل «إن انقطاع الوحى لا يلازم عمد تحقق النسخ بعده ﷺ لأنه يمكن أن يكون النبى ﷺ قد أودع الحكم الناسخ إلى الوصى، وأودع الوصى إلى وصى آخر إلى أن يصل زمان ظهوره وتبليغه. وقد وردت أخبار عديدة فى تفويض دين الله تعالى إلى الأئمة، وعقد فى الكافى باب فى ذلك، وبعد هذا لا يصغى إلى شبهة عدم إمكان تحقق النسخ بعد النبى ﷺ»(٢).

ومن المعلوم أن حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، وحرامه ﷺ حرام إلى يوم القيامة، وهم يروون هذا أيضًا عن أئمتهم، فأنى يتحقق النسخ؟

---

(١) المرجع السابق ١/١٤٣: ١٤٤ وعند أهل السنة إذا قصر العام على بعض أفراده يعتبر تخصيصًا عند جمهور الأصوليين، لأن المراد بالتخصيص عندهم بيان أن المراد بالعام بعض أفراده، لا فرق بين أن يكون البيان متصلاً بالمبين أو منفصلاً عنه ما دام لم يتأخر عن وقت الحاجة إليه، فإذا تأخر كان نسخًا، ولا يكون حينئذ إلا كلامًا مستقلاً. أما الحنفية فإنهم يفرقون بين المتصل والمنفصل من الكلام المستقل، فيجعلون الأول مخصصًا ومبينًا، والثانى ناسخًا، لأن الشارع إذا أراد بالعام- من أول الأمر بعض أفراده قرنه بما يدل على مراده من المخصصات حتى لا يقع التجهيل الذى يتنزه الشارع الحكيم عنه، فإذا أورد العام من غير مخصص ومبين دل هذا على أن الشارع يريد جميع أفراده ابتداء. فإذا جاء بعد ذلك نص يخرج من العام بضع ما كان داخلاً فيه كان ناسخًا لا مخصصًا، فالخارج من العام بالتخصيص لم يدخل فيه ابتداء، والخارج منه بالنسخ دخل فيه ابتداء ثم أخرج. «أنظر أصول التشريع ص٢٤٤».

وهذا التخصيص أو النسخ عند الحنفية لا يكون إلا إذا وصل الحديث عن رسول الله ﷺ إلى حد التواتر أو الشهرة: أما إن كان خبر واحد فلا يخصصه ولا ينسخه إلا إذا كان عام الكتاب قد خص قبل بقطعى حتى صار بذلك التخصيص ظنيًا، ويرى الجمهور أن خبر الواحد يخص عام الكتاب «انظر أصول الفقه للخضرى ١٨٤».

(٢) فوائد الأصول ٤/٢٧٤.

يقول السيد أبو القاسم الخوئي- مرجعهم السابق بالعراق: «الظاهر منه- أي من الخبر- عرفًا بيان استمرار الشريعة المقدسة، وأنها لا تنسخ بشريعة أخرى، فالمراد منه أن كل ما يكون إلى يوم القيامة متصفًا بالحلية أو الحرمة فهو حلال محمد ﷺ أو حرامه، فأحكامه ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة، ولا تنسخ بشريعة أخرى»[1].

التخصيص

٢- ومن الجعفرية من جعل هذه المخصصات كاشفة عن اتصال كل عام بمخصصه، فهي ليست تخصيصًا طارئًا بعد عصر النبوة، وإنما اختفت تلك المخصصات المتصلة ووصلت إليهم المخصصات المنفصلة.

وقال الشيخ الطوسي: «لكثرة الدواعي إلى ضبط القرائن والمخصصات المتصلة، واهتمام الرواة إلى حفظها ونقلها، فمن المستحيل عادة أن تكون مخصصات متصلة بعد المخصصات المنفصلة وقد خفيت كلها علينا. وأجيب عن هذا بأنه لا وجه لهذه الاستحالة، فإنا نرى أن كثيرًا من المخصصات المنفصلة المروية من طرقنا عن الأئمة مروية عن العامة- أي جمهور المسلمين- بطرقهم عن النبي ﷺ فيكشف ذلك عن اختفاء المخصصات المتصلة علينا»[2].

كتمان الحكم تقية أو للتدرج

٣- ومن الجعفرية من ذهب إلى التخصيص كذلك، ولكن على أساس أن هذه المخصصات، هي المخصصات حقيقة، ولا يضر تأخرها عن وقت العمل العام، لأن العمومات المتقدمة لم يكن مفادها الحكم الواقعي، بل الحكم هو الذي تكفل المخصص المنصل ببيانه. وإنما تأخر بيانه لمصلحة كانت هناك في التأخير، وإنما تقدم العموم ليعمل به ظاهرًا إلى أن يرد المخصص، فيكون مفاد العموم حكمًا ظاهريًا، ولا محذور في ذلك، فإن المحذور إما هو تأخر الخاص عن وقت العمل بالعام إذا كان مفاد العام حكمًا واقعيًا لا حكمًا ظاهريًا»[3].

ويوضح عالم آخر هذا الرأي فيقول: «العام يجوز أن يكون واردًا لبيان حكم ظاهري صوري لمصلحة اقتضت كتمان الحكم الواقعي، ولو لمصلحة التقية، أو لمصلحة التدرج في

---

(١) أجود التقريرات ص٥١٢.
(٢) فوائد الأصول ٤/٢٧٤.
(٣) المرجع السابق ٤/٢٧٤.

بيان الأحكام كما هو معلوم من طريقة النبى ﷺ فى بيان أحكام الشريعة، مع أن الحكم الواقعى التابع للمصالح الواقعية الثابتة للأشياء بعناوينها الأولية إنما هو على طبق الخاص. فإذا جاء الخاص يكون كاشفًا عن الحكم الواقعى، فيكون مبينًا للعام ومخصصًا له، وأما الحكم العام الذى ثبت أولاً، ظاهرًا وصورة، إن كان قد ارتفع وانتهى أمره، فإنه إنما ارتفع لارتفاع موضوعه، وليس هو من باب النسخ»[١].

ثم يعقب على هذا بقوله: «وإذا جاز أن يكون العام واردًا على هذا النحو من بيان الحكم ظاهرًا وصورة: فإن ثبت ذلك كان الخاص مخصصًا، أى كان كاشفًا عن الواقع قطعًا. وإن ثبت أنه فى حدود بيان الحكم الواقعى للمصالح الواقعية الثابتة للأشياء بعناوينها الأولية، فلا شك فى أنه يتعين كون الخاص ناسخًا له. وأما لو دار الأمر بينهما، إذ لم يقم دليل على تعيين أحدهما، فأيهما أرجح فى الحمل؟ فنقول الأقرب إلى الصواب هو الحمل على التخصيص»[٢].

ومع هذا الترجيح فقد رأى غيره أن هذه الحالة لا يجوز حملها إلا على النسخ[٣].

وكتمان الحكم الواقعى تقية هذا أمر غير معروف عن النبى ﷺ وما أظن الشيعة يقولون به، فما يجوز لمسلم أن يعتقده، فلعلهم أرادوا التقية بالنسبة للأئمة؛ بمعنى أن الإمام يكتم هذا الحكم، لأنه لو أظهره خشى على نفسه وعلى شيعته، ومن هنا تكون التقية. وهذا الرأى وإن كان غير مقبول أصلاً، إلا أنه يتمشى مع عقيدة الجعفرية.

أما التدرج فى بيان الأحكام الذى يعتقده الجعفرية فيوضحه عالمهم المشهور محمد الحسين آل كاشف الغطاء بقوله: «يعتقد الإمامية أن لله بحسب الشريعة الإسلامية من كل واقعة حكمًا حتى أرش الخدش، وما من عمل من أعمال المكلفين من حركة أو سكون إلا ولله فيه حكم من الأحكام الخمسة: الوجوب، والحرمة، والندب، والكراهة، والإباحة. وما من معاملة على مال، أو عقد نكاح، ونحوها إلا وللشرع فيه حكم صحة أو فساد. وقد أودع الله سبحانه جميع تلك الأحكام عند نبيه خاتم الأنبياء، وعرفها النبى بالوحى من الله أو الإلهام، ثم إنه– سلام الله عليه– حسب وقوع الحوادث أو حدوث الوقائع أو حصول الابتلاء، وتجدد الآثار والأطوار، بين كثيرًا منها للناس، وبالأخص لأصحابه الحافين به،

---

(١) أصول الفقه المظفر ١٤٤/١. (٢) المرجع السابق ١٤٤/١.

(٣) انظر الآراء المختلفة والترجيحات فى الحاشية على الكفاية ١٩٨/٢: ١٩٩، وفوائد الأصول ٢٧٣/٤، وأجود التقريرات ص ٥٠٦: ٥١٢ والبيان ص٤٢٤: ٤٢٨.

الطائفين كل يوم بعرش حضوره، ليكونوا هم المبلغين لسائر المسلمين فى الآفاق: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[1] وبقيت أحكام كثيرة لم تحصل الدواعى والبواعث لبيانها، إما لعدم الابتلاء بها فى عصر النبوة، أو لعدم اقتضاء المصلحة لنشرها.. والحاصل أن حكمة التدرج اقتضت بيان جملة من الأحكام، وكتمان جملة، ولكنه- سلام الله عليه- أودعها عند أوصيائه، كل وصى يعهد به إلى الآخر لينشره فى الوقت المناسب له حسب الحكمة من عام مخصص، أو مطلق مقيد، أو مجمل مبين، إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبى عامًا ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلاً، بل يودعه عند وصية إلى وقته»[2].

من الواضح البين بعد هذا أن ما ذكره الجعفرية بالنسبة للقرآن الناطق- أى الإمام- أثر من آثار عقيدتهم فى الإمامة، فأقوالهم هنا لا تصح إلا بصحة عقيدتهم حتى يكون للإمام ما للنبى ﷺ من البيان والتخصيص والتقييد، بل النسخ، وحتى لا ينتهى التدرج بانقطاع الوحى وانتقال صاحب الرسالة ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وإنما يبقى دور لمن جعلوهما شركاءه ﷺ فى الرسالة.

وما ذكر الشيعة هنا ليس مسألة نظرية، وإنما يبين أصول التفسير، والتشريع أيضًا، وسنرى تطبيقًا عمليًا لها فى كتبهم التى تناولت بالدراسة كتاب الله تعالى، وعند الحديث عن كتبهم سنرى ثلاثة كتب فى التفسير ظهرت فى القرن الثالث الهجرى، وأن هذه الكتب جعلت كتاب الله تعالى أشبه بكتاب من كتب الشيعة، فأكثر الآيات خاصة بالأئمة وولايتهم، وكفر من ينكر هذه الولاية، إلى غير ذلك من الغلو والضلال كما سيتضح، وسنرى هذا فى عشرات من كتب التفسير الشيعى الأخرى.

والجعفرية لم يبدأوا التفكير فى علم الأصول إلا فى القرن الرابع الهجرى، ولم يدخل هذا العلم دور التصنيف والتأليف إلا فى القرن الخامس[3]. إذا عرفنا هذا أمكن القول بأن ما ذكره الشيعة هنا فى علم الأصول إنما كان استنتاجًا من تلك الكتب الثلاثة، أو تبريرًا لها، حيث إنها كانت تعتمد على روايات تزعم نسبتها للأئمة.

---

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣.

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص١٤٥- ١٤٦.

(٣) راجع التصنيف فى علم الأصول ص٥٤ وما بعدها من كتاب المعالم الجديدة للأصول.

ب

الظاهر والباطن

حجية الظواهر

ذكرنا آنفًا موقف الإخباريين من ظاهر القرآن الكريم، ورد جمهور الجعفرية عليهم. فهم يرون حجية الظهور. قال مرجعهم السابق بالعراق عن حجية ظواهر القرآن:

«لا شك أن النبى ﷺ لم يخترع لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده، وأنه كلم قومه بما ألفوه من طرائق التفهيم والتكلم، وأنه أتى بالقرآن ليفهموا معانيه، وليتدبروا آياته، فيأتمروا بأوامره ويزدجروا بزواجره، وقد تكرر فى الآيات الكريمة ما يدل على ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٤٧: ٢٤)[١] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٣٩: ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٦/ ١٩٢).

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١٩٣: ١٩٤).

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (١٩٥). وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٣: ١٣٨). وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٤: ٥٨). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (٥٤: ١٧). وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (٤: ٨٢).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب العمل بما فى القرآن، ولزوم الأخذ بما يفهم

---

(١) يقصد المؤلف بالرقم الأول من السورة وهى سورة محمد، وباقى السور التى أشار إلى أرقامها هى على الترتيب: محمد، الزمر، الشعراء، آل عمران، الدخان، القمر، النساء.

من ظواهره.

ومما يدل على حجية ظواهر الكتاب، وفهم العرب لمعانيه، أن القرآن نزل حجةعلى الرسالة، وأن النبى ﷺ قد تحدى البشر على أن يأتوا ولو بسورة من مثله، ومعنى هذا أن العرب كانت تفهم معانى القرآن من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لم تصح مطالبتهم بمعارضته، ولم يثبت لهم إعجازه، لأنهم ليسوا ممن يستطيعون فهمه، وهذا ينافى الغرض من إنزال القرآن، ودعوة البشر إلى الإيمان به... إلخ»[1].

وقال عالم آخر عن حجية الظواهر[2]:

«هى أوضح من أن يطال فيها الحديث ما دام البشر فى جميع لغاته قد جرى على الأخذ بظواهر الكلام، وترتيب آثارها ولوازمها عليها، بل لو أمكن أن يتخلى عنها لما استقام له التفاهم بحال، لأن ما كان نصًا فى مدلوله مما ينتظم فى كلامه لا يشكل إلا أقل القليل.

وبالضرورة أن عصر النبى ﷺ ما كان بدعًا من العصور، لينفرد به الناس فى أساليب تفاهمهم بنوع خاص من التفاهم لا يعتمد الظهور ركيزة من ركائزه، وما كان للنبى ﷺ طريقة خاصة فى التفاهم انفرد بها عن معاصريه، وإلا لكانت أحدوثة التاريه، فالقطع بإقرار النبى ﷺ لطريقتهم فى التفاهم كاف فى إثبات حجية الظواهر.

وقد نزل القرآن بلغة العرب، وتبنى طريقتهم فى عرض أفكاره، وكان لكلامه ظاهر يفهمونه ويسيرون على وفقه»[3].

اللجوء للتأويل تأييدًا للعقيدة

ومع القول بحجية الظاهر، إلا أنهم- كما رأينا من قبل- جعلوا للإمام ما للنبى ﷺ من بيان المراد من قول اللّه تعالى، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه. وفى الجزء الأول وجدنا أنهم لما لم يجدوا من ظاهر القرآن الكريم ما يؤيد عقيدتهم لجئوا إلى التأويل، وناقشناهم فيما ذهبوا إليه فلم نجد لهم دليلاً يمكن الاحتجاج به. وإذا كانت العقيدة من أساسها ليس لها ما يؤيدها من كتاب اللّه تعالى فكيف بما يتبعها من عقائد وتفريعات؟

---

(١) البيان للخوئى ص ٢٨١: ٢٨٢ وراجعه إلى ص٢٩١.

(٢) هو العالم محمد تقى الحكيم، أستاذ الأصول والفقه المقارن فى كلية الفقه.

(٣) المرجع السابق ص١٠٢: ١٠٣ وانظر كذلك للجعفرية فى حجية الظواهر: فوائد الأصول ٣/٤٧:٤٨، وأصول الفقه للمظفر ١/٢٤، ٣٠:٣٢، جـ ٣/١٢٩: ١٣٠، ١٣٤، ١٤١، والمعالم الجديدة للأصول ص١٣٩: ١٤٥.

والشيعة الاثنا عشرية لم يقفوا عند حد التأويل الذى أشرنا إليه، فهم ينسبون للنبى ﷺ وللأئمة أنهم قالوا: إن للقرآن ظهرًا وبطنًا، ولبطنه بطنًا إلى سبعة أبطن، أو إلى سبعين بطنًا![1] وهم لا ينفردون بالقول بأن للقرآن الكريم ظاهرًا وباطنًا، فقد قيل به قديمًا وحديثًا. قال أستاذنا الجليل المرحوم على حسب الله تحت عنوان ظاهر القرآن وباطنه: «إذا سمع المرء كلامًا عربيًا تبادر إلى ذهنه ما يدل عليه الكلام بحسب وضعه العربى، فإذا تدبره فقد يفهم منه مقاصد مطوية وأغراضًا خفية، فالمتبادر الأول هو ظاهر الكلام، ويكاد يدركه كل عارف باللغة. والمفهوم الثانى هو باطنه وهو لا يدرك إلا بشىء من التدبر. وللقرآن ظاهر وباطن بهذا المعنى، وكلاهما مراد، غير أن الثانى لا يعتد به إلا إذا لم يكن مناقضًا للأول، وكان له شاهد من مقاصد الدين ومراميه»[2].

والإمام الغزالى من قبل أفاض فى الحديث عن الظاهر والباطن، وقسم الباطن إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: أن يكون الشىء فى نفسه دقيقًا تكل أكثر الأفهام عن دركه، فيختص بدركه الخواص.

القسم الثانى: من الخفيات التى يمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها، ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين.

القسم الثالث: أن يكون الشىء بحيث لو ذكر صريحًا لفهم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز.

القسم الرابع: أن يدرك الإنسان الشىء جملة ثم يدركه تفصيلاً بالتحقيق والذوق.

القسم الخامس: أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال، فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقًا، والبصير بالحقائق يدرك السر فيه[3].

---

(١) انظر الميزان ١/٥، وانظر الكافى ١/٣٧٤. (٢) أصول التشريع الإسلامى ص٢٥- ٢٦.

(٣) راجع هذه الأقسام بالتفصيل، والحديث عن الظاهر والباطن فى إحياء علوم الدين: ١/١٧١- ١٨٠، والصوفية لهم حظ معلوم من التأويل! وانظر ما كتبه أستاذنا العلامة المرحوم أبو زهرة عن ظاهر القرآن وباطنه عند الجعفرية، والموازنة بين كلامهم وكلام الغزالى «الإمام الصادق ص٣٠٥- ٣١٥». =

فالجعفرية إذن لم ينفردوا بالقول بالباطن جملة، ولكن أثر عقيدتهم فى الإمامة- إلى جانب ما سبق- ظهر فى التوسع فى القول بالباطن إلى غير حد، حتى أن بعضهم- كما سيأتى- اعتبر ثلث القرآن فيهم، وثلثه فى عدوهم، وبعضهم جعل الربع لا الثلث، وهؤلاء وأولئك نسبوا هذا الضلال للأئمة الأطهار افتراء عليهم، حتى يضلوا غيرهم، وبذلك أخضعوا كتاب اللّه تعالى لأهوائهم، وحرفوه ليصبح أقرب ما يكون إلى كتاب الفرق، ولم يفترقوا كثيرًا عن الإسماعيلية الباطنية[1].

وعند تناولنا لكتبهم سنرى أنهم مختلفون، فمن ناشد للاعتدال نسبيًا مقترب منه، إلى راغب فى الضلال هابط إلى الغلو. وقبل الحديث عن هذه الكتب نتحدث عن موضوع جد خطير، حيث يتعلق بصيانة القرآن الكريم من النقص والتحريف.

= وراجع الفرق بين قولهم وما ذهب إليه جمهور المفسرين في «التفسير والمفسرون ٢/٢٨- ٣٢». وانظر كذلك أعلام الموقعين «٤/٣١٠- ٣٢٠» ففيه بحث قيم عن التأويل، وراجع فيه رأى ابن رشد، ومهاجمته للغزالى ولغيره من المتأولة.

(١) مما رواه الإسماعيلية عن النبى ﷺ أنه قال: «ما نزلت على من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن» ومما رووه عن الإمام الصادق- وهو آخر إمام يجمعهم بالجعفرية- أنه قال: «إنا نتكلم فى الكلمة الواحدة سبعة أوجه، فقال الرجل متفكرًا: سبعة يا بن رسول اللّه؟ فقال: نعم.. وسبعين ولو استزادنا لزدناه». «انظر أساس التأويل ص٣٠، ٣٧» وقالوا: «من معجزات وغرائب تأليفه- أى القرآن الكريم- أنه يأتى بالشيء الواحد وله معنى فى ظاهره ومعنى فى باطنه، فجعل عز وجل ظاهره معجزة ورسوله، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته، ولا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتى بباطنه غير الأئمة من ذريته، وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون، ويعطون كل أهل حد منه ما يستحقون، ويمنعون منه ما يجب معه، ويدفعون عنه من استحق دفعه: «ص٣١- ٣٢ أساس التأويل».

وإذا كان هذا المنهاج مختصًا بالإسماعيلية الباطنية، فإنا سنرى من دراستنا لكتب الجعفرية أن منها ما لا يرتفع عن هذا الدرك الأسفل، وكل يخضع كتاب اللّه تعالى لهواه، هذا يجعله اسماعيليًا.

١٠

القرآن الكريم والتحريف

لماذا قالوا بالتحريف؟

بالرجوع إلى كتب الجعفرية نجد جدلاً حول التحريف بين معتدليهم نسبيًا وغلاتهم، ونتعرض لهذا الأمر بإيجاز قدر المستطاع قبل الحديث عن كتبهم بشيء من التفصيل:

فمن المقطوع به عند جمهور المسلمين أنه ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[1] وأن الله تعالى هو الذى تعهد بحفظ القرآن الكريم: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، ولذا هيأ له، وسيهيئ له من يحفظه إلى يوم القيامة. وقد كتب على عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وجمع ما كتب عند الصديق ثم الفاروق، ثم كان المصحف الإمام الذى كتب فى خلافة ذى النورين كما هو معلوم، فحفظ فى السطور والصدور على مر القرون، وكلما أصاب المسلمون تقدمٌ وجهوه قدر استطاعتهم لحفظ كتاب الله تعالى، هذا ما نلمسه جميعًا بغير خلاف.

والذين حاولوا هدم الإسلام وجهوا مردة شيطانينهم للطعن فى القرآن المجيد، لكن هيهات، فباءوا بمرارة الفشل، وبغضب ممن علم القرآن. ولا عجب فى مسلك هؤلاء الكفار، ولكن العجب كل العجب أن نجد ممن ينتمى إلى الإسلام من يضل ضلال هؤلاء الكفار! فغلاة الاثنى عشرية عز عليهم أن يخلو القرآن الكريم من نصوص ظاهرة صريحة تؤيد عقيدتهم فى الإمامة، فلم يكتفوا بالتأويلات الفاسدة كما سنرى، بل أقدموا على جريمة مدبرة، فطعنوا فى الصحابة الأكرمين، وعلى الأخص الخلفاء الراشدون الذين سبقوا الإمام عليًا، وأرادوا من هذا الطعن الافتراء عليهم بأنهم غير أمناء على تنفيذ الشريعة ونقلها، وحفظ كتاب الله العزيز، ولذا انتهوا من هذا الطعن إلى أنهم اغتصبوا الخلافة، وحرفوا القرآن الكريم حتى لا يفتضح أمرهم، ولا يظهر حق على فى الخلافة والأئمة من بعده!!

(١) يونس آية: ٦٤.

ومن أشهر كتب هؤلاء الغلاة كتاب «فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب»، قال مؤلفه حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي[1] في ص٢ «هذا كتاب لطيف وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضايح أهل الجور والعدوان».

وذكر روايات كثيرة تفيد التحريف منها: «لما انتقل سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ من دار الفناء، وفعلاً صنما قريش ما فعلا من غضب الخلافة الظاهرية، جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كله ووضعه في إزار، وأتى به إليهم وهم في المسجد، فقال لهم: هذا كتاب الله سبحانه، أمرني رسول الله ﷺ أن أعرضه عليكم لقيام الحجة عليكم يوم العرض بين يدي الله تعالى. فقال فرعون هذه الأمة ونمرودها: لسنا محتاجين إلى قرآنك.. فنادى ابن أبي قحافة بالمسلمين وقال لهم: كل من عنده قرآن من آية أو سورة فليأت بها، فجاءه أبو عبيدة بن الجراح وعثمان، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو سعيد الخدري، وحسان بن ثابت، وجماعات المسلمين، وجمعوا هذا القرآن، أسقطوا ما كان فيه من المثالب التي صدرت عنهم بعد وفاة سيد المرسلين ﷺ، فلذا ترى الآيات غير مرتبطة!! والقرآن الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بخطة محفوظ عند صاحب الأمر عجل الله فرجه، فيه كل شيء حتى أرش الخدش»[2].

ومنها ما نسب للإمام الصادق «لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين»[3].

سورة الولاية في كتاب دبستان المذاهب

ونقل عن صاحب كتاب دبستان المذاهب قوله: «بعضهم يقولون إن عثمان أحرق المصاحف، وأتلف السور التي كانت في فضل علي وأهل بيته، منها هذه السورة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وذكر سورة كاملة مفتراة، ثم عقب عليها بقوله: «ظاهر كلامه أنه

---

(١) ولد سنة ١٢٥٤هـ بإحدى كور طبرستان، وتوفي بالكوفة سنة ١٣٢٠هـ، وهو صاحب كتاب مستدرك وسائل الشيعة الذي طبع بالقاهرة مع الوسائل للحر العاملي.

(٢) ص٩- ١٠، ويقصد الضالون بصنمي قريش الصديق والفاروق وفرعون هذه الأمة ونمرودها الفاروق ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (الكهف:٥) ويراد بصاحب الأمر إمامهم الثاني عشر، وفي روايات أخرى يطلق هؤلاء الضالون على الراشدين الثلاثة: عجل هذه الأمة وفرعونها وسامريها انظر ص١٥٥، ١٥٦، ٢١٨ من الكتاب المذكور.

(٣) سورة ص آية: ١٤.

أخذها من كتب الشيعة، ولم أجد لها أثرًا فيها، غير أن الشيخ محمد بن على بن شهر أشوب المازندرانى ذكر فى كتاب المثالب، على ما حكى عنه، أنهم أسقطوا من القرآن تمام الولاية، ولعلها هذه السورة»(١).

هذه نماذج قليلة ذكرناها بنصها، والكتاب كله يخبط فى ظلام هذا الضلال، ثم يفترى هذا على أهل البيت الأطهار، فمن أولئك الغلاة المفترون؟

من القائلين بالتحريف؟

قال مؤلف الكتاب السابق: «وقوع التغيير والنقصان فيه هو مذهب الشيخ الجليل على بن إبراهيم القمى شيخ الكلينى، فى تفسيره صرح بذلك فى أوله، وملأ كتابه من أخباره، مع التزامه فى أوله بأن لا يذكر فيه إلا مشايخه وثقاته، ومذهب تلميذه ثقة الإسلام الكلينى رحمه الله على ما نسبه إليه جماعة لنقله الأخبار الكثيرة الصريحة فى هذا المعنى فى كتاب الحجة، خصوصًا كتاب النكت والنتف من التنزيل، وفى الروضة، ومن غير تعرض لردها أو تأويلها(٢).

واستظهر المحقق السيد محسن الكاظمى فى شرح الواقية مذهبه من الباب الذى عقده فيه وسماه «باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام»، فإن الظاهر من طريقته أنه إنما يعقد الباب لما يرتضيه. قلت: وهو كما ذكره، فإن مذاهب القدماء تعلم غالبًا من عناوين أبوابهم، وبه صرح أيضًا العلامة المجلسى فى مرآة العقول. وبهذا يعلم مذهب الثقة الجليل محمد بن الحسن الصفار فى كتاب البصائر من الباب الذى له أيضًا فيه، وعنوانه هكذا «باب فى الأئمة أن عندهم لجميع القرآن الذى أنزل على رسول الله ﷺ»، وهو أصرح فى الدلالة مما فى الكافى، ومن باب «أن الأئمة محدثون».

وهذا المذهب صريح الثقة محمد بن إبراهيم النعمانى، تلميذ الكلينى صاحب كتاب الغيبة المشهور، فى تفسيره الصغير الذى اقتصر فيه على ذكر الآيات وأقسامها، وهو بمنزلة الشرح لمقدمة تفسير على بن إبراهيم، وصريح الثقة الجليل سعيد بن عبد الله القمى فى كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه كما فى المجلد التاسع عشر من البحار، فإنه عقد فيه بابًا ترجمته «باب التحريف فى الآيات التى هى خلاف ما أنزل الله عز وجل مما رواه

(١) انظر ص ١٥٦، ١٥٧ من فصل الخطاب.

(٢) انظر دراستنا لكتاب الحجة من الجزء الأول لأصول الكافى، وكذلك دراستنا لروضة الكافى، فى كتاب أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله ص ٢٩٦: ٣٥٥، وفى الجزء الثالث من هذه الموسوعة.

مشايخنا رحمة الله عليهم من العلماء من آل محمد»[١].

واستمر المؤلف فى ذكر القائلين بالتحريف[٢] إلى أن قال: «ومن جميع ما ذكرناه ونقلناه بتتبعى القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين، وانحصار المخالف فيهم بأشخاص معينين يأتى ذكرهم. قال السيد المحدث الجزائرى فى الأنوار ما معناه أن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف فى القرآن كلاماً ومادة وإعراباً والتصديق بها»[٣].

ثم قال: «ومن جميع ذلك ظهر فساد ما ذكره المحقق الكاظمى من انحصار القائل به فى على بن إبراهيم والكلينى، أو مع المفيد وبعض متأخرى المتأخرين[٤].

ثم اتهم الصحابة- خير أمة أخرجت للناس- بالكفر والعناد والجبروت والغباء، ليصل إلى أنهم ليسوا أهلاً لجمعه كما أنزل[٥].

وأكثر من ذكر الروايات كرواية الكلينى عن الإمام الصادق:

«إن القرآن الذى جاء به جبريل عليه عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية»[٦].

وقال: «إن الأخبار الدالة على ذلك- أى التحريف- تزيد على ألفى حديث، وادعى لاستفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق والداماد والعلامة المجلسى وغيرهم[٧].

ثم قال: «واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التى عليها معول أصحابنا فى إثبات الأحكام الشرعية، والآثار النبوية، إلا كتاب القراءات لأحمد بن محمد السيارى، فقد ضعفه أئمة الرجال، فالواجب علينا ذكر بعض القرائن الدالة على جواز الاستناد لهذا الكتاب»[٨].

---

(١) فصل الخطاب ص٢٥- ٢٦.

(٢) وممن ذكرهم محمد بن مسعود العياشى صاحب أحد تفاسيرهم المشهورة، انظر ص٢٦.

(٣) المرجع السابق ص٣٠. (٤) المرجع السابق ص ٣١- ٣٢.

(٥) انظر ص٨٢.

(٦) الكتاب نفسه ص ٢١١، ومعلوم أن القرآن الكريم آياته لا تصل إلى ستة آلاف وثلاثمائة، ومعنى رواية الكلينى أن أكثر من عشرة آلاف آية حذفت. «جاء فى البرهان للزركشى» (٢٥١/١»: عدد آياته في قول على رضي الله عنه- ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة. وعطاء: ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون. وحميد: ستة آلاف ومائتان واثنتا عشرة. وراشد: ستة آلاف ومائتان وأربع.

(٧، ٨) ص آية: ٢٢٧، ٢٢٨.

وقال أحد مفسرى الجعفرية[1]: «أما اعتقاد مشايخنا رحمهم الله فى ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى- طاب ثراه- أنه كان يعتقد التحريف والنقصان فى القرآن، لأنه روى روايات فى هذا المعنى فى كتابه الكافى، ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر فى أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه على بن إبراهيم القمى، فإن تفسيره مملوء منه، وله علو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبى طالب الطبرسى قدس سره، فإنه أيضًا نسج على منوالهما فى كتاب الاحتجاج».

وقال أحد كتابهم المعاصرين فى مقدمة كتبها لتفسير القمى: «هذا التفسير، كغيره من التفاسير القديمة، يشتمل على روايات مفادها أن المصحف الذى بين أيدينا لم يسلم من التحريف والتغيير، وجوابه أنه لم ينفرد المصنف بذكرها، بل وافقته فيه غيره من المحدثين المتقدمين والمتأخرين عامة وخاصة»[2].

ثم ذكر القائلين بالتحريف فقال بأنهم: «الكلينى والبرقى، والعياشى والنعمانى، وفرات بن إبراهيم، وأحمد بن أبى طالب الطبرسى صاحب الاحتجاج، والمجلسى، والسيد الجزائرى، والحر العاملى، والعلامة الفتونى، والسيد البحرانى، وقد تمسكوا فى إثبات مذهبهم بالآيات والروايات التى لا يمكن الإغماض عنها.

والذى يهون الخطب أن التحريف اللازم على قولهم يسير جدًا مخصوص بآيات الولاية، فهو غير مغير للأحكام ولا للمفهوم الجامع الذى هو روح القرآن، فو ليس بتحريف فى الحقيقة، فلا ينال لغير الشيعة أن يشنع عليهم من هذه الجهة»[3].

معتدلو الشيعة يتصدون لحركة الغلاة

هذه حركة من حركات التشكيك والتضليل قام بها غلاة الشيعة الأثنى عشرية، وسنعود للحديث عن بعض هؤلاء الغلاة عند تناولنا لكتبهم، ولكن المهم هنا هو أن المعتدلين- إلى حد ما- من إخواننا الجعفرية قد تصدوا لهذه الحركة قديمًا وحديثًا، وكشفوا القناع عن هذا الباطل، وفندوا مزاعم القائلين بالتحريف، وبينوا أن ما ذكر من روايات منسوبة لأهل البيت- تمسك بها القائلون بالتحريف- منها ما يحتمل التأويل ولا يفيد وقوع التحريف، والباقى يضرب به عرض الحائط. وأشهر من تصدى منهم لحركة

(١) هو محمد بن مرتضى المدعو بمحسن، انظر كتابه الصافى ج١ الورقة ١٩.

(٢) انظر المقدمة المذكورة ص٢٢.

(٣) تفسير القمى- المقدمة نفسها ص ٢٣- ٢٤.

التضليل فى القديم محمد بن بابويه القمى، الملقب بالصدوق صاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه»، أحد كتب الحديث الأربعة المعتمدة عند الجعفرية، والسيد الشريف المرتضى، وتلميذه الشيخ الطوسى: صاحب تفسير التبيان، وصاحب كتابين من كتب الحديث الأربعة السابقة، وشيخ مفسرى الجعفرية أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى(١).

ومما ذكره السيد المرتضى قوله: «القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرًا أو منقوصًا مع العناية الصادقة والضبط الشديد»(٢).

وقال: «إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعًا مؤلفًا على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له، وأن كان يعرض على النبى ﷺ ويتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى ﷺ عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعًا مرتبًا غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أن من خالف فى ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارًا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته»(٣).

وقال الشيخ الطوسى: «أما الكلام فى زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضًا، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضًا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذى نصره المرتضى، وهو الظاهر فى الروايات. غير أنه رويت روايات كثيرة، من جهة الخاصة والعامة، بنقصان كثير من آى القرآن، ونقل شىء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التى لا توجب علمًا ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنه يمكن تأويلها. ولو صحت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين، فإن ذلك معلوم صحته، لا يعترضه أحد من الأمة ولا يدفعه(٤).

---

(١) وفاة هؤلاء على الترتيب: ٣٨١، ٤٣٦، ٤٦٠، ٥٤٨ هـ.

(٢) مقدمة مجمع البيان ص ١٥.

(٣) المقدمة السابقة ص ١٥ وانظر رأي الطبرسى فى الصفحة ذاتها.

(٤) التبيان: ٣/١

وقال الصدوق: «اعتقادنا أن القرآن الذى أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين: وهو ما فى أيدى الناس، وليس بأكثر من ذلك.. ومن نسب إلينا أن نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب»[1].

هذا موقف المعتدلين نسبيًا فى القديم، أما فى الحديث فأكثر شيق اليوم يتفقون فى الظاهر مع جمهور المسلمين فى أن القرآن الكريم هو ما بين الدفتين بلا زيادة أو نقصان، ومن شذ برأيه منهم، حتى كاد يخرج عن الإسلام، فلا يعتد به، ولذا قال محمد بن الحسين آل كاشف الغطاء: يعتقد الشيعة الإمامية «أن الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله إليه- أى إلى محمد ﷺ- للإعجاز والتحدى، ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطىء بنص الكتاب العظيم ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون﴾، والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة فى نقصة أو تحريفة ضعيفة شاذة ، وأخبار آحاد، لا تفيد علمًا ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار، أو يضرب بها الجدار»[2].

وعندما خرج صاحب فصل الخطاب بكتابه تصدى له كثير من علماء الشيعة وسفهوا رأيه، وبينوا خطأ ما جاء به جملة وتفصيلاً. منهم- على سبيل المثال- السيد أبو القاسم الخوئى مرجعهم السابق بالعراق[3] والشيخ محمد جواد البلاغى النجفى[4] والشيخ محمد بن تقى الحكيم[5]. فلسنا فى حاجة إذن إلى ذكر شبهات الضالين، وبيان بطلانها، فقد تكفل إخواننا الجعفرية بهذا، بل إن الإخباريين الذين يرون صحة جميع الأخبار الواردة عن أهل البيت، ولذا ذهبوا إلى القول بالتحريف، وجدنا منهم من يذكر هذا التحريف. قال مرجعهم السابق بالكويت: «مذهبنا- ومذهب كل مسلم- بأن القرآن الكريم المتداول بين أيدينا ليس فيه أى تحريف بزيادة أو نقصان، وما ذكر فى بعض الأحاديث بأن فيه تحريفًا

---

(١) رسالته فى الاعتقادات: ص٩٣.

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص ١٣٣.

(٣) انظر كتابه البيان ص٢١٥- ٢٧٨ وبعد بحثه قال تحت عنوان «النتيجة» ص ٢٧٨: «ومما ذكرناه: قد تبين للقارىء أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأل فى أطرافه حق التأمل، أو من ألجأه إليه بحب القول به.

(٤) انظر مقدمته لتفسير شبر ص ١٦: ١٩.

(٥) راجع كتابه الأصول العامة للفقه المقارن ص١٠٧: ١١٧.

ونقصانًا فهو مخالف لعقيدتنا فى القرآن الذى هو الذكر المحفوظ، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[1].

هذا اتجاه طيب، وهداية مرجوة، فلعل الله عز وجل يهدى باقى إخواننا الجعفرية الصراط المستقيم، وإن كان هؤلاء الذين يمثلون جانب الاعتدال إلى حد ما فى المذهب الجعفرى عز عليهم أن يكون الغلاة الضالون القائلون بالتحريف جعفريين، ولذا حاولوا إبعاد هذه التهمة عمن له مكانة عالية بينهم، وإلصاقها بجمهور المسلمين!.

ومن المقطوع به أن جمهور المسلمين ليس منهم من يقول بالتحريف.

فلا نعرف أحدًا من جمهور المسلمين يقول بأن الصحابة الكرام أسقطوا شيئًا من القرآن الكريم كما قال غلاة الجعفرية، والجعفرية يدركون هذا تمامًا ولذا حاولوا نسبة هذا الجرم الشنيع لغيرهم بقولهم بأن القول بنسخ التلاوة قول بالتحريف، ليصلوا من هذا إلى أن أكثر أهل السنة قائلون بالتحريف!

ونسخ التلاوة يعنى أن آيات نزلت، ثم أمر الله تعالى برفعها، وقد أتى الله تعالى بمثلها أو بخير منها: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:١٠٦]، أى أن الشارع الحكيم هو الذى أمر بهذا الرفع. فهذا النسخ لو سلمنا بوجوده فإنه كما يقول أستاذنا الجليل المرحوم الدكتور مصطفى زيد «لا يعتبر مطعنًا ولا شبه مطعن فى القرآن الكريم الذى تكفل الله- عز وجل- بحفظه من التغيير والتبديل، وهو الذى جمع بين دفتى المصحف، ولا يعتبر مطعنًا ولا شبه مطعن كذلك فى الوحى الذى تنزل به جبريل على قلب محمد، ما دام المرفوع منه قد رفع فى عهد التنزيل، ولم ترفع منه كلمة واحدة بعد أن انتقل الرسول ﷺ- إلى الرفيق الأعلى. «النسخ فى القرآن الكريم ٢٨٢/١ : ٢٨٣».

فما بين الدفتين هو القرآن الكريم الذى أمرنا بتلاوته وتدبره، وتنفيذ أحكامه، بغير زيادة أو نقصان، فكيف يقال بأن النسخ تحريف؟

على أن الجعفرية الذين تصدوا لحركة التضليل فى الماضى قائلون بهذا النسخ، بل مدافعون عنه، فكيف غاب هذا عن شيعة اليوم وهم يخلطون بين النسخ والتحريف ليصلوا إلى مأربهم!

---

(١) تعليق على مقال ص١٣.

ولنذكر مثلاً شيخ الطائفة الطوسى، قال فى تفسيره التبيان «١٣/١»: «لا يخلو النسخ فى القرآن الكريم من أقسام ثلاثة، أحدها: نسخ حكمه دون لفظه.. الثانى ما نسخ لفظه دون حكمة كآية الرجم، فإن وجوب الرجم على المحصنة لا خلاف فيه، والآية التى كانت متضمنة له منسوخة بلا خلاف وهى قوله (والشيخ والشيخة إذا زنيا).. والثالث: ما نسخ لفظه وحكمه، وذلك نحو ما رواه المخالفون عن عائشة أنه كان فيما أنزل الله عشر رضعات».

وقال فى موضع آخر «ا/٣٩٤»: وقد أنكر قوم جواز نسخ القرآن، وفيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم، وجاءت أخبار متظافرة بأنه كانت أشياء فى القرآن نسخت تلاوتها».

والنوع الثالث لأن روايته عن المخالفين- أى غير الجعفرية- قال عنه الطوسى بأنه «مجوز وإن لم يقطع بأنه كان»، أما النوع الثانى فإنه يؤيده برواية الشيخ والشيخة، ويقول بأنها رواية مشهورة، فهذه الرواية من روايات الجعفرية كذلك، ورواها أيضًا على بن إبراهيم القمى الذى ينسب رواياته إلى الإمامين الباقر والصادق «انظر تفسيره ٩٥/٢، وانظر كذلك مجمع البيان ١٨٠/١- ١٨١ لترى اتفاق الطبرسى مع الطوسى فى النسخ».

ولسنا بهذا نؤيد إمكان وقوع هذا النسخ أو عدم إمكانه، ولكنا نبين لإخواننا الجعفرية أن شيخ طائفتهم الذى دافع عن القول بعدم التحريف، دافع عن القول بنسخ التلاوة، لأن النسخ من الشارع الحكيم والتحريف من البشر بعد عصر التنزيل، فالنسخ والتحريف مختلفان تمامًا، فكيف إذن يغيب هذا عن مرجع الجعفرية السابق بالعراق فيقول: «غير خفى أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف والإسقاط» «البيان ص٢٤٤» ثم يستمر ليقول: «وعلى ذلك فيمكن أن يدعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة! لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة» ثم يقول فى ص ٢٢٥: «قد عرفت أن القول بعدم التحريف هو المشهور، بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة ومحققيهم!» ويشير إلى ما ذكره الطبرسى فى مجع البيان «ج١ ص١٥» من الاستدلال على بطلان القول بالتحريف. ولو استمر مرجع الجعفرية إلى ص١٨٠ لوجد استدلال الطبرسى كذلك على نسخ التلاوة! وما الرأى عند السيد فيمن ذكروا من الضالين القائلين بالتحريف؟ أليسوا من علماء الشيعة؟ أو لا يعد أكثرهم عند الشيعة من المحققين؟ كالقمى، والعياشى، والكلينى، والنعمانى، والمجلسى وغيرهم.

أفلا يذكر السيد الخوئى ما ذهب إليه فى كتابه معجم رجال الحديث «ج١ ص٣- ٦٤» من صحة تفسير على بن إبراهيم القمى، شيخ الكلينى، وأن روايات كتاب التفسير هذا

«ثابتة وصادرة من المعصومين عليهم السلام، وأنها انتهت إليه بوساطة المشايخ والثقات من الشيعة»؟ أو لم يقرأ السيد تلك الروايات ليرى فيها النص على القول بتحريف القرآن الكريم؟ وقد حكم هو بصحتها!

وإذا صدر هذا منه فماذا تنتظر من غيره؟![١].

وبعد: فقد أوجزت هنا سائلاً اللّه تعالى ألا أكون تركت ما يجب ذكره، أو ذكرت ما يجب تركه.

* * *

---

(١) بعد قليل يأتى الحديث عن تفسيرى القمى والعياشى الضالين، وانظر ما كتبته عن الكافى للكلينى فى كتاب أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله.

١١

كتب التفسير الشيعى فى القرن الثالث

ذكرت من قبل أن الجعفرية درجات بين الاعتدال النسبى والغلو فليسوا سواء، وإنا نرى لزامًا علينا الرجوع إلى كتبهم المختلفة لنرى إلى مدى أثرت عقيدة الإمامة عندهم فى تناولهم لكتاب الله تعالى.

وعندما رجعت إلى الكثير من كتبهم وجدت أن القرن الثالث ظهر فيه ثلاثة كتب هى التفسير المنسوب للإمام العسكرى- إمامهم الحادى عشر- وتفسيرًا العياشى، والقمى، وهذه الثلاثة تمثل جانب التطرف فى المذهب الجعفرى.

ثم يأتى شيخ الطائفة الطوسى «المتوفى سنة ٤٦٠هـ» فيخرج كتابه التبيان الذى يمثل جانبًا من الاعتدال، ويليه الطبرسى شيخ مفسريهم. والجعفرية بعد هذا منهم من سلك أحد المسلكين، ومنهم من جمع بينهما، أو اقترب من أحدهما.

ونتحدث فى هذا الفصل عن الكتب الثلاثة التى ظهرت فى القرن الثالث، ثم نتحدث عن باقى الكتب فى الفصول الأخرى.

الكتاب الأول

تفسير الحسن العسكرى

قصة إملاء الكتاب

التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكرى يرويه أبو يعقوب يوسف بن محمد ابن زياد، وأبو الحسن على بن محمد بن سيار(١)، ويقولان: إن الإمام أملى عليهما هذا التفسير، ويذكران قصة لهذا الإملاء(٢). وهو تفسير لم يكمل، وإنما يتناول الفاتحة وسورة البقرة إلى قبيل خاتمتها بأربع آيات.

غلو وضلال

وهو كتاب يبين عقيدة الإمامة، وما يتصل به عند غلاة الجعفرية، ويخضع الآيات الكريمة لهذه العقيدة الفاسدة، ذاكرًا ما يأباه ديننا الحنيف، وكل عقل سليم لم يمرضه الهوى والضلال. والكتاب مملوء بالافتراء على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ وعلى أهل البيت الأطهار. فالكتاب إذن ليس تفسيرًا بالمعنى الصحيح، وإنما هو كتاب من كتب الفرق الضالة، ولنضرب لذلك الأمثال حتى يحكم القارئ بنفسه.

كفر من أنكر ولاية على

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤].

---

(١) الراويان من الثقات عند الجعفرية- انظر ترجمتيهما في تنقيح المقال للمامقاني.

(٢) انظر الصفحة الثانية وما بعدها.

قال الإمام: قال الحسن بن على: من دفع فضل أمير المؤمنين على جميع من بعد النبى فقد كذب بالتوارة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب اللّه المنزلة، فإنه ما نزل شيء منها إلا وأهم ما فيه- بعد الأمر بتوحيد اللّه تعالى والإقرار بالنبوة- الاعتراف بولاية على والطيبين من آله.

ولقد حضر رجل عند على بن الحسين فقال له: ما تقول فى رجل يؤمن بما أنزل اللّه على محمد، وما أنزل على من قبله، ويؤمن بالآخرة، ويصلى ويزكى، ويصل الرحم، ويعمل الصالحات، ولكنه مع ذلك يقول ما أدرى الحق لعلى أو لفلان، فقال له على بن الحسين: ما تقول أنت فى رجل يفعل هذه الخيرات كلها إلا إنه يقول: لا أدرى: النبى محمد أو مسيلمة؟ هل ينتفع بشيء من هذه الأفعال؟ فقال: لا. فقال: وكذلك قال صاحبك هذا، كيف يكون مؤمنًا بهذه الكتب من لا يدرى: أمحمد النبى أم مسيلمة الكذاب؟ وكذلك[1] كيف يكون مؤمنًا بهذه الكتب، أو منتفعًا به، من لا يدرى أعلى محق أم فلان»[2].

شهادة البساط والسوط والحمار للوصى

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ **[البقرة:٦]**، قال الإمام: «فلما ذكر هؤلاء المؤمنين، ومدحهم بتوحيد اللّه وبنبوة محمد رسول اللّه، ووصيه على ولى اللّه، ذكر الكافرين المخالفين لهم فى كفرهم فقال: إن الذين كفروا بما آمن به هؤلاء المؤمنون بتوحيد اللّه تعالى، وبنبوة محمد رسول اللّه، وبوصيه على ولى اللّه، وبالأئمة الطاهرين الطيبين، خيار عباده الميامين، القوامين بمصالح خلق اللّه تعالى، سواء عليهم ءأنذرتهم وخوفتهم أم لم تنذرهم ولو تخوفهم فهم لا يؤمنون. قال محمد بن على الباقر: إن رسول اللّه لما قدم المدينة، وظهرت آثار صدقه، وآيات حقه، وبينات نبوته، كادته اليهود أشد كيد: وقصدوه أقبح قصد، يقصدون أنواره ليطمسوها، وحججه ليبطلوها، وكان ممن قصده للرد عليه وتكذيبه مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف، وحيى بن الأخطب، وأبو ياسر بن الأخطب، وأبو لبابة بن عبد المنذر، وشيبة. فقال مالك لرسول اللّه: يا محمد تزعم أنك رسول اللّه؟ قال رسول اللّه: كذلك قال اللّه خالق الخلق أجمعين. قال: يا محمد لن نؤمن أنك رسوله حتى يؤمن لك هذا البساط الذى تحتنا، ولن نشهد لك أنك من اللّه جئتنا حتى يشهد لك هذا البساط. وقال أبو لبابة بن عبد المنذر: لن نؤمن لك يا محمد أنك رسول اللّه، ولا نشهد لك به، حتى يؤمن ويشهد لك به هذا السوط الذى فى

---

(١) فى الأصل: «كك».

(٢) ص ٣٢: ٣٣.

يدى. وقال كعب بن الأشرف: لن نؤمن لك أنك رسول اللَّه ولن نصدقك به حتى يؤمن لك هذا الحمار الذى أركبه، فقال رسول اللَّه: إنه ليس للعباد الاقتراح على اللَّه تعالى، بل عليهم التسليم للَّه، والانقياد لأمره، والاكتفاء بما جعله كافيًا. أما كفاكم أن أنطق التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم بنبوتى، ودل على صدقى، وبين فيها ذكر أخى ووصيى وخليفتى فى أمتى، وخير ما أتركه على الخلايق من بعدى، على بن أبى طالب؟

فلما فرغ رسول اللَّه من كلامه هذا أنطق اللَّه البساط فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، إلهًا واحدًا أحدًا صمدًا قيومًا أبدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ولم يشرك فى حكمه أحدًا. وأشهد أنك يا محمد عبده ورسوله، أرسلك بالهدى ودين الحق ليظهرك على الدين كله ولو كره المشركين. وأشهد أن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أخوك ووصيك، وخليفتك فى أمتك وخير من تركته على الخلايق بعدك، إن من والاه فقد والاك، ومن عاداه فقد عاداك، ومن أطاعه فقد أطاعك، ومن عصاه فقد عصاك»(١).

وتستمر القصة لتبين أن البساط تحرك وأوقع من عليه، وأنه نطق ثانيًا ليبين أن اللَّه تعالى أنطقه ليشهد هذه الشهادة، وأنه لا يجلس عليه إلا المؤمنون. فقال رسول اللَّه ﷺ لسلمان والمقداد وأبى ذر وعمار: قوموا فاجلسوا عليه، فإنكم بجميع ما شهد به هذا البساط مؤمنون، فجلسوا عليه. ويمثل هذا شهد البساط، ثم الحمار، ثم قال: فلما انصرف القوم من عند رسول اللَّه ولم يؤمنوا أنزل اللَّه يا محمد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية(٢).

قصص خرافية

وفى الحديث عن قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ **[البقرة: الآية ٧]**، قصص خرافية عن على: كسائل طلب منه مساعدته لقضاء دينه فنادته الملائكة من السماء ليخبر السائل بأن يضع يده على ما يشاء لتكون ذهبًا، ففعل وقضى دينه، وبقى له كذا وكذا... إلخ(٣).

يوم الغدير وما بعده

وفى تفسير ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ **[البقرة:٨]**، يقول: قال الإمام: قال العالم موسى بن جعفر: «إن رسول اللَّه لما أوقف أمير المؤمنين فى يوم الغدير موقفه المشهور «وذكر صاحب التفسير هنا أخذ البيعة من

(١) ص: ٣٤. (٢) انظر ص ٣٤: ٣٦.

(٣) انظر ص ٣٦: ٤١.

الصحابة وأولهم أبو بكر وبعده عمر، ثم قال: «ثم إن قومًا من متمرديهم وجبابرتهم تواطئوا بينهم لئن كانت لمحمد كائنة ليدفعن هذا الأمر من على، ولا يتركونه له، فعرف اللَّه ذلك من قبلهم، وكانوا يأتون رسول اللَّه ويقولون: لقد أقمت علينا أحب خلق اللَّه إلى اللَّه وإليك وإلينا، فكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا والجبارين فى سياستنا، وعلم اللَّه من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض، أنهم على العداوة مقيمون، ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون، فأخبر اللَّه- عز وجل- محمدًا عنهم فقال: يا محمد، ومن الناس من يقول آمنا باللَّه الذى أمرك بنصب على إمامًا وسايسًا لأمتك ومدبرًا، وما هم بمؤمنين بذلك، ولكنهم تواطئوا على إهلاكك وإهلاكه، يوطنون أنفسهم على التمرد على علىّ إن كانت بك كائنة»[1].

اتهام الشيخين والصحابة بالنفاق والكذب والكفر!!

ثم يستمر الكتاب بعد ذلك فى جعل الآيات متصلة ببيعة الصحابة للإمام على، واتهام الصحابة الأكرمين- وفى مقدمتهم الصديق والفاروق- بالنفاق والكذب والفقر! فعند الحديث عن قوله تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩]، يقول: «قال الإمام: قال موسى بن جعفر: لما اتصل ذلك من مواطأتهم، وقيلهم فى على، وسوء تدبيرهم عليه، برسول اللَّه فدعاهم وعاقبهم، فاجتهدوا فى الإيمان، وقال أولهم: يا رسول اللَّه، واللَّه ما اعتدت بشىء كاعتدادى بهذه البيعة، ولقد رجوت أن يفتح اللَّه بها لى فى قصور الجنان، ويجعلنى فيها من أفضل النزال والسكان. وقال ثانيهم: بأبى أنت وأمى يا رسول اللَّه، ما وثقت بدخول الجنة والنجاة من النار إلا بهذه البيعة، واللَّه ما يسرنى أن نقضتها أو نكثت بعد ما أعطيت من نفسى ما أعطيت، وأن لى طلاع ما بين الثرى إلى العرش. وقال ثالثهم: يا رسول اللَّه، وأيقنت أنه لو كانت ذنوب أهل الأرض كلها على لمحصت عنى بهذه البيعة. ثم تتابع بمثل هذا الاعتذار من بعدهم من الجبابرة والمتمردين. فقال اللَّه عز وجل لمحمد: يخادعون اللَّه: يعنى يخادعون رسول اللَّه بائتمان خلاف ما فى جوانحهم، والذين آمنوا كذلك أيضًا، الذين سيدهم وفاضلهم على بن أبى طالب. ثم قال: وما يخادعون ما يضرون من تلك الخديعة إلا أنفسهم، فإن اللَّه غنى عنهم وعن نصرتهم، ولولا إمهاله لهم لما قدروا على شىء من فجورهم وطغيانهم، وما يشعرون أن الأمر كذلك، وأن اللَّه يطلع نبيه على نفاقهم وكذبهم

---

(١) ص: ٤١- ٤٢.
(٢) ص:٤٢.

وكفرهم، ويأمره بلعنهم فى لعنة الظالمين الناكثين، وذلك اللعن لا يفارقهم فى الدنيا، ويلعنهم خيار عباد الله، وفى الأخرة يبتلون بشدائد عقاب الله»[2].

زعمه بأن الصحابة لا يؤمنون بأى دين!!

وهو يرى بأن هؤلاء الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- لا يؤمنون بأى دين!! فمثلاً عند الحديث عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ⑪ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١١، ١٢]، يقول: «قال العالم موسى بن جعفر: إذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة فى يوم الغدير، لا تفسدوا فى الأرض بإظهار نكث البيعة بعباد الله المستضعفين، فتشوشون عليهم دينهم، وتحيرونهم فى مذاهبهم، قالوا: إنما نحن مصلحون، لأنا لا نعتقد دين محمد ولا غير دين محمد.. إلخ[1].

دعوة موسى لولاية على!!

والكتاب كله تقريبًا يدور حول الإمامة وما يتصل بها، وكأن القرآن الكريم ما نزل إلا لدعوة الناس إلى إمامة على!

ثم إن هذه الدعوة ليست قاصرة على أمة محمد- صلوات الله عليه- فعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:٥٣]، يقول: «لما أكرمهم الله بالكتاب والإيمان به والانقياد له، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى.. يا موسى: تأخذ على بنى إسرائيل أن محمدًا خير النبيين وسيد المرسلين، وأن أخاه ووصيه عليًا خير الوصيين، لعلكم تهتدون: أى لعلكم تعلمون أن الذى شرف العبد عند الله- عز وجل- هو اعتقاد الولاية كما شرف به أسلافكم[1].

قصص خرافية تصلح للأطفال

والكتاب لا يكتفى بهذا الضلال فى تحريف القرآن الكريم ليتفق مع هواه وغيه، وإنما يذكر من الخرافات ما يذكرنا بالقصص الخرافية للأطفال! فمثلاً عندما يتحدث عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠]، يقول: «قال الإمام: قال موسى بن جعفر: إن رسول الله لما اعتذر هؤلاء المنافقون إليه بما اعتذروا، وتكرم عليهم بأن قبل ظواهرهم، ووكل بواطنهم إلى

---

(١) ص٤٤.

(٢) ص١٠٠.

ربهم، لكن جبريل أتاه فقال: يا محمد، إن العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول: أخرج بهؤلاء المردة الذين اتصل بك عنهم فى على نثكهم لبيعته ، وتوطيهم نفوسهم على مخالفتهم عليًا، ليظهر من عجايب ما أكرمه الله به من طواعية الأرض والجبال والسماء له، وسائر ما خلق الله، لما أوقفه موقفك وأقامه مقامك، ليعلموا أن ولى الله عليًا غنى عنهم، وأنه لا يكف عنهم انتقامه منهم إلا بأمر الله الذى له فيه وفيهم التدبير الذى هو بالغه»(١).

وذكر أنه خرج ﷺ، وهؤلاء وعلى، حيث استقر عند سفح بعض جبال المدينة، فسأل ربه فانقلبت ذهبًا، ثم فضة، ثم انقلبت الأشجار إلى رجال شاكى السلاح، وأسود ونمور وثعابين، وكلها ناجت وصى رسول الله بأنها تحت أمره.. إلخ. فمرضت قلوب القوم لما شاهدوا من ذلك. مضافًا إلى ما كان من مرض حسدهم لعلى بن أبى طالب، فقال الله عند ذلك: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية (٢).

معجزات الإمام على:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]، يتحدث عن المعنى- وهو متصل بالولاية كسائر الآيات- ثم يتحدث عن معجزات الرسول ﷺ، ومعجزات الإمام على، ومن هذه المعجزات التى ذكرها:

الغمامة التى أظلت الرسول الكريم فى تجارته للشام ، وكان مكتوبًا عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدته بعلى سيد الوصيين، وشرفته بأصحابه الموالين له ولعلى ولأوليائهما، والمعادين لأعدائهما»(٣).

ومنها: تسليم الجبال والصخور والأحجار على الرسول ﷺ، وتبشيره بوصيه وباب مدينة علمه على بن أبى طالب(٤).

ومنها: أن شجرتين تلاصقتا ليقضى الرسول حاجته، وأن نظير هذا كان لعلى بن أبى طالب لما رجع من صفين، حيث تلاصقت شجرتان كان بينهما أكثر من فرسخ(٥).

صكوك الغفران

وحتى يغرر بضعاف العقول، وجهلة القوم، ليؤمنوا بهذه الخرافات، ويسيروا فى ظلمات هذا الضلال، يصدر صكوك الغفران! وقد بين أن جهنم أعدت للكافرين بولاية على، المنافقين

(١) ص٤٢: ٤٣. (٢) انظر: ص٤٣: ٤٤.
(٣) انظر ص ٦٠. (٤) انظر ص ٦١. (٥) انظر ص ٦٤.

فى إظهار الرضا عن البيعة كما أشرنا من قبل. ثم يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ ليكون للصك قيمته حتى يمكن التأثير على هذا الصنف من الناس. اقرأ مثلاً ما كتب عن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦]، فإنك تجد الحديث عن البيعة، والافتراء على الرسول ﷺ بأنه قال: «أما إن من شيعة على لمن يأتى يوم القيامة وقد وضع له فى كفه ميزانه من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسى، والبحار الثيار، يقول الخلائق: هلك هذا العبد، فلا يشكون أنه من الهالكين، وفى عذاب الله من الخالدين. فيأتيه النداء من قبل الله عز وجل: يأيها العبد الخانى هذه الذنوب الموبقات، فهل بإزائها حسنات تكافيها فتدخل جنة الله برحمة الله، أو تزيد عليها فتدخلها بوعد الله؟ يقول العبد: لا أدرى، فيقول منادى ربنا عز وجل: فإن ربى يقول ناد إلى عرضات القيامة: ألا إنى فلان بن فلان، من أهل بلد كذا وكذا، وقرية كذا وكذا، قد رهنت بسيئات كأمثال الجبال والبحار، ولا حسنات لى بإزائها، فأى أهل هذا المكان لى عنده يد أو عارفة فينعتنى بمجازاتى عنها، فهذا أوان أشد حاجتى إليها. فينادى الرجل بذلك، فأول من يجيبه على بن أبى طالب: لبيك لبيك، أيها الممتحن فى محبتى، المظلوم بعداوتى، ثم يأتى هو ومعه عدد كثير وجمع غفير، وإن كانوا أقل عدداً من خصمائه الذين لهم قبله الظلامات، فيقول ذلك العدد: يا أمير المؤمنين، نحن إخوانه المؤمنون، كان بنا باراً ولنا مكرماً، وفى معاشرته إيانا مع كثرة إحسانه إلينا متواضعاً، وقد بذلنا له جميع طاعاتنا، وبذلناها له. فيقول على: فبماذا تدخلون جنة ربكم؟ فيقولون: برحمته الواسعة التى لا يعدمها من والاك يا أخا رسول الله، فيأتى النداء من قبل الله عز وجل: يا أخا رسول الله، هؤلاء إخوانه المؤمنون قد بذلوا له، فأنت ماذا تبذل له؟ فإنى أنا الحاكم ما بينى وبينه من الذنوب، قد غفرتها له بموالاته إياك، وما بينه وبين عبادى من الظلامات فلابد من فصل الحكم بينه وبينهم. فيقول على: يا رب أفعل ما تأمرنى. فيقول الله عز وجل: يا على، اضمن لخصمائه تعويضهم عن ظلاماتهم قبله، فيضمن لهم على ذلك، ويقول لهم: اقترحوا على ما شئتم أعطيكموه عوضاً عن ظلاماتكم قبله. فيقولون: يا أخا رسول الله تجعل لنا ... ثواب نفس من أنفاسك ليلة بيوتك على فراش محمد رسول الله. فيقول على: قد وهبت ذلك لكم. فيقول الله عز جل: فانظروا يا عبادى الآن إلى ما نلتموه من على بن أبى طالب فدى لصاحبه من ظلاماته، ويظهر لكم ثواب نفس واحد فى الجنان من عجايب قصورها وخيراتها: ثم قال رسول الله: أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم المعدة لمخالفى أخى ووصيى على بن أبى طالب»[١].

---

(١) ص: ٤٨- ٤٩.

بعد هذا العرض أظن أن القارىء قد تأكد بنفسه مما قلته من أن هذا الكتاب ليس تفسيرًا بالمعنى الصحيح، وإنما هو كتاب من كتب الفرق الضالة التى رزىء بها الإسلام، وأنه أثر من آثار الغلو فى عقيدة الإمامة.

لمن هذا الكتاب؟

يبقى هنا أن نتساءل: لمن هذا الكتاب؟ أهو فعلاً للإمام الحسن العسكرى؟ أظن لا، بل أكاد أقطع بهذا؛ فهذا الرجل الطاهر الصالح ليس كافرًا وليس ضالاً، وإنما كفر وضل أولئك الذين غالوا فيه، وفى آبائه الكرام البررة.

ومن الشيعة أنفسهم من يرى عدم صحة نسبة الكتاب للإمام، ويطعن فى السند، ويرى أنه مشتمل على المناكير. وأشار إلى هذا صاحب كتاب الذريعة عند حديثه عن هذا التفسير، غير أنه أطال فى محاولة إثبات أن هذا الكتاب من إملاء الإمام، وسود بهذا تسع صفحات فى الجزء الرابع «ص٢٨٥: ٢٩٣»، وقال عن المناكير التى ذكرنا شيئًا منها: ليس فيه إلا بعض غرائب المعجزات مما لا يوجد فى غيره!.

والكتب التى أطلعت عليها لغير غلاة الشيعة لا تشير إلى هذا التفسير، ولا تنقل عنه، فلو كان عندهم كتاب إمام يرونه القرآن الناطق، لالتزما بما جاء فيه. ولكن هذا فى رأيى لا يكفى، فكان الواجب الإشارة إلى هذا الكتاب وما به من كفر وضلال.

ويبقى أن بعض شيعة الأمس واليوم من المتطرفين الغلاة يعتقدون صحة نسبة هذا التفسير للإمام العسكرى، وبعض مفسريهم نقله كاملاً.

الكتاب الثانى

تفسير القمى

منزلة الكتاب وصاحبه عند الشيعة

ثانى هذه الكتب الثلاثة تفسير القمى: لأبى الحسن على بن إبراهيم بن هاشم القمى، وهو يشمل القرآن الكريم كله. وصاحب الكتاب[(١)] كان فى عصر الإمام العسكرى، وعاش إلى سنة ٣٠٧، وهو ثقة عند الشيعة، يعتبر من أجل الرواة عندهم، وقد أكثر من النقل عنه تلميذه محمد بن يعقوب الكلينى فى كتابه الكافى، الكتاب الأول فى الحديث عند الجعفرية الاثنى عشرية.

وقال آقابزرك الطهرانى- صاحب الذريعة- عن الكتاب بأنه أثر نفيس وسفر خالد مأثور عن الإمامين أبى جعفر الباقر وأبى عبد الله الصادق[(٢)].

وقال السيد طيب الموسوى الجزائرى فى مقدمته عنده[(٣)] بأنه «تحفة عصرية، ونخبة أثرية لأنها مشتملة على خصائص شتى قلما تجدها فى غيرها، فمنها:

١- أن هذا التفسير أصل أصوله للتفاسير الكثيرة.

٢- أن رواياته مروية عن الصادقين عليهما السلام مع قلة الوسائط والإسناد، ولهذا قال فى الذريعة: «إنه فى الحقيقة تفسير الصادقين عليهما السلام».

---

(١) انظر ما كتبه الجزائرى عنه فى مقدمته لهذا التفسير ص ٨.

(٢) انظر كلمته: ج١ ص ٥- ٦ من تفسير القمى، وراجع ما كذره عن تفسير القمى فى الذريعة ٤/٣٠٢: ٣٠٩.

(٣) راجع ص ١٥.

٣- مؤلفه كان فى زمن الإمام العسكرى.

٤- أبوه الذى روى هذه الأخبار لابنه كان صحابيًا للإمام الرضا.

٥- أن فيه علمًا جمًا من فضائل أهل البيت عليهم السلام التى سعى أعداؤهم لإخراجها من القرآن.

٦- أنه متكفل لبيان كثير من الآيات القرآنية التى لم يفهم مرادها تمامًا إلا بمعونة إرشاد أهل البيت التالين للقرآن[١].

وبادئ ذى بدء أحب أن أسجل الدهشة والعجب! فكيف يحتل الكتاب وصاحبه هذه المكانة عند إخواننا الجعفرية وهو من أوائل الغلاة الضالين الذين قادوا حركة القول بتحريف القرآن الكريم؟!

ونقلنا هذا من قبل، ونقلنا كذلك ما ذكره الجزائرى فى مقدمت للكتاب من ذهاب القمى إلى القول بتحريف القرآن ودفاع الجزائرى عنه وعن هذا التحريف[٢]!!

والقمى فى مقدمته لتفسيره يذكر هذا الذى يذهب إليه، ويضرب له أمثلة ببعض آيات يرى أنها محرفة[٣]، والكتاب كله بعد ذلك مملوء بالضلال المضل من ذكر التحريف، والجدل لتخطئة بعض آيات اللّه تعالى، أو الزعم بفساد الترتيب والنظم[٤].

* * *

---

(١) انظر ص ٢٠.

(٢) انظر ص ٢٣- ٢٤ من المقدمة المذكورة.

(٣) راجع مقدمة تفسيره ص١٠- ١١.

(٤) انظر مثلاً: ج١ ص١١٠، ١١٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ٢٧٢... إلخ.

مظاهر الغلو والضلال

أثر عقيدة الإمامة فى الكتاب يظهر فيما يأتى

أولا: القول بتحريف القرآن الكريم

ما ذكرناه آنفًا من القول بالتحريف، وبينا من قبل أن عقيدة أولئك الغلاة هى التى دفعتهم إلى ما ذهبوا إليه(١) ونزيد ذلك بيانًا بقليل من الأمثلة التى ما أكثرها فى هذا التفسير!!

نسب للإمام أبى جعفر أنه قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ هكذا نزلت. ثم قال: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(٢).

وفى سورة الزخرف قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(٣). وواضح أن الآيات تتحدث عن المسيح ﷺ، ولكنه يذكر الآية الأخيرة هكذا «إن على إلا عبد...» ثم يقول: «فمحى اسمه من هذا الموضع»(٤).

وفى سورة محمد يروى أن اسم على أسقط فى موضعين ذكرهما فى كتابه(٥).

---

(١) راجع ص ١٥٣ من هذا الفصل.

(٢) ١/١٤٢، والآيتان من سورة النساء «٦٤- ٦٥»، والخطاب فيهما للرسول الكريم، فجعله القمى للإمام على فزاد «يا على» مرتين، أى أن هذه الزيادة حذفت من القرآن الكريم، وهذا يذكرنا بالفرقة الغرابية- من غلاة الشيعة- التى قالت بأن الرسالة كانت لعلي فأخطا جبريل ونزل على محمد!!

(٣) الآيات ٥٧- ٥٩. (٤) ٢/٢٨٦. (٥) انظر ٢/٣٠١- ٣٠٢.

نتيجة لما ذكرته من التلازم بين القول بالتحريف والطعن فى خير أمة أخرجت للناس صحابة رسول الله ﷺ الذين تحملوا معه أعباء الرسالة ونشرها، والدفاع عنها والتضحية من أجلها بالنفس والأهل والمال والوطن، نتيجة هذا التلازم نرى القمى يقدم على هذا الجرم، فيطعن فى الصحابة الأكرمين، ويتهمهم بالكفر والنفاق والإشراك ليصل إلى ا لقول بالتحريف، وإسقاط أسماء الأئمة، واغتصاب الخلافة! ولنذكر بعض الأمثلة:

فى سورة المائدة «الآية السابعة: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُم بِهِ﴾ يقول القمى: «لما أخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم بالولاية قالوا سمعنا وأطعنا، ثم نقضوا ميثاقهم».

ثم يقول عن قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾[1] يعنى نقض عهد أمير المؤمنين[2].

وسورة القصص: ﴿طسم ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[3] وهذه الآيات الكريمة بالنص تتحدث عن موسى وفرعون ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ ولكن القمى يقول عن فرعون وهامان وجنودهما: «هم الذين غضبوا آل محمد حقهم وقوله: «منهم» أى من آل محمد «ما كانوا يحذرون» أى من القتل والعذاب، ولو كانت هذه الآية. نزلت فى موسى وفرعون لقال: ونرى فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون أى من موسى، ولم يقل منهم»[4].

وفى سورة الزمر: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[5] يقول: «أى طابت مواليدكم لأنه لا يدخل الجنة إلا طيب المولد: قال أمير المؤمنين: إن فلانًا وفلانًا غضبوا

---

(١) المائدة الآية ١٣ والآية السابقة لها هى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فجعلها القمى لولاية الإمام على، وجعل اللعن للصحابة الأبرار بأنهم نقضوا عهد أمير المؤمنين.

(٢) ١/١٦٣. (٣) من أول السورة إلى الآية السادسة.

(٤) ٢/١٣٣، ومعلوم أن ضمير الجمع كضمائر الجمع السابقة تعود على قوم موسى لا عليه هو.

(٥) الآية: ٧٣.

حقنا واشتروا به الإماء، وتزوجوا به النساء، ألا وإن قد جعلنا شيعتنا من ذلك فى حل لتطيب مواليدهم[1].

وفى سورة الزخرف يقول: نزلت هاتان الآيتان هكذا قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾- يعنى فلانًا وفلانًا- يقول أحدهما لصاحبه حين يراه- ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ فقال الله لنبيه: قل لفلان وفلان واتباعهما: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ آل محمد أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ثم قال الله لنبيه: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ يعنى من فلان وفلان، ثم أوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ فى على صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يعنى إنك على ولاية على، وعلى هو الصراط المستقيم[2].

وسورة محمد كلها تقريبًا تدور حول الطعن والتحريف فأولها: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ①﴾ يقول القمى: «نزلت فى الذين ارتدوا بعد رسول الله ﷺ وغصبوا أهل بيته حقهم، وصدوا عن أمير المؤمنين وعن ولاية الأئمة، أضل أعمالهم: أى أبطل ما كان تقديم منهم مع رسول الله ﷺ من الجهاد والنصرة»[3].

ثم يقول: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ فى على وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ، هكذا نزلت. «ثم يقول: نزل جبريل على محمد ﷺ بهذه الآية هكذا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فى على فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[4] وهكذا يستمر فى ضلاله.

وسورة الرحمن كلها تقريبًا تسير على هذا النمط، وإن ركز فيها على اتهام الشيخين

---

(١) ٢/ ٢٥٤، والمراد بفلان وفلان الشيخان الصديق والفاروق حيث اعتبر خلافتهما غصبًا، وهذا الافتراء طعن للإمام نفسه، فقد زوج ابنته سيدنا عمر.

(٢) ٢/ ٢٨٦، وما ذكره هنا فيه جمع بين الطعن فى الشيخين والصحابة وذكر للتحريف، ونص الآيات الكريمة هو: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ㊳ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ㊴ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ㊵ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ㊶ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ㊷ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ «الزخرف: ٣٨: ٤٣».

(٣) ٢/ ٣٠٠.

(٤) ٢/ ٣٠٢.

بالكفر ودخول النار(١).

هذه نماذج كافية لبيان ما أردنا حتى لا يطول بنا الحديث، نذكره مضطرين، ونسأله تعالى أن يحفظ العقل والدين.

ثالثًا: جعل الأئمة هم المراد من كلمات الله

إلى جانب التحريف نجده يؤول كلمات بأن المراد منها الأئمة- كلهم أو بعضهم- مع أنه لا ذكر لهم ولا إشارة إليهم من قريب أو بعيد فى تلك المواضع، بل إن بعضها مختص بالله تعالى: كقوله تعالى فى سورة الزمر «الآية: ٦٩»: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أى بنور الله عز وجل، ولكن الكتاب يقول: «قال أبو عبد الله: رب الأرض يعنى إمام الأرض، فقلت فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذًا يستغنى الناس عن ضوء الشمس ونور القمر، ويجتزون بنور الإمام!»(٢).

وقوله تعالى فى سورة الرعد: «الآية:٢٨»: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ...﴾ يقول القمى: «الذين آمنوا: الشيعة، وذكر الله: أمير المؤمنين والأئمة» (١/٣٦٥).

وفى موضع آخر يفسر الذكر بولاية على فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَاءٍ عَن ذِكْرِى﴾ (٢/٤٧، والآية هى ١٠١: الكهف».

ويفسر الشرك بأنه «من أشرك بولاية على «فى قوله تعالى فى سورة الشورى» الآية ١٣: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ ولذا يفسر » ما تدعوهم إليه «بقوله من ولاية على» (٢/١٠٥).

وفى آخر الرحمن: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ يروى عن أئمته «نحن جلال الله وكرامته» (٢/٣٤٦).

وبعض الآيات تختص بالقرآن الكريم كمفتتح سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ

---

(٤) انظر ٢/٣٤٤، ٣٤٦، وهو هنا يستخدم أكثر من رمز من الرموز التى يبدو أنها كانت متداولة بين حزبه السرى فى هذا الوقت، فالدولة العباسية التى حكمت عصر القمى ما كانت لتسمح للعلويين بالظهور والمجاهرة بآرائهم. ولعل ظلم الأمويين للشيعة وما لاقوه على أيدى أبناء عمومتهم العباسيين، ساعد على هذا التطرف والضلال، ولكنه لا يبرره.

(١) ٢/٢٥٣، وهذا القول قريب من أولئك الذين قالوا بألوهية على فى حياته فأحرقهم بالنار، فعلى شيعته ومحبيه- إن كانوا صادقين أن يحرقوا الكتاب، ويبينوا ضلال صاحبه، لا أن يرفعوه مقامًا عليًا.

لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فيقول القمى بأن المراد بالكتاب هنا على بن أبى طالب! (١/٣٠).

وفى سورة يونس (الآية ١٥) ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ يقول القمى: «أو بدله» يعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ يعنى فى على بن أبى طالب. (١/٣١٠).

وفيها أيضًا (الآية ٦٤) ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ فيقول: «أى لا يغير الإمامة» (١/٣١٤).

وقوله تعالى فى سورة الإسراء (الآية ٧٣): ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ قال القمى: «يعنى أمير المؤمنين» (٢/٢٤).

وفى سورة الحج (الآية ٥٥): ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أى من القرآن الكريم، فيقول القمى: «أى فى شك من أمير المؤمنين».

ويقول كذلك عن (الآية ٥٧) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بأن معناها «ولم يؤمنوا بولاية أمير المؤمنين والأئمة»[1].

وفى سورة الطور (الآية:٣٣): ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ...﴾ يتحدث عنها القمى فيقول: أم يقولون- يا محمد تقوله: يعنى أمير المؤمنين، بل لا يؤمنون أنه لم يتقوله ولم يقمه برأيه، ثم قال: فليأتوا بحديث مثله: أى برجل مثله من عند اللَّه[2].

وقد رأينا من قبل أن آيات كريمة خاصة بالرسول والمسيح صلوات اللَّه عليهما، حرفها القمى ليجعلها للإمام على.

وهناك كذلك ما هو متصل بيوم القيامة فجعل للإمام، جاء فى تفسيره (٢/١١٢) ما يأتى: «إن الليل والنهار اثنتا عشرة ساعة، وإن على بن أبى طالب، أشرف ساعة من اثنتى عشرة ساعة، وهو قول اللَّه تعالى[3]: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

وهو لا يكتفى بهذا، وإنما يحاول أن يجعل الإمام هو المراد فى كثير من آيات اللَّه

(١) ٢/٨٦.

(٢) ٢/٣٣٣.

(٣) ١١: الفرقان.

تعالى دون نظر إلى ما هو مختص بالله تعالى ورسله وكتبه واليوم الآخر كما رأينا، وما هو مختص بالحيوان أو الجماد حتى يكاد يحط من قدر الإمام وهو يحاول أن يرفعه! انظر مثلاً إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا . . .﴾[1]، فإنك تعجب وقد حاول القمى من قبل أن يرفع الإمام على إلى مرتبة الألوهية، ينزل به هنا إلى مرتبة الحشرات الضارة حيث يجعله المراد من كلمة «بعوضة»[2].

بعد هذا لا يستبعد منه أن يجعل الإمام المراد من أى آية يظن أنها تدل على الاهتمام والرفع من قيمة الإمام. ويوضح الجزائرى فى مقدمته للكتاب سر هذا التأويل فيقول: «الله تعالى كان عالمًا بأعمال أمة نبيه ﷺ بعد وفاته ﷺ، بأنهم يلعبون بالدين، ويهتكون بنواميس حماته فى كل حين.. فحينئذ لم يؤمن منهم أن لا يبقوا أسامى الأئمة أو فضائلهم فى القرآن، فلذا لم يكن بد إلا أن يبينها الله تعالى بالكتابة والاستعارة كما هو دأب القرآن وأسلوبه فى أكثر آياته، فإن له ظاهرًا يتعلق بشىء وباطنًا بشىء آخر»[3].

ثم يقول: «ومن هنا قال أبو جعفر: إن القرآن نزل أثلاثًا: ثلث فينا وفى أحبائنا، وثلث فى أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل»[4].

ثم عقب على هذا بقوله: «فانكشف مما ذكرنا أن كل ما ورد فى القرآن من المدح كناية وصراحة فهو راجع إلى محمد وآله الطاهرين، وكل ما ورد فيه من القدح كذلك فهو لأعدائهم أجمعين، السابقين منهم واللاحقين، ويحمل عليه جميع الآيات من هذا القبيل وإن كان خلافًا للظاهر»[5].

فهذا التأويل الفاسد إذن نتيجة للقول بالتحريف، والطعن فى الصحابة الكرام.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦.

(٢) ص ١٩.

(٣) انظر التفسير ١/٣٤.

(٤٢) ص ٢١ من المقدمة المذكورة.

(٥) انظر مقدمته للتفسير ص٢٤، ٢٥.

رابعاً: ما يتصل بعقيدة الإمامة

١- الرجعة

القمى يرى أشياء تتصل بعقيدته فى الإمامة، ولذا يضمنها تفسيره. فهو مثلاً يؤمن بالرجعة، أى رجعة الأئمة قبل يوم القيامة، ورجعة من غصبوهم حقهم- على حد زعمه- ليقتص الأئمة من أعدائهم، وعلى هذا جعل من الأمور الأساسية التى اشتمل عليها القرآن الكريم الرد على من أنكروا الرجعة.

واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ فقال: «أيحشر الله فى القيامة من كل أمة فوجًا ويدع الباقين»؟ ثم قال: ومثله كثير نذكره فى مواضعه[٢].

ومن هذا الذى ذكره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[١] قال: يعنى الرجعة. يرجع إليكم نبيكم ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة[٣].

وفى سورة «ق» (الآية:٤١) يقول: ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ ﴾ باسم القائم واسم أبيه.. والصيحة- صيحة القائم من السماء.. والخروج الرجعة[٤].

وفى سورة النحل (الآية ٢٢): ﴿ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ قال القمى: يعنى أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾ يعنى أنها كافرة ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ يعنى أنهم عن ولاية على مستكبرون[٥].

ويستمر فى تفسيره للسورة الكريمة فيقول: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ من العذاب فى الرجعة.. ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ قال القمى: الكفار كانوا لا يحلفون بالله، وإنما أنزلت فى قوم من أمة محمد ﷺ قيل لهم ترجعون بعد الموت قبل القيامة فحلفوا أنهم لا يرجعون[٦].

---

(١) الموضع السابق ص٢٤. والآية هى رقم ٨٣: النمل ومعناها أنهم يحشروا فوجًا، أى زمرًا، فلا يبقى أحد، ونحن مأمورون بالإيمان يوم القيامة، لا بيومين: يوم لأئمة الجعفرية ويوم القيامة.

(انظر مناقشة هذه العقيدة وبيان بطلانها بالأدلة العقلية والنقلية فى مختصر التحفة الاثنى عشرية ص٢٠٠: ٢٠٣).

(٢) القصص: ٨٥. (٣) ٢/١٤٧.

(٤) ٢/٣٢٧. (٥) ١/٣٨٣. (٦) ١/٣٨٥.

٢- نزول الوحى على الأئمة

والقمى ممن ذهب إلى أن الوحى لم ينقطع بانتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى، لأن الإمام يقوم مقامه! فعند تفسيره لسورة القدر يقول: معنى ليلة القدر أن الله يقدر فيها الآجال والأرزاق، وكل ما يحدث من موت أو حياة، أو خصب أو جدب، أو خير أو شر، كما قال الله فيها ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ إلى سنة.

وقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان، ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور[١].

ونسب للإمام أبى جعفر أنه سئل: «تعرفون ليلة القدر؟ فقال: وكيف لا نعرف ليلة القدر والملائكة يطوفون بنا فيها»[٢].

٣- الأئمة يعلمون الغيب

وهو يرى أن الأئمة يعلمون الغيب، ولهذا نراه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾[٣]. يقول: يعنى عليًا المرتضى من الرسول ﷺ وهو منه[٤].

فعلم الغيب ليس خاصًا بالله تعالى والمصطفين من الرسل الكرام، وإنما هو- حسب افترائه- خاص بالإمام على مع الله عز وجل!

وحتى يظهر أن علم الأئمة يحيط بكل شىء يأتى بأشياء لا سبيل إلى العلم بها فى ذلك الوقت، وإن اكتشف بعضها فى عصر الكشوف العلمية للكون ومظاهره.

وإذا كان كثير من الكشف العلمى يأتى بوجوه جديدة من وجوه الإعجاز القرآنى، ويستحيل التناقض بين نظرية علمية صحيحة وبين القرآن الكريم، إلا أن هذه الكشوف كشفت عن كذب القمى ومفترياته.

فهو ينسب للإمام على أنه قال: «الأرض مسيرة خمسمائة عام، والشمس ستون فرسخًا فى ستين فرسخًا، والقمر أربعون فرسخًا فى أربعين فرسخًا، بطونهما يضيئان

---

(١) انظر ٢/٤٣١. والآية الكريمة التى استدل بها هى الرابعة من سورة الدخان. ونصها ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ وليس فيها «إلى سنة» كما ذكرها.

(٢) ٢/٤٣٢.

(٣) ٢٦/٢٧: الجن.

(٤) ٢/٣٩٠.

لأهل السماء، وظهورهما يضيئان لأهل الأرض، والكواكب كأعظم جبل على الأرض»[١]!

ويزعم أن الإمام على بن الحسين بين علة كسوف الشمسين بوجود بحر بين السماء والأرض، إذا كثرت ذنوب العباد، وأراد الله أن يستعتبهم بآية، أمر الملائكة الموكلين فجعلوا الشمس أو القمر فى ذلك البحر[٢].

وفى موضع آخر ينسب للأئمة أن الأرض على الحوت، والحوت على الماء، والماء على الصخرة، والصخرة على قرن ثور أملس، والثور على الثرى[٣].

وفى أول سورة الشورى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ يقول: قاف جبل محيط بالدنيا من زمرد أخضر، فخضرة السماء من ذلك الجبل»[٤].

٤- نفى العلم عمن اشتهروا به من غيرهم

والقمى لا يكتفى بمثل هذه المفتريات ليبين إحاطة الأئمة بكل شىء علمًا، ولكن تحدث عن غيرهم ممن لهم مكانتهم العلمية لينفى عنهم ما اشتهروا به من العلم، حتى لا يبقى فى المجال العلمى إلا أئمة الجعفرية!

فمثلاً ابن عباس اشتهر بأنه حبر الأمة وترجمان القرآن، انظر إلى هذا القمى وهو يتحدث عن ابن عباس، بل عن أبيه عم الرسول ﷺ:

نسب للإمام أبى جعفر الباقر أنه قال: جاء رجل إلى أبى على بن الحسين فقال: إن ابن عباس يزعم أنه يعلم كل آية نزلت فى القرآن فى أى يوم نزلت، وفيمن نزلت، فقال أبى: سله فيمن نزلت، ﴿وَمَن كَانَ فِى هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٥] وفيمن نزلت: ﴿وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[٦] وتستمر الرواية لتذكر بأن الرجل ذهب إلى ابن عباس فسأله، فلم يجبه، بل أورد أسئلة

---

(١) ٢/١٧.　　(٢) انظر ٢/١٤- ١٥.

(٣) انظر ٢/٥٨- ٥٩.

(٤) ٢/٢٦٨، وفى سورة «ق» قال: «ق: جبل محيط بالدنيا من وراء يأجوج ومأجوج» (٢/٣٢٣).

ومما يضحك- ومن شر البلية ما يضحك- أن نجد فى عصرنا من يؤمن بهذه الخرافات والأكاذيب، بل يتخذ منها دليلاً على علم الأئمة وعصمتهم!! «انظر مثلا ج٢ حاشية ص ١٥- ١٦، ٥٨، ٥٩» والروايات لو ثبتت لأثبتت لأهل البيت وحاشاهم- الجهل والافتراء! ولكن ما أكثر المتظاهرين بحب آل البيت وآل البيت منهم براء.

(٥) الإسراء: آية ٧٢.　　(٦) هود: آية ٣٤.

أخرى، فبين الإمام سبب النزول بقوله: بأن الآية الأولى نزلت فى ابن عباس وفى أبيه، والثانية نزلت فى أبيه[1]!!

٥- أحكامهم الفقهية كالمتعة والخمس

ثم لا ينسى القمى ما ارتبط بعقيدته من الأحكام الفقهية، فيعرضها بطريقة يأباها كتاب الله تعالى، ففى سورة مريم «الآية:٨٣»: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ قال: نزلت فى مانعى الخمس والزكاة[2].

وفى سورة ق «الآية:٢٦»: ﴿ الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ قال: «هو ما قالوا نحن كافرون بمن جعل لكم الإمامة والخمس»[3].

وفى سورة النساء يحرف الآية الرابعة والعشرون فيقول: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجل مسمى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ويعقب بقوله: فهذه الآية دليل على المتعة[4].

خامساً: أسباب النزول

فى ذكر القمى لأسباب النزول نرى أثر الإمامة واضحًا، ولنضرب بعض الأمثلة:

١- تحالف الصحابة مع إبليس

فى سورة سبأ «الآية: ٢٠»: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ قال: لما أمر الله نبيه أن ينصب أمير المؤمنين للناس فى قوله: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فى على ﴾[5] بغدير خم فقال: «من كنت مولاه فعلى مولاه»، فجاءت الأبالسة إلى إبليس

---

(١) انظر ٢/٢٣. وأظن أن هنا كذلك سببًا دفينًا، فالتاريخ يذكر لنا تنازعًا حدث بين العباس، وابن أخيه على- رضى الله تعالى عنهما، ويذكر لنا أيضًا أن ابن عباس تولى إمارة البصرة فى خلافة ابن عمه الإمام على، ثم ترك البصرة مغاضبًا، وتبادل مع ابن عمه رسائل اتهامات: فلعل القمى سمع بهذا فرأى أن يأتى بهذه القرية ليهاجم من تجرأ على المعصوم أبى الأئمة!

[انظر متنازع العباس وابن أخيه فى صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير باب حكم الفئ. وانظر الكتب المتبادلة بين الإمام على وابن عمه فى أنساب الأشراف للبلاذرى ١/١٩٢- ١٩٤، وفى «على وبنوه» لطه حسين ص١٢٥- ١٢٨، وانظر أحد كتب الإمام هذه فى نهج البلاغة ص ٣٢٣- ٣٢٤].

(٢) ٢/٥٣ (٣) ٢/ ٣٢٦.

(٤) ١/ ١٣٦، ونص الآية الكريمة: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَ ﴾.

(٥) «فى على» زيادة من تحريفهم، وقد ضمت الرواية إلى التحريف اتفاق الصحابة الكرام مع إبليس على نقض البيعة.

الأكبر، وحثوا التراب على رءوسهم، فقال لهم إبليس: ما لكم؟ فقالوا: إن هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلها شيء إلى يوم القيامة. فقال لهم إبليس: كلا، إن الذين حوله قد وعدوني فيه عدة لن يخلفوني، فأنزل الله على رسوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ الآية(1).

٢- البيعة يوم الغدير

وعن البيعة أيضًا عند قوله تعالى: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّىٰ﴾(2) يقول: كان سبب نزولها أن رسول الله ﷺ دعا إلى بيعة على يوم غدير خم، فلما بلغ الناس وأخبرهم فى على ما أراد الله أن يخبره، رجعوا الناس فاتكأ معاوية على المغيرة بن شعبة وأبى موسى الأشعرى، ثم أقبل يتمطى نحو أهله ويقول: ما نقر لعلى بالولاية أبدًا، ولا نصدق محمدًا مقالته.. فصعد رسول الله المنبر وهو يريد البراءة منه، فأنزل الله: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾(3) فسكت رسول الله ﷺ ولم يسمه(4).

٣- مصير من غضبوا الولاية

وفى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾(5)، قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الذين غصبوا آل محمد حقهم، فيعرض عليهم أعمالهم، فيحلفون به أنهم لم يعملوا فيها شيئًا كما حلفوا لرسول الله ﷺ فى الدنيا أن لا يردوا الولاية فى بنى هاشم، وحين هموا بقتل رسول الله ﷺ فى العقبة!! فلما أطلع الله نبيه وأخبره، حلفوا له أنهم لم يقولوا ذلك، ولم يهموا به، حتى أنزل الله على رسوله(6): ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(7).

---

(١) ٢/ ٢٠١

(٢) الآية ٣١ من سورة القيامة، وهى وسبأ مكيتان، وموقف الغدير بلا خلاف حتى بين الشيعة أنفسهم كان بعد حجة الوداع.

(٣) سورة القيامة الآية ١٦ وهى تتحدث عن القرآن الكريم، فالآيات التالية لها هى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ⑰ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ⑱ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

(٤) ٢/ ٣٩٧.

(٥) المجادلة: ١٨.

(٦) التوبة: ٧٤.

(٧) ٢/ ٣٥٨.

٤- القائم يطالب بدم الحسين

وفى سورة الحج (الآية:٣٩): ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.. قال: إن العامة– أى جمهور المسلمين– يقولون نزلت فى رسول الله ﷺ لما أخرجته قريش من مكة، وإنما هى للقائم إذا خرج يطلب بدم الحسين[1].

ولا يقتصر أثر عقيدة الإمامة– على مثل ما سبق مما يتصل بالإمامة والأئمة، وإنما يتعداه إلى اتهام غيرهم، ومحاولة سلب فضائلهم، ولنذكر لهذا المثل التالى:

٥- حادث الإفك اتهام لأم المؤمنين لا تبرئة إلهية لها!!

حادث الإفك معروف مشهور، ونزل القرآن الكريم بتبرئة أم المؤمنين السيدة عائشة، فعز على القمى أن يبرئ الله تعالى صاحبة الجمل، وابنة أبى بكر أول من اغتصب الخلافة فى رأيه! ولهذا قام القمى بإفك جديد، فجعل من الحديث عن الإفك اتهامًا للسيدة عائشة لا تبرئة لها!! فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[2] الآية قال: فإن العامة رووا أنها نزلت فى عائشة، وما رميت به فى غزوة بنى المصطلق من خزاعة، وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت فى مارية القبطية، وما رمتها به بعض النساء «المنافقات».

ثم ذكر رواية عن الإمام أبى جعفر أنه قال: «لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ، حزن عليه حزنًا شديدًا، فقالت منافقة: ما الذى يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج! فبعث رسول الله ﷺ عليًا وأمره بقتله»[3].

وفى سورة الحجرات ذكر قصة اتهام فلانة لمارية، وأمر الرسول ﷺ عليًا بأن يقتل جريجًا، وأن هذا كان سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الآية[4].

وفى سورة التحريم قال عن كلمة «أبكارًا» التى جاءت فى ختام الآية الخامسة «عرض عائشة لأنه لم يتزوج ببكر غير عائشة»[5].

---

(١) ٢/ ٨٤– ٨٥.

(٢) سورة النور آية: ١١.

(٣) ٢/ ٩٩.

(٤) انظر ٢/ ٣١٨– ٣١٩ والآية هى «٦».

(٥) ٢/ ٣٧٧.

وبعد هذا فى نفس الصفحة ورد ما يأتى: «ثم ضرب الله مثلاً فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[1] فقال: والله ما عنى بقوله فخانتاهما إلا الفاحشة، وليقيمن الحد على فلانة فيما أتت فى طريق.. وكان فلان يحبها، فلما أرادت أن تخرج إلى.. قال لها فلان: لا يحل لك أن تخرجى من غير محرم، فزوجت نفسها من فلان»[2].

وإذا كان القمى ذكر بأن الخاصة- أى الشيعة- رووا أن فلانة، وهى إحدى المنافقات، جاءت بالإفك، ولم يصرح باسمها، فإن غيره من الجعفرية قد صرح باسمها وقال بأنها عائشة[3]. وضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط يعتبره الجعفرية تعريضًا بالسيدتين عائشة وحفصة من أمهات المؤمنين[4]، والقمى هنا يؤكد أن الخيانة المرادة هى الفاحشة، ثم مهد لإلصاقها بمن برأها الله تعالىَ!

سادساً: القرآن كتاب تاريخ اثنى عشرى!!

عندما آلت الخلافة إلى الإمام على كرم الله وجهه- لم تسلم له، وخاض عدة معارك، ولاقى الشيعة بعد ذلك ما لاقوا فى ظل الحكم الأموى. وقد تحدثت كتب التاريخ عن ذلك مفصلاً، ولكن القمى يحاول أن يغير من طبيعة القرآن الكريم ليصله بكتب التاريخ عند الجعفرية، فنسمع عن البصرة والجمل وبنى أمية من وجهة النظر الجعفرى، ولنضرب لذلك الأمثال.

١- أصحاب الجمل والبصرة

فى سورة الأعراف (الآية: ٤٠): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ولن يلج الجمل فى سم الخياط، فالكفار إذن لن يدخلوا الجنة، ولكن القمى إذا به يقول: «نزلت هذه الآية فى طلحة والزبير والجمل جملهم»[5]!

---

(١) التحريم: ١٠.

(٢) منقول بالنص وفيه اللفظ.

(٣) انظر تفسير شبر ص٣٣٨.

(٤) بل يعتبره بعضهم تصريحًا لكفرهما، قال المجلسى: «لا يخفى على الناقد البصير والفطن الخبير ما فى تلك الآيات من التعريض بل التصريح بنفاق عائشة وحفصة وكفرهما!».
«بحار الأنوار ٢٢/٣٣».

ويقول أيضًا: إن أصحاب الجمل نزلت فيهم (الآية:١٢) من سورة التوبة ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ الآية[١].

وفى سورة النجم يقول بأن المؤتفكة هى البصرة، وقال: انتفكت بأهلها مرتين، وعلى الله تمام الثالثة، وتمام الثالثة فى الرجعة[٢].

وفى سورة الحاقة يقول بأن البصرة أيضًا هى المؤتفكات[٣].

٢- بنو أمية

أما بنو أمية فإنا نصادفهم كثيرًا ونحن نقرأ هذا التفسير العجيب، وما دام ثلث القرآن فى أعداء الجعفرية- كما زعموا- فلابد إذن أن يكون للأمويين نصيب كبير! انظر مثلاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

يقول: نزلت فى بنى أمية، فهم أشر خلق الله، هم الذين كفروا فى باطن القرآن، فهم لا يؤمنون[٥].

ولهذا نجد كثيرًا من الآيات التى تتناول الكفار يجلعها لبنى أمية[٦].

٣- بنو السباع

والقمى عاش فى العصر العباسى الأول، والعلويون رأوا الحكم يذهب لغيرهم، ثم لم يسلموا من ظلم ذوى القربى، فالعباسيون من وجهة النظر الجعفرية- لا يفترقون كثيرًا عن الأمويين، ولكن القمى لا يستطيع أن يصرح بهم عند الحديث عن كفرهم فيسميهم بنى السباع بدلاً من بنى العباس[٧].

٤- الاتفاق على قتل على!

وعندما تناول بعض الأحداث التاريخية الأخرى وضع قصصًا خيالية غريبة، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[٨] نراه يتحدث عن ذلك

---

(١) انظر ١/ ٢٨٣، وتكملة الآية الكريمة: ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾.

(٢) انظر ٢/ ٣٤٠- ٣٤١.

(٣) انظر ٢ / ٣٨٤.

(٤) الأنفال: الآية ٥٥.

(٥) ١/ ٢٧٩.

(٦) انظر مثلاً: ج١ ص١٥٦، ١٩٦، ٢١١، ٣٧١، و ج٢ ص٦٨، ٨٠، ١٢٣، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٥، ٣٨٤.

(٧) انظر ٢/ ٢٤٢.

(٨) سورة الروم الآية ٣٨.

فى خمس صفحات، ويأتى بقصيدة يقول بأن السيدة فاطمة الزهراء- رضى الله عنها- احتجت بها على الصديق، وكذلك احتج الإمام على، وخاف الصديق من ضياع الحكم نتيجة هذا الموقف، فبعث إلى الفاروق الذى أشار بقتل على! وأمر خالد بن الوليد بقتله فوافق خالد، إلى آخر تلك الخرافة(1).

٥- كفر أصحاب بيعة الرضوان

وعندما تحدث عن صلح الحديبية قال: «فلما . أجابهم رسول الله ﷺ إلى الصلح أنكر عامة أصحابه، وأشد ما كان إنكارًا فلان، فقال يا رسول الله، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ فقال: بلى! قال: فنعطى الذلة فى ديننا؟ قال: إن الله وعدنى ولن يخلفنى. قال لو أن معى أربعين رجلاً لخالفته»(2).

والمعروف أن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- صاحب الجزء الأول من هذه المناقشة، فافترى القمى هذه الزيادة المنكرة «لو أن معى أربعين رجلاً لخالفته»، وقال بأن عامة أصحابه الذين أنكروا الصلح أكثروا القول على رسول الله ﷺ فقال لهم: إن لم تقبلوا الصلح فحاربوهم. ويزيد فريته بأنهم حاربوا فعلاً، وهزموا هزيمة قبيحة، إلى أن قام على بسيفه فتراجعت قريش(3).

ثم يستمر ليقول بأن عامة الصحابة هؤلاء هم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾(4).

وهكذا يستمر هذا القمى ليجعل عامة أصحاب بيعة الرضوان من أصحاب النار، وهم الذين رضى الله عنهم بنص القرآن الكريم، ويطعن فى ترتيب آيات سورة الفتح ليصل إلى ضلاله(5)!

٦- الفرق الأخرى

ونراه كذلك يخضع القرآن الكريم للحديث عن الفرق الأخرى، فمثلاً عن قوله تعال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾(6) يقول: «من ادعى أنه إمام

---

(1) انظر ٢/ ١٥٥: ١٥٩. (2) ٢/ ٣١١- ٣١٢. وفى الأصل: فقال نعم!

(3) انظر ٢/ ٣١٢.

(4) انظر ٢/ ٣١٥، والآية الكريمة- هى السادسة من سورة الفتح.

(5) انظر ٢/ ٣١٥. (6) الزمر: ٦٠

وليس بإمام يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة.. وإن كان علويًا فاطميًا»[1].

٧- القائم وجيش السفياني

وكثير من فرق الشيعة قالت بعودة بعض الأئمة قبل يوم القيامة، ومنهم من وقف عند إمام معين، وقال بأنه لم يمت وإنما أظهر موته تقية، إلى غير ذلك مما تذكره كتب التاريخ. وكان من صدى هذا أن بعض الأمويين قالوا بعودة رجل منهم أسموه السفياني: فزاد بعض الجعفرية خرافة أخرى وهي أن المهدى عندما يرجع سيقابل جيش السفياني ويهزمه! وإذا بنا نجد هذا في تفسير القمي!

فعند قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[2] قال: هم والله أصحاب القائم، يجتمعون والله إليه في ساعة واحدة، فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفياني، فيأمر الله الأرض فتأخذ أقدامهم، وهو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾[3] يعنى بالقائم.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[4] قال يعنى ما يحدث من أمر القائم والسفياني[5].

وبهذا يصبح تفسير القمي مرجعًا من مراجع التاريخ لغلاة الجعفرية!

---

(١) ٢/ ٢٥١.

(٢) هود: ٨.

(٣) سبأ: ٥١، ٥٢.

(٤) طه: ١١٣.

(٥) ٢/ ٦٥.

والقمى قد خالف ظاهر القرآن الكريم، وحرف معانيه إلى جانب القول بتحريف نصه، وأتى بما لا يحتمله كتاب الله تعالى بل يعارضه، وخالف ما أجمعت عليه الأمة فى أكثر الآيات وما يتعلق بها، وجعل أكثرها- مكية ومدنية- متعلقة ببيعة غدير خم التى قال الجعفرية أنفسهم بأنها بعد حجة الوادع. وزعم أن صفوة هذه الأمة كفار ومشركون ومنافقون، إلى غير ذلك مما يبرأ منه الإسلام والعقل السليم.

ورأينا من قبل كيف حاول صاحب التفسير المنسوب للإمام العسكرى أن يغرر بضعاف العقول، وجهلة القوم، ليؤمنوا بخرافاته، ويسيروا فى ظلمات ضلاله. والقمى هو الآخر قد حاول القيام بنفس الدور فسلك لذلك عدة طرق:

١- جل آرائه نسبها للأئمة وعلى الأخص الإمامان الباقر والصادق. كما أشرنا فى مقدمة الحديث عن الكتاب.

٢- ذهب إلى أن القرآن الكريم لا يفهم معناه ولا يدرك مراده إلا عن طريق الرسول ﷺ وهؤلاء الأئمة.

نسب للإمام على- كرم الله وجهه- أنه قال: «ذلك القرآن فاستنطقوه، فلن ينطق لكم، أخبركم عنه، إن فيه علم ما مضى وعلم ما يأتى إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه مختلفين، فلو سألتمونى عنه لأخبرتكم عنه لأنى أعلمكم»[1] ونسب للإمام الصادق أنه قال: إن الكتاب لم ينطق، ولن ينطق، ولكن رسول الله ﷺ. هو الناطق بالكتاب، قال الله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ فقال أحدهم: إنا لا نقرؤها هكذا، فقال الإمام: هكذا والله نزل بها جبريل على محمد، ولكنه فيما حرف من كتاب الله تعالى[2].

ونسب للإمام الباقر أنه قال: «القرآن ضرب فيه الأمثال للناس، وخاطب الله نبيه به ونحن، فليس يعلمه غيرنا»[3].

---

(١) المقدمة ص ٣.

(٢) انظر ٢/ ٩٥، ونص الآية الكريمة: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ «الجاثية: ٢٩» فحرف الآية الكريمة لأنها تعارضت مع ما ذهب إليه.

(٣) ٢/ ٤٢٥.

وذهب إلى من لا يقبل تأويل الكتاب فهو مشرك كافر[١].

٣- وضع أسسًا غريبة للتفسير، فإلى جانب القول بأن القرآن أصابه التحريف، ولا يؤخذ تأويله إلا عن طريقهم، نراه يذهب إلى أن هناك آيات لا يعرف تأويلها إلا بعد وقت نزولها! ويتحدث عن هذا النوع فيقول: «وأما ما تأويله بعد تنزيله فالأمور التى حدثت فى عصر النبى ﷺ والمعنى لأمته، وهو قول الصادق :إن الله بعث نبيه ﷺ بإياك أعنى واسمعى يا جارة»[٢].

وذهب إلى ما هو أبعد من هذا، فقال بأن هناك «ما هو مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين! فقوله: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ أنتم يا معشر أمة محمد فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، فالمخاطبة لبنى إسرائيل، والمعنى لأمة محمد ﷺ[٣].

وبهذه الأسس استطاع أن يحرف القرآن الكريم نصًا ومعنى ليصل إلى ضلاله.

٤- وقد ذهب إلى تكفير غير المعتنقين عقيدته فى الإمامة، الرافضين لتحريفه، لم ينس- من وقت لآخر فى تفسيره- بيان أن الشيعة سيدخلون الجنة حتى فساقهم العصاة!

فمثلاً فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾[٤] الآية، يقول بأن الله سبحانه وتعالى يدفع بمن يعمل كل فريقة من الشيعة عمن لا يعملها، ولو أجمعوا على الترك لهلكوا[٥]. وفى سورة طه «الآية: ١٠٨» ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يذكر أن النبى ﷺ يشفع لعصاة الشيعة، فكلهم يدخلون الجنة[٦].

وفى سورة المؤمنون «الآية: ١٠٠» ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يقول: البرزخ هو أمر بين أمرين ، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة.. وهو قول الصادق: والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ، فأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم[٧].

وفى سورة غافر «الآية الثالثة» ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ قال: ذلك خاصة لشيعة

---

(١) مقدمة تفسيره ص ١٤. (٢) مقدمة تفسيره ص١٤.

(٣) نفس المقدمة ص١٦، والآية هى الرابعة من سورة الإسراء، والتحريف واضح.

(٤) الحج: ٤٠. (٥) ١/ ٨٣.

(٦) انظر ٢/ ٦٤: ٦٥.

(٧) ٢/ ٩٤.

أمير المؤمنين[١].

وفى سورة ق «الآية: ٢٤» ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يقول بأن الآية الكريمة مخاطبة للنبى ﷺ وعلى، ويبين أنهما فى منزلة خاصة دون الخلق جميعًا؛ وأن رضوان يأتى بمفاتيح الجنة فيأخذ الرسول ﷺ ويعطيها عليًا وكذلك يفعل مالك بمفاتيح جهنم، فيأخذ على المفاتيح ويقعد إلى شفير جهنم، فتنادى: يا على جزنى، قد أطفأ نورك لهيبى! فيقول لها على: ذرى هذا وليى، وخذى هذا عدوى! فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلى من غلام أحدكم لصاحبه[٢].

وفى سورة الرحمن «الآية: ٣٩»: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ﴾ قال «منكم» يعنى من الشيعة. معناه أنه من تولى أمير المؤمنين ، وتبرأ من أعدائه عليهم لعائن الله، وأحل حلاله، وحرم حرامه، ثم دخل فى الذنوب ولم يتب فى الدنيا، عذب عليها فى البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه يوم القيامة[٣].

وفى سورة الحاقة «الآية:١٩»: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ قال: كل أمة يحاسبها إمام زمانها، ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾[٤]، وهم الأئمة ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ فيعطون أولياءهم كتابهم بيمينهم فيمرون إلى الجنة بلا حساب، ويعطون أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمرون إلى النار بلا حساب»[٥].

---

(١) ٢/ ٢٥٤.

(٢) انظر ١/ ٣٢٤- ٣٢٦.

(٣) ٢/ ٣٤٥.

(٤) الأعراف: ٤٦.

(٥) ٢/ ٣٨٤.

ذكرنا من قبل عند الحديث عن التحريف قول السيد أبى القاسم الخوئى المرجع الأعلى للجعفرية بالعراق: إن الروايات التى ذكرها القمى فى تفسيره صحيحة، فهى ثابتة وصادرة من الأئمة المعصومين، وانتهت إليه بوساطة المشايخ والثقات من الشيعة! ولا ندرى كيف يمكن الجمع بين الروايات الصحيحة فى نظر السيد الخوئى وبين ما ذهب إليه هو من القول بعدم تحريف القرآن الكريم، وغير ذلك مما يتعارض مع هذه الروايات؟!

الكتاب الثالث

تفسير العياشى

تلك أهم آثار الإمامة فى تفسير القمى الذى يمثل جانب الغلو والتطرف فى هذ العقيدة كتفسير العسكرى.

والتفسير الثالث الذى طالعنا به القرن الثالث هو تفسير العياشى، لمحمد بن مسعود العياشى، المتوفى فى حدود سنة ٣٢٠هـ، والذى يعد من الثقات عند الشيعة الاثنى عشرية[١].

وفى صدر التفسير كتب محمد حسين الطباطبائى[٢] مقدمة حول الكتاب ومؤلفه، قال فيها:

«وقد بعث الله رجالاً من أولى النهى والبصيرة، وذوى العلم والفضلة، على الاقتباس من مشكاة أنوارهم- أى الأئمة- والأخذ والضبط لعلومهم وآثارها، وإيداع ذخائرها فى كتبهم، وتنظيم شتاتها فى تأليفهم، ليذوق بذلك الغائب من منهل الشاهد، ويرد به اللاحق مورد السابق.

وإن من أحسن ما ورثناه من ذلك كتاب التفسير المنسوب إلى شيخنا العياشى رحمه الله، وهو الكتاب القيم الذى يقدمه الناشر اليوم إلى القراء الكرام.

---

(١) هو أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى، المعروف بالعياشى- انظر ترجمته فى تنقيح المقال، وهدية العارفين ٢/ ٣٢، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٢٠.

وفى كتاب بهجة الآمال فى شرح زبدة المقال «ذكره المؤلف ضمن علماء الجعفرية الذين يرجع إلى أقوالهم فى الجرح والتعديل، وقال عنه: «جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالرواية، مطلع بها، ثقة صدوق، من عيون هذه الطائفة وكبارها... إلخ» انظر ص٤٣.

(٢) صاحب كتاب الميزان فى تفسير القرآن- سيأتى الحديث عن كتابه.

فهو لعمرى أحسن كتاب ألف قديمًا فى بابه، وأوثق ما ورثناه من قدماء مشياخنا من كتب التفسير بالمأثور.

أما الكتاب فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف إلى يومنا هذا- ويقرب من أحد عشر قرنًا- بالقبول من غير أن يذكر بقدح أو يغمض فيه بطرف.

وأما مؤلفه الشيخ الجليل أبو النضر محمد بن مسعود بن العياش التميمى الكوفى السمرقندى، من أعيان علماء الشيعة، وأساطين الحديث والتفسير بالرواية، من عاش فى أواخر القرن الثالث من الهجرة النبوية.

أجمع كل من جاء بعده من أهل العلم على جلالة قدره وعلو منزلته وسعة فضله، وإطراء علماء الرجال متسالمين على أنه ثقة عين صدوق فى حديثه، ومن مشايخ الرواية، يروى عنه أعيان المحدثين: كشيخنا الكشى صاحب الرجال وهو من تلامذته، وشيخنا جعفر بن محمد بن مسعود العياشى وهو ولده.. إلخ».

منهج العياشى وأهدافه كالقمى

من هذا نرى أن العياشى وتفسيره عند الشيعة فى منزلة تشبه منزلة القمى وتفسيره. بدراسة تفسير العياشى يظهر لنا أنه كان يسير مع القمى فى طريق واحد، فلا فرق بينهما فى المنهج والأهداف، والغلو والتطرف والضلال، وما أخذناه على تفسير القمى يتسم به أيضًا تفسير العياشى، وإليك البيان:

أولاً: القول بتحريف القرآن الكريم

يشير العياشى مع القمى فى محاولة التشكيك فى كتاب الله العزيز، والدعوة إلى القول بتحريفه. ولذلك وجدنا صاحب كتاب «فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب» يذكر العياشى مع القائلين بالتحريف، ويقول بأنه روى فى أول تفسيره أخبارًا عامة صريحة فى التحريف، وأن نسبة القول بالتحريف إلى العياشى كنسبة القول به إلى على بن إبراهيم القمى، بل صرح بنسبته إلى العياشى جماعة كثيرة[1].

وينقل عن العياشى بعض الأخبار التى استدل بها على التحريف.

منها ما رواه عن الإمام الصادق أنه قال: «لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين».

(١) انظر فصل الخطاب ص ٢٦.

ومنها ما رواه عن الإمام الباقر أنه قال: تنزل جبرائيل بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فى على بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ ﴾(١).

وفى تفسير العياشى نجد كثيرًا من مثل هذا الضلال:

فتحت عنوان «ما عنى به الأئمة من القرآن» (١/ ١٣) يذكر عدة أخبار، منها الخبر السابق عن الإمام الصادق، ويرويه أيضًا عن الإمام الباقر، كما يروى عن الإمام الباقر أنه قال: «لولا أنه زيد فى كتاب اللّه ونقص منه ما خفى حقنا على ذى حجى، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن».

وعن الإمام الصادق: «إن القرآن قد طرح منه آيات كثيرة، ولم يزد فيه إلاّ حروف، وقد أخطأت بها الكتبة، وتوهمتها الرجال».

وفى أول سورة البقرة يروى العياشى عن الصادق أنه قال: {كتاب على لا ريب فيه}.

وعن عمر بن يزيد، قال: سألت أبا عبد اللّه عن قول اللّه: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾، فقال: كذبوا، ما هكذا هى! إذا كان ينسى وينسخها أو يأتى بمثلها لم ينسخها. قلت: هكذا قال اللّه. قال: ليس هكذا قال تبارك وتعالى. قلت: فكيف قال؟ قال: ليس فيها ألف ولا واو، قال: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها مثلها، يقول: ما نميت من إمام أو ننسه ذكره نأت بخير منه من صلبه مثله(٢).

وفى تفسير العياشى لسورة النساء يذكر الرواية التالية:

عن جابر قال: قلت لمحمد بن على: قول اللّه فى كتابه ﴿الذين آمنوا ثم كفروا﴾ قال: هما والثالث والرابع وعبد الرحمن وطلحة، وكانوا سبعة عشر رجلاً. قال: لما وجّه النبى ﷺ على بن أبى طالب رضي الله عنه وعمار بن ياسر رحمه اللّه إلى أهل مكة قالوا: بعث هذا الصبى، ولو بعث غيره يا حذيفة إلى أهل مكة؟ وفى مكة صناديدها، وكانوا يسمون عليًا الصبى لأنه كان اسمه فى كتاب اللّه الصبى لقول اللّه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وهو صبى وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣) فقالوا: واللّه الكفر بنا أولى مما نحن فيه، فصاروا فقالوا لهما، وخوّفوهما بأهل مكة، فعرضوا لهما وغلظوا عليهما الأمر، فقال على

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٣٢، والآية الكريمة هى رقم ٩٠ من سورة البقرة، وحرفها بزيادة «فى على».

(٢) الآية الكريمة هى رقم ١٠٦ من سورة البقرة، وحرفها ليصل إلى تأويله الذى يعد تحريفًا آخر.

(٣) الآية ٣٣ من سورة فصلت، وحرفها بزيادة «وهو صبى».

صلوات الله عليه: حسبنا الله ونعم الوكيل، ومضى. فلما دخلا مكة أخبر الله نبيه بقولهم لعليّ ويقول عليّ لهم، فأنزل الله بأسمائهم في كتابه، وذلك قول الله: ﴿ ألم تر إلى الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ وإنما نزلت ألم تر إلى فلان وفلان لقوا عليًا وعمارًا فقال إن أبا سفيان وعبد الله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم فقالوا حسبنا- الله ونعم الوكيل، وهما اللذان قال الله: ﴿الذين آمنوا ثم كفروا﴾ إلى آخر الآية، فهذا أول كفرهم.. والكفر الثاني قول النبي عليه وعلى آله السلام: يطلع عليكم من هذا الشعب رجل فيطلع عليكم بوجهه؛ فمثله عند الله كمثل عيسى، لم يبق منهم أحد إلاَّ تمنى أن يكون بعض أهله، فإذا بعليّ قد خرج وطلع بوجهه وقال: هو هذا، فخرجوا غضابًا وقالوا: ما بقي إلاَّ أن يجعله نبيًا، والله الرجوع إلى آلهتنا خير ممّا نسمع منه في ابن عمه، وليصدّنا عليّ إن دام هذا، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ إلى آخر الآية فهذا الكفر الثاني. وزاد الكفر بالكفر حين قال حين قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فقال النبي ﷺ: يا عليّ أصبحت وأمسيت خير البريّة، فقال له الناس: هو خير من آدم ونوح ومن إبراهيم ومن الأنبياء ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قالوا: فهو خير منك يا محمد؟ قال الله: ﴿قل إني رسول الله إليكم جميعا﴾ ولكنّه خير منكم وذريته خير من ذريتكم، ومن اتّبعه خير ممّن اتبعكم، فقاموا غضابًا وقالوا: زيادة الرجوع إلى الكفر أهون علينا مما يقول في ابن عمه، وذلك قول الله: ﴿ثم إزدادوا كفرا﴾.

وفي تفسير سورة النحل يروى العياشي عن أبي جعفر أنه قال: نزل جبرائيل هذه الآية هكذا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا في علي أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[2].

ويروى عن إسماعيل الحريري قال: قلت لأبي عبد الله: قول الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ قال البغي: اقرأ كما أقول لك يا إسماعيل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ حقه﴾ قلت: جعلت فداك إنَّا لا نقرأ هكذا في قراءة زيد، قال: ولكنا نقرأها

(١) آل عمران: ١٧٣، وتبدأ بقول: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ﴾ بدون: ﴿ألم تر إلى﴾، وقول العياشي «وإنما نزلت...» فيه تحريف يذكرنا بكلام مسيلمة الكذاب.

(٢) ٢/ ٢٥٧، والآية الكريمة رقم ٢٤ من سورة النحل، وحرفها بزيادة «في علي».

هكذا فى قراءة عليّ ﷺ، قلت، فما يعني بالعدل؟: شهادة أن لا إله إلا الله، قلت: والإحسان؟ قال: شهادة أن محمدًا رسول الله، قلت: فيما يعنى بإيتاء ذى القر حقّه، قال: أداء إمامة إلى إمام بعد إمام، ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ قال: ولاية فلان وفلان[1].

ثانيًا: الطعن فى الصحابة الكرام

الرواية التى ذكرتها دون اختصار من تفسير العياشى لسورة النساء لبيان موقفه من تحريف القرآن الكريم توضح أمرين آخرين، هما طعنه فى خير أمة أخرجت للناس، الصحابة الكرام الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، وعلى الأخص من بشر منهم بالجنة غير على ﷺ، كالشيخين، وذى النورين، وطلحة والزبير، والأمر الآخر من موقفه من أسباب النزول، ومفتريات هذا الضال المجوجة ليتفق سبب النزول مع ضلاله.

وإذا كانت الرواية وضعها العياشى ليقول بأن الخلفاء الراشدين الثلاثة، وغيرهم من خيرة الصحابة، كفروا فى حياة الرسول ﷺ، فإنه يرى ويروى أن الصحابة الكرام جميعًا ارتدوا عن الإسلام بعد الرسول ﷺ إلاَّ ثلاثة هم: المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسى[2].

وتفسيره مملوء محشو بالطعن فى الصحابة وتكفيرهم، ونذكر بعض الأمثلة:

يروى عن جابر قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ قال: فقال هم أولياء فلان وفلان[3]، اتخذوهم أئمة من دون الإمام الذى جعل الله للناس، فلذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ قال: ثم قال أبو جعفر ﷺ: والله يا جابر هم أئمة الظلم وأشياعتهم[4].

---

(١) ٢/ ٢٦٧، والآية الكريمة هى التسعون فى سورة النحل، وحرفها بزيادة «حقه»، ثم جاء التأويل الذى ذهب إليه ليكون تحريفًا آخر، وطعنًا فى الصديق والفاروق، والصحابة الكرام لأنهم بايعوا كلاً منهما، وهو قول هذا الضال: «ولاية فلان وفلان».

(٢) انظر تفسير الصافى ج١ ورقة ١٤٨.

(٣) يقصد الخلفاء الراشدين الثلاثة، ومن بايعهم.

(٤) تفسير العياشى ١/ ٧٢، والآيات الكريمة فى سورة البقرة من ١٦٥/ ١٦٧، ومن الواضح أنها تتحدث عن المشركين عبدة الأوثان «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا ...»، فجعلها العياشى: من دون الإمام.

وفى رواية أخرى: أعداء على هم المخلدون فى النار أبد الآبدين، ودهر الداهرين[1].

وروى عن عبد الله النجاشى قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ يعنى والله فلانًا وفلانًا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يعنى والله النبى وعليًا بما صنعوا، أى لو جاءوك بها يا علىّ فاستغفروا مما صنعوا، ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ثم قال أبو عبد الله: هو والله على بعينه ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ على لسانك يا رسول الله يعنى به ولاية على ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لعلى بن أبى طالب عليه السلام[2].

وروى عن أبى عبد الله قال: والله لو أن قومًا عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وحجوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثم لم يسلموا إلينا لكانوا بذلك مشركين[3].

وروى عن جابر عن أبى جعفر قال: سألته عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ قال: الذين يدعون من دون الله الأول والثانى والثالث، كذَّبوا رسول الله ﷺ بقول: والوا عليًا واتبعوه، فعادوا عليًا ولم يوالوه، ودعوا ا لناس إلى ولاية أنفسهم، فذلك قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قال: وأما قوله: ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ فإنه يعنى: لا يعبدون شيئًا، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، فإنه يعنى وهم يعبدون، وأما قوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يعنى كفار غير مؤمنين، وأما قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فإنه يعنى أنهم لا يؤمنون، أنهم يشركون، ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ فإنه كما قال الله، وأما قوله: ﴿فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فإنه يعنى بالرجعة أنها حق، وأما قوله: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ فإنه يعنى قلوبهم كافرة، وأما قوله: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ فإنه يعنى عن ولاية على مستكبرون، قال الله لمن فعل ذلك وعيدًا منه

---

(١) ١/ ٧٣.

(٢، ٣) ١/ ٢٥٥، والآيات الكريمة من سورة النساء: من ٦٣ إلى ٦٥، وقبل هذه الآيات جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾، فجعل العياشى النفاق لخير الناس بعد الرسول ﷺ، وهما أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم.

﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عن ولاية على﴾[1].

ثالثًا: جعل الأئمة هم المراد من كلمات الله

فى أصول التفسير عند العياشى نجد العنوان التالى[2] «فى ما أنزل القرآن» وتحت هذا العنوان يذكر روايات منها:

عن أبى جعفر: نزل القرآن على أربعة أرباع. ربع فينا، وربع فى عدونا، وربع فرايض وأحكام، وربع سنن وأمثال، ولنا كرائم القرآن.

وعن أمير المؤمنين قال: نزل القرآن أثلاثًا: ثلث فينا وفى عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرايض وأحكام.

ونجد عنوانًا آخر، وهو: «ما عنى به الأئمة من القرآن»[3] وأشرنا إلى هذا العنوان من قبل، وذكرنا بعض رواياته لبيان التحريف.

وأضيف بعض الروايات الأخرى

عن أبى عبد اللّه قال: من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن.

وعن أبى جعفر قال: لنا حق فى كتاب اللّه المحكم من اللّه، لومحوه فقالوا ليس من عند اللّه، أو لم يعلموا، لكان سواه.

وعنه أيضًا: إذا سمعت اللّه ذكر أحدًا من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت اللّه ذكر قومًا بسوء ممن مضى فهم عدونا.

وعن على بن أبى طالب ﷺ قال: سموهم بأحسن أمثال القرآن، يعنى عترة النبى ﷺ: هذا عذب فرات فاشربوا، وهذا ملح أجاج فاجتنبوا.

وعن عمر بن حنظلة، عن أبى عبد اللّه، عن قول اللّه: ﴿قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾؟ فلما رآنى أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب قال: حسبك،

---

(١) ٢/ ٢٥٦: ٢٥٧، والآيات الكريمة فى سورة النحل: من ٢٠: ٢٣، وحرفها بزيادة «عن ولاية على» ويقصد بالأول والثانى والثالث: الخلفاء الراشدين المهديين، وبدلاً من أن يستحل دم هذا العياشى أجمعت طائفته على توثيقه وعلو منزلته!! وما وجدنا أحدًا من دعاة التقريب يطعن فيه! فماذا يراد بالتقريب إذن؟!

(٢) تفسير العياشى ١/ ٩.   (٣) ١/ ١٣.

كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عنى به.

هذه بعض الأصول التي وضعها العياشي، ونسبها للأئمة الأطهار حتى يحكم فريته. وفي ظلماتها يمكن معرفة ما عليه هذا التفسير من جعل الأئمة هم المراد من كثير من كلمات القرآن الكريم، وحصر هذا يطول ذكره، ويكفي أن نذكر بعض الأمثلة:

يروى العياشي عن سلام عن أبي جعفر في قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ قال: إنما عنى بذلك عليًا والحسن والحسين وفاطمة، وجرت بعدهم في الأئمة. قال: ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ يعني الناس ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ يعني عليًا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[1].

وعن أبي عبد الله في قول الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين بالولاية في الميثاق[2].

وعن بريد بن معوية العجلي عن أبي جعفر قال: قلت له: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ قال نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه[3].

وعن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: أتمهن بمحمد وعلى والأئمة من ولد على[4].

وعن أبي جعفر أن الولاية هي المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾[5].

وعن أبي عبد الله، وعن أبيه، أن أصحاب القائم – أي الإمام الثاني عشر – هم الأمة المعدودة التي قال في كتابه: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[6].

---

(١) ١/ ٦٢، والآيتان الكريمتان في سورة البقرة: ١٣٦، ١٣٧، وقبلهما ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(٢) ١/ ٦٢، والآية الكريمة هي رقم ١٣٨ من سورة البقرة، أي بعد الآيات السابقة.

(٣) ١/ ٦٢، والآية الكريمة هي رقم ٤٣ من السورة نفسها.

(٤) ١/ ٥٧، الآية الكريمة هي رقم ١٢٤ من السورة نفسها أيضًا.

(٥) ١/ ٣٣٠، والآية الكريمة هي رقم ٦٦ من سورة المائدة.

(٦) ١/ ١٤٠، ١٤١، والآية الكريمة الثامنة من سورة هود.

وعن أبى جعفر أن عليًا هو المراد من كلمة النور فى قوله تعالى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾(1).

وعن أبى عبد الله فى قوله تعالى: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: هم الأئمة(2).

وعن أبى جعفر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ : وهو محمد، ﴿وَالإِحْسَانِ﴾: وهو على، ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾: وهو قرابتنا. أمر الله العباد بمودتنا وإيتائنا، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر: من بغى على أهل البيت، ودعا إلى غيرنا(3).

والعياشى يرفع الأئمة لمرتبة الألوهية كالقمى:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ لا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ يروى العياشى عن أبى عبد الله أنه قال: يعنى بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد(4).

وعند قوله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾(5)، بقوله: طائعين للأئمة.

وفى قوله سبحانه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(6)، يروى العياشى أن العمل الصالح: المعرفة بالأئمة، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا: التسليم لعلى، ولا يشرك معه فى الخلافة من ليس له ذلك، ولا هو من أهله(7).

هذه نماذج كافية لبيان أن العياشى كالقمى فى هذا الضلال، وكل ما قيل عن القمى يمكن أن نراه من خلال هذه النماذج، وأختمها بما ختمت به دراستى عن العياشى فى كتاب «أثر الأمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله: ص٢٠٨، ٢٠٩» .

---

(١) ٢/ ٣١، والآية ا لكريمة هى رقم ١٥٧ من سورة الأعراف.

(٢) ٢/ ٢٥٦، والآية الكريمة هى رقم ١٦ من سورة النحل.

(٣) ٢/ ٢٦٧، وسبق من قبل ذكر رواية أخرى عن عبد الله فى التحريف لهذه الآية.

(٤) ٢/ ٢٦١، والآية الكريمة هى رقم ٥١ من سورة النحل.

(٥) البقرة: ٢٣٨.

(٦) سورة الكهف: ١١٠.

(٧) انظر ما سبق فى كتابى: أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله- ص٢٠٥.

وفى سورة هود يتحدث عن سبب نزول آيات من ١٢ إلى ٢٤ فيقول: دعا رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام فى آخر صلاته، رافعًا بها صوته يسمع الناس، يقول اللهم هب لعلى المودة فى صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة فى صدور المنافقين فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[1] بنى أمية: فقال رمع[2]: والله لصاع من تمر فى شن بال أحب إلى مما سأل محمد ربه، أفلا سأله ملكًا يعضده؟ أو كنزًا يستظهر به على فاقته؟ فأنزل الله فيه عشر آيات من هود أولها: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ إلى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ولاية على ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ إلى ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فى ولاية على ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لعلى ولايته ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ يعنى فلانًا وفلانًا ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ رسول الله ﷺ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أمير المؤمنين ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ قال: كان ولاية على فى كتاب موسى ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ فى ولاية على ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

* * *

---

(١) ٩٦، ٩٧ سورة مريم.

(٢) قال المجلسى: «رمع كناية عن عمر لأنه مقلوبه» بحار الأنوار ٣٦/ ١٠١».

(٣) بحارالأنوار ٣٦/ ١٠٠– ١٠١، والآيات ثلاث عشرة لا عشر آيات.



التبيان للطوسى وتفاسير الطبرسى

أصول التفسير عند الطوسى والطبرسى

وننتقل بعد هذا الحديث عن أولئك الذين يمثلون شيئًا من الاعتدال عند مفسرى الجعفرية، وأول هؤلاء شيخ الطائفة فى زمانه أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسى[1]. وإذا كان الصدوق والشريف المرتضى من الجعفرية الذين سبقوا للتصدى لحركة التضليل والتشكيك فى كتاب الله تعالى، فإن الطوسى أول من تصدى لهذه الحركة بطريقة عملية، حيث ألف تفسيره الكبير «التبيان»، فبين أن القرآن الكريم هو ما بين الدفتين بغير زيادة أو نقصان كما نقلنا من قبل، ثم وضع أسسًا للتفسير، وطبقها فى تفسيره، فصان كتاب الله تعالى من التحريف فى المعنى إلى درجة كبيرة. وننقل هنا ما ذكره الطوسى فيما يتعلق بالتفسير. قال فى كتابه «التبيان» «١/ ٤- ٦»: «اعلم أن الرواية ظاهرة فى أخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن النبى ﷺ، وعن الأئمة- رضى الله عنهم، الذين قولهم حجة كقول النبى ﷺ، وأن القول بالرأى فيه لا يجوز والذى نقول فى ذلك: إنه لا يجوز أن يكون فى كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد. وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2] وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[3] وقال:

---

(١) ولد الطوسى سنة ٣٨٥هـ، وهاجر إلى العراق فهبط بغداد، ثم انتقل إلى الكوفة والنجف، كان ينتمى أولاً إلى مذهب الشافعى، ثم أخذ الكلام والأصول عن الشيخ المفيد رأس الإمامية. له كثير من الكتب. توفى سنة ٤٦٠.

راجع ترجمته فى هدية العارفين ٢/ ٧٢ «جعل له تفسيرى الطبرسى!» ومعجم المؤلفين ٩/ ٢٠٢.

(٢) الزخرف: ٣. (٣) الشعراء: ١٩٥.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[1] وقال: ﴿ وفيه تبيان كل شيء ﴾[2] ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[3]، فكيف يجوز أن يصفه بأنه عربي مبين، وأنه بلسان قومه، وأنه بيان للناس، ولا يفهم بظاهره شيء. وهل ذلك إلاَّ وصف له باللغز والمعمى الذى لا يفهم المراد به إلاَّ بعد تفسيره وبيانه. وذلك منزه عنه القرآن. وقد مدح اللَّه أقوامًا على استخراج معانى القرآن فقال: ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[4]، وقال فى قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن ولم يتفكروا فى معانيه: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[5]، وقال النبى ﷺ: **«إنى مخلف فيكم الثقلين: كتاب اللَّه وعترتى أهل بيتى»**، فبين أن الكتاب حجة، كما أن العترة حجة، وكيف يكون حجة ما لا يفهم به شيء؟ وروى عنه ﷺ أنه قال: **«إذا جاءكم عنى حديث، فاعرضوه على كتاب اللَّه، فما وافق كتاب اللَّه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط»** وروى مثل ذلك عن أئمتنا- رضى اللَّه عنهم، وكيف يمكن العرض على كتاب اللَّه، وهو لا يفهم به شيء؟ وكل ذلك يدل على أن ظاهر هذه الأخبار متروك.

والذى نقول به: إن معانى القرآن على أربعة أقسام:

أحدها: ما اختص اللَّه تعالى بالعلم به، فلا يجوز لأحد تكلف القول فيه، ولا تعاطى معرفته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ﴾[6]؛ ومثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾[7] إلى آخرها. فتعاطى معرفة ما اختص اللَّه به خطأ.

وثانيها: ما كان ظهره مطابقًا لمعناه فكل من عرف اللغة التى خوطب بها عرف معناها، مثل قوله تعالى:

﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[8]، ومثل قوله تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[9]، وغير ذلك.

وثالثها: ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً، مثل قوله تعالى:

---

(1) إبراهيم: ٤. (2) نص الآية: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ «النحل:٨٩».
(3) الأنعام: ٣٨. (4) النساء: ٨٣. (5) محمد: ٢٤.
(6) الأعراف: ١٨٧. (7) لقمان: ٣٤.
(8) الأنعام: ١٥١. (9) أول سورة الإخلاص.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[1]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[2]، ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾[4]، وما أشبه ذلك. فإن تفصيل أعداد الصلاة وعدد ركعاتها، وتفصيل مناسك الحج وشروطه، ومقادير النصاب فى الزكاة لا يمكن استخراجه إلاَّ ببيان النبى ﷺ، ووحى من جهة الله تعالى، فتكلف القول فى ذلك خطأ ممنوع منه، يمكن أن تكون الأخبار متناولة له.

ورابعها: ما كان اللفظ مشتركًا بين معنيين فما زاد عنهما، ويمكن أن يكون كل واحد منهما مرادًا. فإنه لا ينبغى أن يقدم أحد به فيقول: إن مراد الله فيه بعض ما يحتمل لأمور، وكل واحد يجوز أن يكون مرادًا على التفصيل، والله أعلم بما أراد.

ومتى كان اللفظ مشتركًا بين شيئين، أو ما زاد عليها، ودل الدليل على أنه لا يجوز أن يريد إلا وجهًا واحدًا، جاز أن يقال: إنه هو المراد.

ومتى قسمنا هذه الأقسام نكون قد قبلنا هذه الأخبار، ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها، ولا منعنا بذلك من الكلام فى تأويل الآى جملة.

وقال فى موضع آخر: «ينبغى لمن تكلم فى تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ، ويراعى أسباب نزول الآية على ما روى، ولا يقول على الآراء والشهوات»[5].

الفرق بينهما وبين الجمهور

هذا ما ذكره الشيخ الطوسى، وهو يتفق مع جمهور المفسرين فيما عدا حديثه عن المشترك، حيث جعل للأئمة ما للنبى ﷺ، ولكن هذا ليس بمستغرب منه، لأنه يتفق مع عقيدته فى الإمامة. ولم يجعل للصحابة الكرام دورًا فى التفسير، وهم الذين تلقوه عن الرسول ﷺ.

والقرآن الذى تلاه- أى القرن السادس الهجرى- ظهر فيه إمام المفسرين عند الجعفرية أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى[6] الذى أخرج كتابًا فى التفسير هو «مجمع البيان»، ثم ألف كتابًا آخر أصغر منه أسماه «جوامع الجامع»، وله كتاب ثالث[7].

---

(١) البقرة: ٤٣.　(٢) آل عمران: ٩٧.　(٣) الأنعام: ١٤١.

(٤) المعارج: ٢٤.　(٥) التبيان ٩/ ٣٢٥- ٣٢٦.

(٦) توفى سنة ٥٤٨ هـ.

(٧) قال صاحب الذريعة «٤/ ٣١٠»: تفسير الكاف الشاف من كتاب الكشاف، أو الوجيز، هو ثالث تفاسير الطبرسى، والكتاب المذكور وجدته فى مكتبة لندن.

وقد سلك مسلك الشيخ الطوسى، وتأثر به إلى حد كبير، فهما يمثلان جانب الاعتدال النسبى عند مفسرى الجعفرية فى القديم كما أشرنا من قبل. ومع أنهما يمثلان شيئًا من الاعتدال، إلا أن تناولهما لكتاب اللّه تعالى لم يسلم من التأثر بعقيدتهما فى الإمامة، وأهم مظاهر التأثر نراها فيما يأتى:

أولاً: اللجوء لتأويل بعض آيات الكتاب المجيد للاستدلال على عقيدة الإمامة

فالذين ذهبوا إلى القول بتحريف القرآن المجيد لم يضطروا للاستدلال على عقيدتهم عن طريق التأويل ما دام هؤلاء الغلاة قد زعموا أن القرآن الكريم نص على الإمامة التى يعتقدونها، أما هما فقد وقفا طويلاً أمام بعض آيات اللّه تعالى: يؤولان ويجادلان لإثبات عقيدتهم، مثال هذا ما نقلناه عنهما فى الجزء الأول، وذلك عند الحديث عن آية الولاية والتطهير وعصمة الأئمة.

ثانياً: ذكرهما لبعض القراءات الموضوعة والشاذة ذات الصلة بالمذهب

مثال هذا ما جاء فى تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(١)، فإنهما يذكران أن قراءة أهل البيت «وآل محمد على العالمين»(٢).

وفى سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(٣)، يفسرها الطوسى بقوله: «بأن يجعلهم ممن يقتدى بأفعالهم الطاعات»، ولكنه يذكر أن قراءة أئمتهم {وَاجْعَلْ لَنَا من الْمُتَّقِينَ إِمَامًا}(٤).

والطبرسى يذكر للإمام الصادق أقوالاً فى هذه الآية الكريمة يجعلها خاصة بأئمة الجعفرية، كقول الإمام فيها: «إيانا عنى» وقوله: «هذا فينا». ولا يكتفى بهذا بل يذكر ما يتفق مع الغلاة القائلين بالتحريف، فيخطئ ما جاء بالمصحف الشريف ليصل إلى القراءة التى ذكرها الطوسى، والرواية هى: «عن أبى بصير قال: قلت: واجعلنا للمتقين إمامًا،

---

(١) الآية ٣٣.

(٢) انظر التبيان ٢/ ٤٤١، ومجمع البيان ٢/ ٤٣٣.

(٣) الآية ٧٤. (٤) انظر التبيان ٧/ ٥١٢.

فقال: - أى الإمام الصادق: «سألت ربك عظيمًا، إنما هى: واجعل لنا من المتقين إمامًا»[١].

وفى قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾[٢]، يقول الطوسى: «بالريح والملائكة»، وقيل بعلى، وهى قراءة ابن مسعود، وكذلك هو فى مصحفه»[٣].

وقال الطبرسى: «وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والجند، وعن ابن مسعود أنه كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعلى»[٤].

وفى قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[٥]، يذكران قراءة لتأييد رأى فقهى ارتبط بالمذهب الجعفرى، وهو إباحتهم لزواج المتعة، هذه القراءة هى زيادة «إلى أجل مسمى» بعد «فما استمتعتم به منهن»[٦].

ثالثًا: أسباب النزول

فى ذكرهما لبعض أسباب النزول يبدو أثر الإمامة واضحًا، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[٧]، يذكر الطوسى سبب النزول فيقول: روى عن النبى ﷺ أنه قال يوم لعلى عليه السلام: «لولا أنى أخاف أن يقال فيك ما قالت النصارى فى عيسى لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ إلاَّ أخذوا التراب من تحت قدميك، أنكر ذلك جماعة من المنافقين وقالوا: لم يرض أن يضرب له مثلاً إلا بالمسيح ، فأنزل الله الآية»[٨].

أما الطبرسى فيذكر سببًا آخر، قال: «المروى عن أهل البيت أن أمير المؤمنين قال: جئت إلى النبى ﷺ يومًا فوجدته فى ملأ من قريش، فنظر إلى ثم قال: يا على، إنما مثلك

---

(١) انظر جوامع الجامع ص ٣٢٦. (٢) سورة الأحزاب الآية: ٢٥.

(٣) التبيان ٨/ ٣٣١. (٤) النساء: الآية ٢٤.

(٥) انظر التبيان ٦/ ١٦٦، وجوامع الجامع ص ٨٣- ٨٤ وراجع تحريف القمى لها الذى ذكرناه فى ص ١٨٨.

وقد روى الشيعة - وغيرهم- أن حمزة أحد القراء السبعة، قرأ على الإمام جعفر الصادق «انظر مجمع البيان» ١/ ١٢». وفى غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ذكر أن جعفر ابن محمد لم يخالف حمزة فى شىء من قراءته إلا فى عشرة أحرف. وبمراجعة هذه الأحرف لا نجد قراءة مما ذكره معتدلو الشيعة فضلاً عن غلاتهم، ولا نجد فيها أى أثر للإمامة. ونجد بعد الأحرف قول الإمام جعفر: «هكذا قراءة على بن أبى طالب». «انظر الكتاب المذكور ١/ ١٩٦».

(٦) الزخرف: ٥٧، والسورة الكريمة مكية، فكيف غاب هذا عن الطوسى وهو يذكر هذه الرواية، ويتحدث عن المنافقين! أوجدت جماعات المنافقين فى العهد المكى!!

فى هذه الأمة مثل عيسى ابن مريم، أحبه قوم وأفرطوا فى حبه فهلكوا، وأبغضه قوم وأفرطوا فى بغضه فهلكوا، واقتصد فيه قوم فنجوا، فعظم ذلك عليهم وضحكوا، فنزلت الآية»(1).

وفى سورة النحل «الآية: ٩١»: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ قال الطبرسى بأن الإمام الصادق قال: «نزلت هذه الآية فى ولاية على والبيعة له حين قال النبى ﷺ سلموا على بإمرة المؤمنين(2).

وفى سورة القلم قال الطبرسي: «لما رأت قريش تقديم النبى ﷺ عليًا قالوا: افتتن به محمد ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾، وهم النفر الذين قالوا ما قالوا: ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾، على بن أبى طالب(3).

وسورة عبس سبب نزولها معروف مشهور، ولكن الطوسى يرفض ما ذكره المفسرون(4)، ويذهب إلى أنها «نزلت فى رجل من بنى أمية كان واقفًا مع النبى ﷺ، فلما أقبل ابن مكتوم تنفر منه وجمع نفسه وعبس فى وجهه، وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله تعالى ذلك وأنكر معاقبة على ذلك»(5).

وإذا وجدنا بين أسباب النزول ما يتصل بالإمام على وبيعته، وهو لم يصح من طريق، ويقطع برفضه كون النزول فى مكة، وسياق هذه الآيات الكريمة كذلك، إلاَّ أنا نجد الأمر يختلف بالنسبة لغير أبى الحسن، مثال هذا ما جاء فى سورة الليل: فالطبرسى يورد رواية تبين أن أبا الدحداح هو المراد من قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ ثم يقول.. «وعن ابن الزبير قال: إن الآية نزلت فى أبى بكر، لأنه اشترى المماليك أسلموا مثل بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما، وأعتقهم ، والأولى أن تكون الآيات محمولة على عمومها فى كل من

---

(1) التبيان ٩/ ٢٠٩- ٢١٠.

(2) جوامع الجامع ص٤٣٦، وانظر مجمع البيان ٩/ ٥٣.

(3) جوامع الجامع ص ٢٤٩، وسورة النحل نزلت فى العهد المكى كذلك، والبيعة المزعومة قالوا إنها كانت بعد حجة الوداع!.

(4) المرجع السابق ص ٥٠٤، وسورة القلم ليست مكية فحسب، بل من أوائل ما نزل، فهى بعد العلق: أول سور القرآن الكريم نزولاً، وقت أن كان على بن أبى طالب- رضى الله تعالى عنه- صبيًا!

(5) انظر التبيان ١٠/ ٢٦٨. (6) المرجع السابق ١٠/ ٢٦٩.

يعطى حق الله من ماله»[١] أما الطوسى فإنه لا يذكر سببًا للنزول[٢].

رابعا: جعل الأئمة هم المراد من كلمات الله

ذكرنا من قبل أن أولئك الغلاة الذين عز عليهم خلو القرآن من ذكر الأئمة ووجوب ولايتهم، ذهبوا إلى القول بالتحريف وإسقاط أسماء الأئمة وآيات الولاية. وهنا نجد الدافع نفسه يدفع الطوسى والطبرسى إلى شىء آخر هو اللجوء إلى تأويل كثير من أى القرآن الكريم حتى يكون للأئمة والولاية ذكر، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة التى ما أكثرها!

فى سورة النساء «الآية: ٨٣»: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾، يروى الطبرسى عن أئمته أن «فضل الله ورحمته النبى وعلى عليهما السلام»[٣].

وفى نفس السورة «الآية: ١٥٩»: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾، يروى الطبرسى عن الإمامين الباقر والصادق: «حرام على روح امرىء أن تفارق جسدها حتى ترى محمدًا وعليًا بحيث تقر عينها أو تسخن»[٤].

وفى سورة الأعراف «الآية: ٤٤»: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾، فينقل الطبرسى عن تفسير القمى، عن الإمام الرضا أنه قال: المؤذن أمير المؤمنين على. ويذكر كذلك أن الإمام عليًا قال: أنا ذلك المؤذن، وعن ابن عباس: إن لعلى فى كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس. ويقول الطبرسى أيضًا: فهو المؤذن بينهم يقول :ألا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتى واستخفوا بحقى[٥].

(١) انظر مجمع البيان ١٠/ ٥٠١- ٥٠٢.

(٢) انظر التبيان ١٠/ ٣٦٣ وما بعدها، وحمل الآيات على عمومها لا ينفى سبب النزول، فكما هو معلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وشتان بين موقفهما هنا وموقفهما من الآيات التى وضع المفترون أسبابًا لنزولها تتصل بأئمتهم.

(٣) جوامع الجامع ص٩٢ ، ولكن الطوسى لم يشر لعلى. انظر التبيان ٣/ ٢٧٤.

(٤) نفس المرجع ص ١٠١، وأنكر الطوسى هذا قائلاً «لم يجر لمحمد ﷺ ذكر فيما تقدم، ولا ها هنا ضرورة موجبة لرد الكتابة عليه، وما هذه صورته لا تجوز الكناية عنه «التبيان ٣/ ٣٨٧».

(٥) انظر مجمع البيان ط مكتبة الحياة ٨/٦٣، والآية الكريمة التالية التى تحدثت عن أولئك الظالمين هى «الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا وهم بالآخرة كافرون». ولا ندرى أين على وولايته هنا ؟ على أن الطوسى لم يذكر عليًا هنا. انظر التبيان ٤/ ٤٠٦.

وعند الحديث عن أصحاب الأعراف فى الآيات التالية يقول الطوسى بأن عليًا قسيم الجنة والنار، ويزعم أن النبى ﷺ قال: «يا على، كأنى بك يوم القيامة وبيدك عصا موسى، تسوق قومًا إلى الجنة وآخرين إلى النار»[1].

ويروى الطبرسى عن أمير المؤمنين قال: «نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار»[2].

وفى سورة النمل «الآية: ٨٢»: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾، يذكر الطبرسى أن الإمام عليًا هو هذه الدابة، وينقل عن تفسير العياشى ما يفيد هذا[3].

وفى سورة محمد «الآية: ٣٠»: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ يروى الطبرسى أن لحن القول بغضهم على بن أبى طالب[4].

وفى سورة ق «الآية: ٢٤»: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾، يزعم الطبرسى أن الرسول ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة يقول الله لى ولعلى: «ألقيا فى النار من أبغضكما، وأدخلا فى الجنة من أحبكما». وذلك قوله عز اسمه: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[5].

ونجد الطوسى والطبرسى لا يقتصران فى التأويل على ذكر الإمام على، فقد جعلاً لغيره من الأئمة نصيبًا، ومن أمثلة ما نقرؤه عند تأويلهما لقوله تعالى فى سورة البقرة «الآية: ٣٧»: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، فالطوسى بعد أن ذكر الروايات المختلفة فى تأويل الكلمات يقول: «فى أخبارنا توسله– أى آدم– بالنبى ﷺ وأهل بيته، وكل ذلك جائز»[6].

---

(١) التبيان ٤/ ٤١١، ومن المعلوم– كما نص القرآن الكريم فى أكثر من موضع– أن مثل هذا الأمر يكلف به الملائكة.

(٢) جوامع الجامع ص١٤٦.

(٣) انظر مجمع البيان ط مكتبة الحياة ٢٠/ ٢٥١، والطوسى أشار إلى أنها من الإنس ولكنه لم يذكر عليًا ولا غيره. انظر التبيان ٨/ ١١٩– ١٢٠.

(٤) انظر مجمع البيان ٩/ ١٠٦ ولكن الطوسى لم يشر لهذا، انظر التبيان ٩/ ٣٠٥.

(٥) مجمع البيان ٩/ ١٤٧ ولكن الطوسى أيضًا لم يذكر هذا– انظر التبيان ٩/ ٣٦٦– ٣٦٧.

(٦) التبيان: ١/ ١٦٩.

والطبرسى بعد ذكره لتلك الروايات يقول: «قيل- وهى رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام- إن آدم رأى مكتوبًا على العرش أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها، فقيل له: هذه الأسماء أجل الخلق منزلة عند الله تعالى، والأسماء: محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين، فتوسل آدم ﷺ إلى ربه بهم فى قبول توبته ورفع منزلته»[١].

ونجد الزعم كذلك بأن الأئمة هم حبل الله[٢] فى قوله تعالى فى سورة آل عمران «الآية:١٠٣»: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾.

وهم المخاطبون فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[٣] فيرويان عن أئمتهما أن هذا أمر لكل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى ولى الأمر بعده[٤].

وهم أولو الأمر فى الآية التى تلتها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[٥].

وفى الآية الثالثة والثمانين من نفس السورة: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ ﴾[٦].

وهم أهل الذكر[٧] ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ «الأنبياء: ٧».

وهم المصطفون[٨] ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ «فاطر: ٣٢».

وهم من أذن له الرحمن[٩] ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ «النبأ:٣٨».

(١) مجمع البيان ١/ ٨٩.

(٢) ذكر الطبرسى فى المراد بحبل الله ثلاثة أقوال: أحدها بأنه القرآن، وثانيها أنه دين الإسلام، وثالثها أنه أئمة الجعفرية، ثم قال: والأولى حمله على الجميع، وأيد قوله بإحدى روايات الغدير التى أثبتنا عدم صحتها فى أكثر من كتاب- انظر مجمع البيان ٢/ ٤٨٢. أما الطوسى فلم يذكر القول الثالث: انظر التبيان ٢/ ٥٤٥- ٥٤٦.

(٣) النساء: ٥٨. (٤) انظر البيان ٣/ ٢٣٤، جوامع الجامع ص٨٩.

(٥) راجع التبيان ٣/ ٢٣٦- ٢٣٧، وجوامع الجامع ص٨٩.

(٦) راجع التبيان ٣/ ٢٧٣، وجوامع الجامع ص٨٩.

(٧) انظر التبيان ٧/٢٣٢، وجوامع الجامع ص٢٨٩.

(٨) انظر التبيان ٨/ ٢٤٣، وجوامع الجامع ص ٣٨٩.

(٩) انظر مجمع البيان ٩/ ٤٢٧، والطوسى لم يشر لهذا- انظر التبيان ٢٤٩/١٠.

والأئمة الذين ورد ذكرهم كثيراً فى هذين التفسيرين نجد لولايتهم حظا من التأويل، فعند قوله تعالى فى سورة البقرة «الآية: ٢٠٨»: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾، يرويان عن أصحابهما أن السلم الدخول فى الولاية(١).

وفى الآية السابعة من سورة المائدة: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾.

يرويان دخول الولاية فى المراد بالميثاق(٢).

وفى سورة طه «الآية: ٨٢»: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾، يرويان أن الاهتداء إلى الولاية(٣).

وسورة محمد «الآية: ٢٦»: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾، روى الطبرسى أن ما نزل الله فى الولاية(٤).

وإمامهم الثانى عشر- الإمام المهدى- نجد له ذكراً خاصاً.

فعند قوله تعالى فى سورة البقرة «الآية الثالثة: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾، نراهم يدخلان فى الإيمان بالغيب ما رواه أصحابهما من زمان غيبة المهدى ووقت خروجه(٥).

وفى سورة الأنبياء «الآية: ١٠٥»: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾، يروى الطبرسى عن الإمام الباقر، أن هؤلاء الوارثين هم أصحاب المهدى فى آخر الزمان(٦).

وفى سورة النور «الآية:٥٥» ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ

---

(١) راجع التبيان ٢/ ١٨٥، ومجمع البيان ٢/ ٣٠٢.

(٢) راجع التبيان ٣/ ٤٥٩- ٤٦٠، وجوامع الجامع ص١٠٦.

(٣) انظر التبيان ٧/ ١٩٦، وجوامع الجامع ص ٢٨٤.

(٤) انظر مجمع البيان ١/ ١٠٥، والطوسى لم يشر للولاية «انظر التبيان ٩/ ٣٠٤- ٣٠٥».

(٥) انظر التبيان ٩/ ٢٥٥، ومجمع البيان ١/ ٣٨.

(٦) جوامع الجامع ص ٢٩٦، وروى الطوسى عن الإمام نفسه قال: «إن ذلك وعد للمؤمنين بأنهم يرثون جميع الأرض» «التبيان ٧/ ٢٨٤».

لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾، يرويان عن أئمتهم «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يد رجل منا، وهو مهدى هذه الأمة»[1].

وفى سورة الفتح «الآية: ٢٨»: ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾، يذكر «أنه إذا خرج المهدى صار الإسلام فى جميع البشر، وتبطل الأديان كلها»[2].

وبعد: فهذه أهم آثار الإمامة فى تفسير هذين الشيخين: الطوسى والطبرسى، وإن كان الثانى- كما يظهر- أكثر تأثرًا من شيخ الطائفة، وهما وإن لم يجنبا كتاب الله تعالى هذه الناحية الطائفية- التى ليس لها مستند من كتاب ولا سنة كما أثبتنا- إلاَّ أنهما مع هذا من أكثر الشيعة اعتدالاً، أو أقلهم غلوًا. ويبدو البون شاسعًا عند المقارنة بينهما وبين من سبقهما من الغلاة. ولذلك جاء القول بالاعتدال النسبى أو إلى حد ما نتيجة المقارنة بغلاتهم الضالين، وإلا فجانب الغلو والتطرف فيهم، وفى أمثالهم، واضح بين!

* * *

---

(١) جوامع الجامع ص ٣١٨، وانظر التبيان ٧/ ٤٥٧.

(٢) التبيان ٩/ ٣٣٦، وانظر مجمع البيان ٩/ ١٢٧.

١٣

التفسير بعد الطوسى والطبرسى

أولا: تفسير الصافى

ذكرنا من قبل أن الشيعة بعد هذا في تناولهم لكتاب الله تعالى منهم من سلك منهجًا فيه شيء من الاعتدال، أو سلك مسلك الغلو، ومنهم من جمع بين المسلكين أو اقترب من أحدهما.

ومن الكتب التى اطلعت عليها: تفسير الصافى، لمحمد بن مرتضى المدعو بمحسن. انتهى مؤلفه من كتابته سنة ١٠٧٥هـ. وقد حاول أن يأتى بكل ضلالة جاءت فى الكتب الثلاثة التى رزئ بها القرن الثالث الهجرى، والتى تحدثنا عنها، وهى تفاسير الحسن العسكرى والعياشى والقمى، وزاد كذلك فى النقل عن بعض الكتب الأخرى وكروايات التحريف والتأويلات الفاسدة التى رواها الكلينى فى كتابه الكافى. فهذا الكتاب إذن يمثل جانب الغلو والتطرف، ويعد استمرارًا لحركة التضليل والتشكيك، ولذلك نقرأ فيه القول بتحريف القرآن الكريم، ومهاجمة الصحابة الأكرمين، والتأويلات التي تجعل من كتاب الله تعالى كتابًا من كتب فرق الغلاة، وغير ذلك مما ذكرناه عند تناولنا للكتب الثلاثة.

فهو يرى أن تفسير القرآن الكريم لا يصح إلا عن طريق أئمة الجعفرية «فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه»[١] والرسول ﷺ فسره لرجل واحد هو الإمام على[٢]، ويهاجم من يأخذ التفسير المروى عن الصحابة لأن «أكثرهم كانوا يبطنون النفاق، ويجترئون على الله، ويفترون على رسول الله فى عزة وشقاق»[٣].

(١) تفسير الصافى ج ١ ورقة ٢.

(٢) انظر التفسير المذكور ج ٤ ورقة ١١، وانظر ج١ ورقات ٦، ٧، ٨ «نبذ مما جاء فى أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت».

(٣) تفسير الصافى ج١ ورقة ٢.

وهو يرى أن جل القرآن إنما نزل فى أئمة الجعفرية، وفى أوليائهم، وأعدائهم[١]. ويذكر روايات كثيرة فى تحريف القرآن الكريم[٢]، بل يزعم أن فى القرآن الكريم من التنافر والتناكر ما يدل علي التحريف.

مثال هذا ما نصه: «وأما ظهورك على تناكر قوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾[٣]، وليس يشبه القسط فى اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتامًا، فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن، وبين القول فى اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن»[٤].

وصاحب الصافى يعقب على روايات التحريف بقوله: «المستفاد من مجموع هذه الأخبار، وغيرها من الروايات عن طريق أهل البيت، أن القرآن الذى بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد ﷺ، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة، منها اسم علىّ عليه السلام فى كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد غير مرة. ومنها أسماء المنافقين فى مواضعها، ومنها غير ذلك. وأنه ليس أيضًا على الترتيب المرضى عند الله وعند رسوله»[٥].

ولا يكفى بذكر هذه الروايات، والتعقيب عليها، ولكن يذكر آراء الطوسى والصدوق

---

(١) انظر ج١ الورقة الثامنة وما بعدها.

(٢) انظر ج١ الورقة إلى ١٨، والتفسير كله مملوء بذكر آيات كثيرة محرفة.

(٣) النساء: ٣.

(٤) ج١ الورقتان ١٧، ١٨.

قال ابن كثير فى تفسير الآية الكريمة: «إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف ألا يعطيها مهر مثلها فليعدل إلي ما سواها من النساء، فإنهن كثير، ولم يضيق الله عليه». وذكر سبب النزول كما رواه الإمام البخارى ، عن عائشة- رضى الله عنها: «أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق، وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ أحسبه قال: كانت شريكته فى ذلك العذق وفى ماله.

ثم ذكر عن الإمام البخارى أن عروة بن الزبير سأل عن الآية الكريمة فقالت: «يابن أختى، هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها، تشركه فى ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلاَّ أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن فى الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من الناس سواهن» (انظر تفسيره ١/ ٤٤٩- ٤٥٠).

(٥) ج١ الورقة ١٨.

والطوسى في عدم التحريف، ويرد عليهم بما يبين مدى غلو هذا الضلال المضل(١).

ومن أحاديثه عن الصحابة- رضوان الله تعالى عنهم، أنهم كانوا أهل ردة بعد رسول الله ﷺ إلاَّ ثلاثة هم: المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسى! وأن أربعة اجتمعوا على قتل رسول الله ﷺ بالسم، هم: أبو بكر وعمر وابنتاهما عائشة وحفصة(٢)!!

والكتاب كله يسير فى ظلمات الضلال، ولنرد ذلك بيانًا ببعض الأمثلة:

فى أول سورة البقرة: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ينقل عن العياشى عن الإمام الصادق أنه قال: «كتاب على لا ريب فيه»، ويعقب على هذا بقوله: «ذاك تفسيره، وهذا تأويله، وإضافته الكتاب إلى على بيانية، يعني أن ذلك إشارة إلى على. والكتاب عبارة عنه، والمعنى أن ذاك الكتاب الذى هو على لا مرية فيه». ثم يفسر المتقين بأنهم الشيعة، ويقول: «وإنما خص المتقين بالاهتداء به لأنهم المنتفعون به»(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) يقول: «كابن أبى وأصحابه، وكالأول والثانى وأضرابهما من المنافقين، الذين زادوا على الكفر الموجب للختم والغشاوة والنفاق، ولا سيما عند نصب أمير المؤمنين للخلافة والإمامة»(٥). ثم يذكر ما نقلناه من قبل عن تفسير الحسن العسكرى لهذه الآية الكريمة، وذكره للغدير، وخيانة خير أمة أخرجت للناس(٦).

وفى تفسيره لسورة القدر نراه يتفق مع القمى وينقل عنه ما ذكرناه من قبل، بل يزيد عنه بأن وجود القرآن متعلق بوجود الإمام!! وكلامه بالنص بعد أن ذكر رواية عن الإمام أبى عبد الله بأنه لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن: «وذلك لأن في ليلة القدر ينزل كل سنة من تبيين القرآن وتفسيره ما يتعلق بأمور تلك السنة إلى صاحب الأمر، فلو لم يكن ليلة

---

(١) انظر ج١ الورقتين ١٩، ٢٠ ومن رده يظهر اعتقاده بأن عندهم قرآنًا غير القرآن الكريم الذى بأيدى المسلمين، وأن ما بين الدفتين هو المحرف، وأما قرآنهم فليس بمحرف!! والعجيب أن هذا المتظاهر بالإسلام وحب آل البيت بدلاً من أن يستباح دمه وتحرق كتبه نراه احتل مكانًا عاليًا عند كثير من الشيعة الاثنى عشرية!. وتفسيره مطبوع ومنتشر فى الوسط الشيعى!.

(٢) انظر هذه المفتريات العجيبة فى ج١ ورقة ١٤٨، ج ٤ ورقة ١٣٣.

(٣) ج ١ ورقة ٣٠.

(٤) ج١ ورقة ٣١- ويريد بالأول والثانى الخليفتين- رضى الله تعالى عنهما. أفضل المسلمين بعد رسول الله ﷺ، كما ثبت فى النص المتواتر عن الإمام على كرم الله وجهه.

(٥) راجع ص ١٦٨. (٦) انظر ج ٤ ورقة ١٧٧.

القدر لم ينزل من أحكام القرآن ما لابد منه في القضايا المتجددة، وإنما لم ينزل ذلك إذا لم يكن من ينزل عليه، وإذا لم يكن من ينزل عليه لم يكن قرآنًا، لأنهما متصاحبان لن يفترقا حتى يردا على رسول الله ﷺ حوضه كما ورد فى الحديث المتفق عليه[1].

إذن يمكن القول بأن تفسير الصافى لا يقل غلوًا عن التفاسير الثلاثة بل زاد عنها.

ثانيًا: البرهان في تفسير القرآن

وممن عاصر صاحب الصافي السيد هاشم البحرانى «توفى سنة ١١٠٧ أو سنة ١١٠٩» وله كتاب «البرهان فى تفسير القرآن» جمع فيه كثيرًا من الروايات الجعفرية فى تفسير القرآن الكريم[1].

والكتاب لا يختلف كثيرًا عن تفسير الصافى، فهو يسير فى طريق الضلال نفسه، يحرف كتاب الله تعالى نصًا ومعنى، ويطعن فى حفظة الكتاب الكريم، وحملة الشريعة من الصحابة الكرام الأطهار، ويذكر من الروايات المفتراه ما يؤيد ضلاله.

ونستطيع أن ندرك منهج هذا التفسير الضال المضل، وأثر الإمامة فيه، من الأبواب التي نراها في الجزء الأول قبيل البدء فى تفسير السور الكريمة، ومن الأخبار التى أثبتها البحرانى في هذا الكتاب، فلنضرب بعض الأمثلة.

ذكر البحرانى «باب فى أن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا الأئمة، وعندهم تأويله» وتحت هذا الباب نجد ستة وعشرين خبرًا[2].

وفي «باب فيما نزل عليه القرآن من الأقسام»[3] يذكر عن أمير المؤمنين أنه قال: نزل القرآن أثلاثا: ثلث فينا وفى عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام. وعن أبى عبد الله: إن القرآن نزل على أربعة أرباع.

ويذكر «باب فى أن القرآن نزل بإياك أعني واسمعى يا جارة»[4] و«باب فيما عنى به الأئمة فى القرآن» ، وفيه، لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين كما سمي من قبلنا[5].

---

(١) راجع اتجاه التأليف في تلك الفترة ص ٨٢- ٨٣ من كتاب المعالم الجديدة للأصول.

(٢) انظر ص ١٥- ١٧. (٣) انظر ص ٢١.

(٤) انظر ص ٢٢. (٥) انظر ص ٢٢، ٢٣.

ويقول البحراني

وأما ما هو على خلاف ما أنزل الله فهو قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾... وأما ما هو محرف منه قوله: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ فِي عَلِيٍّ﴾ كذانزلت(١).

وأما ما تأويله بعد تنزيله: فالأمور التي حدثت في عصر النبي ﷺ، وبعده، في غصب آل محمد ﷺ حقهم، وما وعدهم الله تعالى من النصرة على أعدائهم، وما أخبر الله سبحانه به نبيه من أخبار القائم وخروجه، وأخبار الرجعة(٢).

وأما ما هو مخاطبة لقوم ومعناه لقوم آخرين فقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ أنتم يا معشر أمة محمد(٣).

وأما الرد على من أنكر الرجعة فقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾(٤).

ومن هذا يتضح منهج هذا البحراني، ونزيد لك بيانًا بشيء مما جاء في تفسيره للآيات الكريمة.

مما جاء في تفسيره للفاتحة

«غير المغضوب عليهم النصاب، والضالين: الشكاك الذين لا يعرفون الإمام».

ويروي عن أبي جعفر أنه قال: «إن الله عز وجل خلق جبلاً محيطًا بالدنيا، زبر جده خضراء، وإنما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل، وخلق خلفه خلقًا لم يفترض عليهم شيئًا مما افترض علي خلقه من صلاة وزكاة، وكلهم يلعن رجلين من هذه الأمة سماهي».

ويروي عنه أيضًا أنه قال: «من وراء شمسكم هذه أربعون عين شمس، ما بين عين شمس إلي عين شمس أربعون عامًا، فيها خلق كثير، ما يعلمون أن الله تعالى خلق آدم أو لم يخلقه. وإن من وراء قمركم هذا أربعون قرصًا، وبين القرص إلي القرص أربعون عامًا، فيها خلق كثير لا يعلمون أن الله- عز وجل- خلق آدم أو لم يخلقه، قد ألهموا كما ألهمت

---

(١) ص ٣٤، والآية الكريمة التي حرفها هذا المفترى الضال نصها هو ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ (١٦٦: سورة النساء).

(٢) ص ٣٥.

(٣) ص ٣٦، والآية الكريمة المذكورة هي الرابعة من سورة الإسراء.

(٤) ص ٣٧، والآية الكريمة في سورة النمل ٨٣ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

النحلة لعنة الأول والثانى فى كل الأوقات، وقد وكل بهم ملائكة متى لم يلعنوا عذبوا»[١].

وفى أول سورة البقرة يذكر ما رأيناه من قبل فى تفسير الصافى فيقول: «كتاب على لا ريب فيه»[٢].

وهكذا نرى من هذه الأمثلة القليلة[٣] أن هذا التفسير كسابقه يسير فى طريق الضلال، ويعتبر امتداداً للحركة التي منى بها القرن الثالث، ويمثل جانب الغلو والتطرف.

ثالثاً: بحار الأنوار

وممن عاصر صاحبى الصافى والبرهان المولى محمد باقر المجلسى، المتوفى سنة ١١١١، وهو من أشهر علماء الجعفرية، وله مكانته عندهم. وللمجلسى موسوعته الكبرى «بحار الأنوار»، تحدث فيها عن أشياء كثيرة، يعنينا منها هنا ما يتصل بكتاب الله تعالى، وأثر الإمامة فيه والمجلسى لم يؤلف بحاره للتفسير، وإنما لخدمة المذهب الجعفرى الاثنى عشرى، فالحديث عن القرآن الكريم جاء من هذا الباب. وقد جعل كتاباً للإمام تحته مئات الأبواب، ضمتها مجموعة من أجزاء البحار. ومن هذه الأبواب «أبواب الآيات النازلة فيهم»: أى فى الأئمة كما يزعم، وهى تقع فى أكثر من ستمائة صفحة فى جزأين[٤]. ومنها كذلك «أبواب الآيات النازلة في شأنه ﷺ الدالة على فضله وإمامته»، أى فى شأن الأمام على، وهى تقع فيما يقرب من أربعمائة وخمسين صفحة فى جزأين كذلك[٥].

ويكفي أن نذكر عناوين بعض هذه الأبواب ليظهر مدى غلو هذا الضال، فمن أبوابه:

باب أنهم – أى الأئمة – آيات الله وبيناته وكتابه[٦]، وأن الأمانة فى القرآن الإمامة[٧]. وأنهم أنوار الله تعالى وتأويل آيات النور فيهم[٨]، وتأويل المؤمنين والإيمان والمسلمين

---

(١) انظر ص٤٧، ولاحظ بها أخباراً أخرى متشابهة. ويقصد هذا الضال الأول والثانى خير الناس بعد الرسول ﷺ، الخليفتين الراشدين أبا بكر وعمر.

(٢) انظر ص٥٣.

(٣) راجع أيضاً الخبر، الذي نقلناه من تفسير الميزان نقلاً عن هذا التفسير ص٢٦٠.

(٤) الجزءان: ج٢٣ من ص١٦٧ إلى آخر الجزء ص٣٩٣، وج ٢٤ كله وعدد صفحاته ٤٠٢.

(٥) ج٣٥ من ص١٨٣ إلى آخر الجزء ص٤٣٦، وج٣٦ من أوله إلى ص١٩٢.

(٦) باب ١١ ج٢٣ ص٢٠٦– ٢١١.

(٧) باب ١٦ ج٢٣ ص٢٧٣– ٢٨٣.

(٨) باب ١٨ ج٣ ص ٢٠٤– ٢٠٥.

والإسلام بهم وبولايتهم... والكافر والمشركين والكفر والشرك والجبت والطاغوت واللات والعزى والأصنام بأعدائهم ومخالفيهم[1]، وأنهم خير أمة وخير أئمة أخرجت للناس[2]، وأنهم جنب الله ووجه الله ويد الله وأمثالها[3]، وأنه- أى الإمام عليًا- المؤمن والإيمان والدين والإسلام والبينة والسلام وخير البرية فى القرآن الكريم... وأعداؤه «الكفر والفسوق والعصيان»[4]، وأنه أنزل فيه- صلوات الله عليه- الذكر والنور والهدى والتقى فى القرآن[5]، وأنه النبأ العظيم والآية الكبرى[6].

والمجلسي ينقل عن التفاسير الثلاثة الضالة التي ظهرت فى القرن الثالث الهجرى، وعن غيرهما من كتب غلاة الشيعة، ولكنه لا يكتفى بالنقل، وإنما كثيرًا ما يذكر رأيه سواء فى هذه الأجزاء أو فى غيرها من كتابة البحار.

وإذا كان تأليف الأبواب على هذه الصورة يدل على فساد عقيدته التى تنزل به إلى درك الغلاة، فإن ذكر الآراء يكشف عن حقيقته، بوضوح يمنع المماحكة وخلق الأعذار، وهاك بعض ما جاء في كتابه.

نقل عن الكافى ثلاث روايات عن الإمام أبى جعفر قال: نزل جبريل بهذه الآية على محمد ﷺ: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ فى على عليه السلام ﴿ بَغْيًا ﴾.

وقال: نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية على محمد ﷺ هكذا:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ .

وقال: نزل بهذه الآية هكذا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ فى على عليه السلام ﴿ نُورًا مُّبِينًا ﴾.

وبعد هذه الروايات قال المجلسي[7]:

بيان: قوله: «على عبدنا فى على ع» لعله كان شكهم فيما يتلوه ﷺ فى شأن على «ع»، فرد الله عليهم بأن القرآن معجزة، ولا يمكن أن تكون من عند غيره.. وأما الآية الثالثة

---

(١) باب ٢١ ج٢٣ ص٣٥٤- ٣٩٠.

(٢) باب ٤٦ ج٢٤ ص١٥٣- ١٥٨.

(٣) باب ٥٣ج٢٤ ص١٩١- ٢٠٣.

(٤) باب ١٣ ج٣٥ ص٣٣٦- ٣٥٢.

(٥) باب ٢٠ ج٣٥ ص٣٩٤- ٤٠٧.

(٦) باب ٢٥ ج٣٦ ص١- ٤.

(٧) انظر الروايات وبيانه فى ج٢٣ ص ٣٧٢- ٣٧٣، ويظهر من السند المذكور أن الكليني- صاحب الكافي- نقل هذه الروايات الثلاث عن شيخه على بن إبراهيم القمي. =

فصدرها في أوائل سورة النساء هكذا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ وآخرها في آخر تلك السورة هكذا:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾، ولعله سقط من الخبر شيء، وكان اسمه «ع» في الموضعين، فسقط آخر الأولى وأول الثانية من البين، أو كان في مصحفهم عليهم السلام إحدى الآيتين كذلك، ولا يتوهم أن قوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ في الأولى ينافي ذلك، إذ يمكن ان يكون على هذا الوجه أيضًا الخطاب إلى أهل الكتاب، فإنهم كانوا مبغضين لعلي «ع» لكثرة ما قتل منهم، وكان اسمه «ع» مثبتًا عندهم في كتبهم كاسم النبي ﷺ، وكذا قوله ﴿ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾، وإن احتمل أن يكون المراد بالكتاب القرآن.

وذكر المجلسي بعد هذا روايات أخري عن الكافي أيضًا فيها آيات محرفة كذلك، وقال عن التحريف في بعضها:

«يحتمل التنزيل والتأويل»، واحتمل في موضع آخر وجود الآيات المحرفة في مصحف خاص بأئمتهم كما ذكر من قبل[1]. ثم أورد المجلسي ثلاث روايات من الكافي عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق هي[2]:

عنه في قول الله عز وجل: ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم ﴾ قال: نزلت في فلان وفلان وفلان: آمنوا بالنبي ﷺ في أول الأمر، وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين رضي الله عنه، ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرًا بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء.

وعنه في قول الله تعالى «٢٥: محمد»: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا

= والتحريف الأول في الآية ٩٠ من سورة البقرة ، والثاني في الآية ٢٣ من السور ذاتها.

أما الرواية الثالثة فإنها أخذت صدر الآية ٤٧ من سورة النساء مع وضع كلمة «أنزلنا» بدلاً من «نزلنا» ثم وضع التحريف، ثم كان الختام هو عجز الآية ١٧٤ من نفس السورة! ومع هذا فالقمي والكليني والمجلسي من علماء الشيعة الاثنى عشرية الأعلام!! المعتدلون منهم والمتطرفون على السواء، يثنون على الثلاثة كل الثناء! حتي دعاة التقريب! ما وجدنا أحدًا منهم يقول في الثلاثة إلاّ ما قاله شيعتهم! فكيف يكون التقريب؟ أنؤمن بهذا الكفر ونتبع هؤلاء الضالين؟!

(١) انظر ٢٣/ ٣٧٤. (٢) راجعها في ٢٣/ ٢٧٥- ٢٧٦.

﴿ تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ فلان وفلان وفلان، ارتدوا عن الإيمان فى ترك ولاية أمير المؤمنين ﷺ، قلت: قوله تعالى «٢٦: محمد».

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ﴾ قال: نزلت والله فيهما وفى أتباعهما، وهو قول الله عز وجل الذى نزل به جبرائيل «ع» على محمد ﷺ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ ﴾ فى على ﷺ ﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ﴾ قال: دعوا بنى أمية إلى ميثاقهم ألا يصيروا الأمر فينا بعد النبى ﷺ، ولا يعطونا من الخمس شيئًا، وقالوا: إن أعطيناهم إياه لم يحتاجوا إلي شىء، ولا يبالوا ألاَّ يكون الأمر فيهم، فقالوا: سنطيعكم فى بعض الأمر الذى دعوتمونا إليه، وهو الخمس ألا نعطيهم منه شيئًا، وقوله «كرهوا ما نزل الله» والذي نزل الله ما افترض على خلقه من ولاية أمير المؤمنين ﷺ، وكان معهم أبو عبيدة، وكان كاتبهم، فأنزل الله: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ «٧٩: ٨٠ الزخرف».

والرواية الثالثة أنه قال فى قوله تعالى «٢٥: الحج»: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾، نزلت فيهم: حيث دخلوا الكعبة، فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم، وجحودهم بما نزل فى أمير المؤمنين ﷺ، فألحدوا فى البيت بظلمهم الرسول ووليه، فبعدًا للقوم الظالمين.

وبعد هذا الرواية قال المجلسى

بيان: قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أقول: الآية فى سورة النساء[1] هكذا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً ﴾، وفى سورة آل عمران[2] هكذا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾، ولعله ﷺ- ضم جزءًا من إحدى الآيتين إلي جزء من الأخرى لبيان اتحاد مفادها، ويحتمل أن يكون فى مصحفهم «ع» هكذا، والظاهر أن المراد بالإيمان فى الموضعين الإقرار باللسان فقط، وبالكفر الإنكار باللسان أيضًا، كما صرح به فى تفسير على بن إبراهيم.

قوله ﷺ: بأخذهم من بايعه بالبيعة: لعل المراد بالموصول أمير المؤمنين ﷺ، والمستتر من قوله: بايعه راجع إلي أبي بكر، والبارز إلي الموصول، ويحتمل أن يكون المستتر راجعًا إلى الموصول، والبارز إليه ﷺ، أى أخذوا الذين بايعوا أمير المؤمنين ﷺ

(١) الآية ١٣٧.

(٢) الآية التسعين.

يوم الغدير بالبيعة لأبى بكر، ولعله أظهر.

قوله: فلان وفلان وفلان: هذه الكنايات يحتمل وجهين: الأول أن يكون المراد بها بعض بنى أمية كعثمان وأبي سفيان ومعاوية، فالمراد بالذين كرهوا ما نزل الله أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، إذ ظاهر السياق أن فاعل «قالوا» الضمير الراجع إلي «الذين ارتدوا» والثانى أن يكون المراد بالكنايات أبا بكر وعمر وأبا عبيدة، وضمير «قالوا» راجعًا إلى بنى أمية بقرينة كانت عند النزول، والمراد بالذين كرهوا الذين ارتدوا، فيكون من قبيل وضع المظهر فى موضع المضمر. نزلت والله فيهما: أى فى أبى بكر وعمر، وهو تفسير للذين كرهوا. وقوله: وهو قول الله: تفسير لما نزل الله، وضمير «دعوا» راجع إليهما وأتباعهما، «وقالوا» أى هما وأتباعهما.

قوله، فى بعض الأمر: لعلهم لم يجترئوا أن يبايعوهم فى منع الولاية فبايعوهم فى منع الخمس، ثم أطاعوهم فى الأمرين جميعًا، ولا يبعد أن تكون كلمة «فى» على هذا التأويل تعليلية، أى نطيعكم بسبب الخمس لتعطونا منه شيئًا. وقوله: «كرهوا ما نزل الله» إعادة للكلام السابق لبيان أن ما نزل الله فى على عليه السلام هو الولاية، إذ لم يظهر ذلك مما سبق صريحًا، ولعله زيدت الواو فى قوله: «والذى» من النساخ، وقيل: قوله مرفوع على قول الله من قبيل عطف التفسير، فإنه لا تصريح فى المعطوف عليه، بأن النازل فيهما فى أتباعهما كرهوا أم قالوا[1].

وبعد أن انتهى المجلسى من بيانه السابق ذكر عشرات الروايات التي تحمل التحريف لكتاب الله تعالى، والتكفير لمن رضى الله عنهم ورضوا عنه من الصحابة الكرام البررة، ثم قال:

اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده «ع» وفضل عليهم غيرهم، يدل على أنهم كفار مخلدون فى النار[2]. ثم ما أورد ما يؤيد به رأيه، فقال: «قال الشيخ المفيد قدس الله روحه- فى كتاب المسائل: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة، فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار، وقال فى موضع آخر: اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم،

---

(١) ٢٣/ ٣٧٦- ٣٧٨.

(٢) ٢٣/ ٣٩٠، وفى موضع آخر عقد المجلسى بابًا كاملاً أسماه «باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم» ويعنى بالثلاثة الخلفاء الراشدين!! (انظر كتابة ٨/ ٢٠٨ إلي ٣٥٢ طبع حجر».

وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا من بدعهم، وصاروا إلي الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على ذلك فهو من أهل النار».

ومن هذا نري أن كتاب بحار الأنوار للمجلسى يعتبر امتدادًا لحركة التضليل والتشكيك فى كتاب الله العزيز، ويمثل جانب الغلو والتطرف عند الجعفرية الاثنى عشرية(١).

رابعًا: تأويل الآيات الباهرة

والمجلسى ليس أول من عنى بجمع الآيات التى أجرم الضالون من طائفته بتحريفها فى اللفظ أو المعنى، فمن قبله مثلاً شرف الدين بن على النجفى الذى ألف كتابًا أسماه «تأويل الآيات الباهرة فى فضل العترة الطاهرة»، ونقل المجلسى عنه بعض رواياته(٢).

والكتاب لا يجمع الآيات تحت أبواب- كما فعل المجلسى، وإنما يسير بترتيب السور الكريمة.

وفى ذكره لبعض آيات سورة البقرة يجمع أكثر ما جاء به من التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكرى. والتحريف فى النص يكثر نقله عن القمى، وتلميذه الكلينى.

ولسنا فى حاجة لذكر أمثلة، فالكتاب كله صوره واضحة لهذا الضلال والإضلال(٣).

وسيأتى ذكر لكثير من كتبهم مثل هذا الكتاب.

خامسًا: تفسير شبر

ويبدو أن حركة التضليل والتشكيك كانت أقوى من الحركة المضادة، ذلك أن الكتب الضالة التي ظهرت فى القرن الثالث منها كتاب ينتسب إلي إمام، وآخر لمفسر يوثقونه كل توثيق، أحد تلاميذه هو الكلينى، صاحب كتاب الحديث الأول عند الجعفرية، وقد نقل عن

(١) الشيخ محمد جواد عالم شيعي معاصر، له مؤلفاته في فقه المذاهب الخمسة، حيث اعتبر المذهب الجعفري مذهبًا خامسًا، ونرى شيئًا من الاعتدال في كثير من مؤلفاته. أشار هذا العالم إلي بعض «المؤلفات الشيعية التي بحثت التراث الإسلامي والديني والسياسي على أساس العلم، ونطقت بالصدق وكلمة «الحق» هكذا قال بالنص، ومن تلك المؤلفات بحار الأنوار للمجلسي!! ترى: أيدرى ما فى البحار أم لا يدرى؟! «انظر فضائل الإمام على ص٢٤٧».

(٢) انظر مثلاً بحار الأنوار ٢٣/ ١٦٨.

(٣) الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨ مواعظ شيعة، ومصور بمكتبة جامعة الدول العربية تحت رقم ٩٧ تاريخ.

شيخه القمى مئات الروايات فى التحريف والتكفير وغير ذلك، والثالث للعياشى وهو فى مكانة القمى عندهم، ولهذا ما وجدت أو قرأت من كتاب من كتب التفسير الجعفرى يصل إلى كتاب التبيان للطوسى فى اعتداله النسبى أو قلة غلوه[1]. ولكن ظهر بعد التفاسير التى لم ترتفع إلى هذا المستوى، ولم تنزل إلى ذلك الدرك الأسفل. ومن هذه الكتب تفسير القرآن الكريم للسيد عبد الله شبر[2].

ولنتبين أهم آثار الإمامة فى هذا التفسير ومدى غلوه نعرض ما يأتى:

أولاً

بالنسبة للقول بتحريف القرآن الكريم أو عدم تحريفه لم أجد لشبر نصًا صريحًا، ولكن يبدو أنه يميل إلى القول بالتحريف، ويظهر هذا الترجيح مما يكثر منه على أنه من القراءات، ومن هذه القراءات.

فى سورة آل عمران الآيات ١٠٢، ١٠٤، ١١٠، فالآية الأولى هى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ولكن شبرًا يذكر أنها قرئت «تقية» و «مسلّمون» وواضح أن تحريف التقوى بالتقية لتأييد مبدأ من مبادىء الجعفرية، وأما الكلمة الأخرى فيقول عنها شبر «وقرئ بالتشديد أى منقادون للرسول ثم للإمام من بعده»[3].

والآية الثانية: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ يبدل كلمة «أمة» بأئمة[4] أى أئمة الجعفرية.

وكذلك فعل فى الآية الثالثة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ فيقول: «هم آل محمد عليهم السلام، وقرئ كنتم خير أئمة»[5].

وفى سورة الحجر «الآية ٤١»: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ يبدل الجار والمجرور باسم الإمام على فيقول «صراط على بالإضافة»[6].

---

(١) ربما ظهر شىء فى السنوات الأخيرة لا علم لى به، وسيأتى الحديث عن التفسير الكاشف لمغنيه، وتفسير البيان لمرجعهم الحالى بالعراق.

(٢) توفى سنة ١٢٤٢هـ. (٣) تفسير شبر ص ٩٦.

(٤) انظر تفسيره ص٩٦. (٥) ص ٩٧. (٦) تفسيره ص ٢٦٤.

وفى سورة الحج «الآية: ٥٢»: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُول وَلا نَبيٍّ إلاَّ إذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِه ﴾ يقول شبر: وعنهم أى أئمته أو محدث بفتح الدال، هو الإمام يسمع الصوت ولا يرى الملك(١). وغير هذا كثير(٢).

ومما يرجع كذلك انضمام شبر إلى القائلين بالتحريف، موقفه من الآية التاسعة من سورة الحجر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ حيث أولها بقوله: «وإنا له لحافظون عند أهل الذكر واحدًا بعد واحد إلى القائم أو فى اللوح.... وقيل الضمير للنبى»(٣).

ثانيًا

نجد شبرًا ممن يطعن فى الصحابة الأبرار، وأمهات المؤمنين الطاهرات: فمثلاً أيات سورة النور التى تحدثت عن الإفك لتبرئة أم المؤمنين عائشة- رضى الله عنها، نرى شبرًا يجعل فيها اتهامًا لمن برأها الله تعالى فيقول: ﴿ والَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ ﴾ تحمل معظمه ﴿ مِنْهُمْ ﴾ من الآفكين ﴿ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ فى الأخرة. أو فى الدنيا بجلدهم، نزلت فى مارية القبطية وما رمتها به عائشة من أنها حملت بإبراهيم من جريج القبطى، وقيل فى عائشة(٤).

وفى سورة التوبة «الآية ٤٠»: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . . . ﴾ يعز على شبر أن ينزل من السماء تكريم لأبى بكر الصديق- رضى الله تعالى عنه- ولا يكتفى بنفى هذا التكريم، بل يفترى على الله تعالى مرة أخرى، ويجعل من الآية الكريمة تمامًا لأفضل المسلمين بعد رسول الله ﷺ ، ولذلك يقول: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ ولا مدح فيه إذ قد يصحب المؤمن الكافر كما: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾(٥) ﴿ لا تَحْزَنْ ﴾: فإنه خاف على نفسه، وقبض واضطرب حتى كاد أن يدل عليهما، فنهاه عن ذلك ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾

(١) ص ٣٢٨، ومعنى هذا التحريف أن الإمام مرسل بوحى إليه!

(٢) راجع مثلاً ص ١٤٦، ٢١٢، ٣٥٣، ٤٢٥.

(٣) قال الأستاذ محمد حسين الذهبى رحمه الله: «نجد بشرًا يعتقد بأن القرآن بدل وحرف، ولما اصطدم بقوله تعالى فى الآية التاسعة من سورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ نجده يتفادى هذا الاصطدام بالتأويل «ثم نقله للاية الكريمة. «انظر التفسير والمفسرون ٢/ ١٩١».

(٤) ص٢٣٨، وراجع ما ذكرناه عن الإفك الذى جاء به القمى ص١٩٠.

(٥) الكهف: ٣٧.

عالم بنان ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ ﴾ طمأنينة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على الرسول، وفى إفراده بها ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفى(١).

ثالثا

نجد شبراً يغالى فى أئمته، ويخضع القرآن الكريم لهذا الغلو، فيضيف إلى التحريف فى النص تحريفًا فى المعنى. انظر مثلاً تأويله لسورة القدر حيث يقول: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾: جبرائيل أو خلق أعظم من الملائكة ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ يأمره كل سنة إلى النبى وبعده إلى أوصيائه، ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾: بكل أمر قدر فى تلك السنة أو من أجله، ﴿ سَلامٌ هِيَ ﴾: قدم الخبر للحصر أى ما هى إلاَّ سلامة أو سلام؛ لكثرة سلام الملائكة فيها على ولى الأمر(٢).

وفى سورة المعارج، بعد أن ذكر أنها مكية، يقول:

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾: دعا داع، ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾: نزلت لما قال بعض المنافقين يوم الغدير: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فرماه اللَّه فقتله(٣).

---

(١) ص ٢٠٤ ومن الواضح البين أن صحبة الكافر غير صحبة الصاحب المختار، فالاتهام هذا اتهام لمن اختاره صاحبًا. ومن الواضح البين كذلك أن أى مؤمن يقل إيمانه عن الصديق بدرجات ودرجات يدرك أن موته يعنى موت رجل، وأن موت الرسول الكريم يعنى موت رسالة، وما أكثر الذين ضحوا فى سبيل الرسالة والرسول! فكيف يخاف الصديق على نفسه ولا يخاف على من أرسل رحمة للعالمين! وخوف أبى بكر– رضى اللَّه عنه– على الرسول الأكرم كان ظاهرًا عندما سبقه إلى الغار ليستبرئه، وعندما كان يتقدمه ويتأخر عنه.. إلخ– أما ذكر إنزال السكينة عليه وليس عليهما فيكفى أن نذكر ما قاله أحد علمائهم عند قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة:٣٧].

قال الطبرسى: إنما قال: «فتاب عليه» ولم يقل عليهما لأنه اختصر وحذف للإيجاز والتغليب، كقوله سبحانه وتعالى: «التوبة: ٦٢»: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ ومعناه أن يرضوهما، وقوله: «آخر الجمعة»: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ وكقول الشاعر:

رمانى بأمر كنت منه ووالدى ... بريا ومن حول الطوى رمانى

وقال الآخر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأى مختلف

فكذلك معنى الآية: فتاب عليهما. «مجمع البيان ١/٨٩، وراجع نقض ابن تيمية لما ذهب إليه أمثال شبر فى ص ٥٥٧ من المنتقى».

(٢) ص ٥٦٢.　　(٣) ص ٥٣١.

وفى الآية الثامنة من سورة هود يقول:

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾: أوقات قليلة، قال الصادق عليه السلام: هى أصحاب المهدى عدة أصحاب أهل بدر[1].

هذا بعض ما جاء فى تفسير شبر، وأظنه يكفى لبيان أثر الإمامة فيه، وهو وإن كان فى منزلة بين المنزلتين، إلا أنه إلى الغلو أقرب، وعن الاعتدال أكثر بعدًا.

سادسًا: كنز العرفان

وبعد الانتهاء من النظر فى تلك الكتب نأتى إلى لون آخر من التفاسير، وهى تختص بآيات الأحكام فقط، رجعت إلى كتابين أحدهما يمثل جانب الاعتدال النسبى، والآخر سار فى طريق الغلاة.

الكتاب الأول: هو «كنز العرفان فى فقه القرآن»، لمقداد بن عبد الله السيورى الحلى[2]، والكتاب ينتصر للأحكام التى استقر عليها رأى الشيعة الجعفرية، مخالفين بها كل المذاهب أو بعضها، فمثلاً عند قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاة فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾[3]، نراه يقف طويلاً عند عجز الآية، محاولاً إثبات أن الواجب مسح الرجلين لا غسلهما[4].

وعند قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[5]، حاول أن يثبت وجوب رد السلام فى أثناء الصلاة[6].

والانتصار للفقه الشيعى الجعفرى من باحث جعفرى أمر متوقع، بل لا ينتظر غيره، ولكنه ينتهى أحيانًا إلى آراء الإمامية يبدو فيها واضحًا، ومن أمثلة هذه الآراء ما يأتى:

عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[7] ينتهى إلى أن فى الآية أحكامًا هى:

---

(١) ص ٢٢٨.

(٢) عاش إلى أوائل القرن التاسع الهجرى.

(٣) سورة المائدة: ٦.

(٤) انظر ص ٩، ١٠.

(٥) سورة النساء: ٨٦.

(٦) انظر ص ٧٠- ٧١.

(٧) التوبة: ٢٨.

أن المشركين أنجاس نجاسة عينية لا حكمية، وأن آثارهم وكل ما باشروه برطوبة نجس أيضًا، وأنه لا يجوز دخولهم المسجد الحرام، وكذا باقى المساجد لنصوص الأئمة. ثم يقول: «لا فرق بينهم وبين الكفار عندنا فى جميع ما تقدم للإجماع المركب، فإن كل من قال بنجاستهم عينًا قال بنجاسة كل كافر، ولأن أهل الذمة مشركون»(١). وبالبحث عن باقى الكفار عندهم نجد أن الجعفرية توسعوا فى مفهوم الكفر فحكموا بكفر كثير من المسلمين، حتى أن بعضهم اعتبر غير الجعفرى كافرًا مشركًا(٢).

وفى قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣): يذكر مشروعية الصلاة على الآل تبعًا للنبى ﷺ، وجواز الصلاة عليهم «لا تبعًا له بل إفرادًا كقولنا اللهم صلى على آل محمد، بل الواحد منهم لا غير»، وأن الصلاة عليهم واجبة فى الصلاة، ومستحبة فى غيرها، ثم يقول: «والذين يجب الصلاة عليهم فى الصلاة، هم الأئمة المعصومون لإطباق الأصحاب على أنهم هم الآل، ولأن الأمر بذاك مشعر بغاية التعظيم المطلق الذى لا يستوجبه إلاَّ المعصومون، وأما فاطمة عليها السلام فتدخل أيضًا لأنها بضعة منه ﷺ».

ويذكر كذلك أن أئمته هم القائمون مقام الرسول ﷺ، وأن مقام إمامتهم اغتصب(٤).

وفى قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٥).

ينتهى إلى أحكام منها قوله: «وجوب القصر، وإن كان عامًا لظاهر الآية، لكنه عندنا مخصوص بما عدا المواضع الأربعة: مسجد مكة، والمدينة، وجامع الكوفة، والحاير الشريف، وعليه إجماع أكثر الأصحاب، لأن الإتمام فيها أفضل، لكونها مواضع شريفة تناسب التكثير من العبادة فيها»(٦).

(١) انظر ص: ٢١– ٢٢.

(٢) انظر حكم سؤر الآدمى فى الجزء الرابع من هذه الموسوعة، وراجع كذلك آراء من سبق الحديث عنهم من غلاة مفسريهم، وانظر ما كتبناه عن أصول الكافى وروضته فى الجزء التالى.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦. (٤) انظر كتابه ص٥٨– ٦١.

(٥) النساء: الآية ١٠١.

(٦) ص ٨٨، وجامع الكوفة فيه محراب أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وفيه ضربه بالسيف الشقى اللعين عبد الرحمن بن ملجم. «راجع ما كتب عن المسجد ونظرة الشيعة فيه الجز الرابع». والمسجد الرابع هو الحاير الحسينى بكربلاء.

سابعًا: زبدة البيان

ذلك هو الكتاب الأول، أما الكتاب الثانى فهو «زبدة البيان فى أحكام القرآن»، لأحمد بن محمد الشهير بالمقدسى الأردبيلى[1] ولنتبين مدى غلوه، وأثر الإمامة فيه نعرض ما يأتى: –

فى كتاب الطهارة ذكر أن الإيمان المطلق عند الجعفرية يدخل فيه التصديق والإقرار «بالولاية والإمامة والوصاية لأهل البيت (ع) بخصوص كل واحد واحد»[2].

ثم قال: فلنشر إلى ما يدل على كون أمير المؤمنين «ع» إمامًا، وهو غير محصور، ونقتصر على نبذ منه. منه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

ومما قاله فى الآية الكريمة: «ظاهر أنها فى أمير المؤمنين وأصحابه الذين ارتدوا بعده من الخوارج، ومحاربيه يوم الجمل وصفين وغيره».

واستمر لبيان أنها فيه، واستدل بأحاديث لا تصلح للاستدلال هنا، وبأخرى موضوعة، إلى أن قال: وبالجملة الأوصاف كلها موجودة فيه، ويؤيد كونها فيه قوله تعالى متصلاً بالآية المذكورة:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ مع إجماع المفسرين على أنها فى شأنه ﷺ[4].

وفى كتاب الصلاة عاد الأردبيلى للحديث عن الآية الخامسة والخمسين من سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليستدل بها على إمامة أمير المؤمنين، والأئمة الأحد عشر من ولده الذين تصدقوا فى حال ركوعهم كذلك[5].

وفى كتاب الطهارة ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[6]، واستدل بها على وجوب عصمة الأئمة[7].

---

(١) توفى سنة ٩٩٣هـ. (٢) ص ١٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

(٤) انظر الكتاب ص١٠– ١٤، وراجع ما كتبته عن آية الولاية فى الجزء الأول.

(٥) انظر ص ١٠٧– ١١٠. (٦) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٧) انظر ٤٧– ٤٨.

وفى كتاب النكاح: ذكر أول سورة التحريم، وتحدث عن أسباب النزول، ثم قال: «وفى السبب شىء عظيم لحفصة، ولعائشة أعظم، حيث كذبت وغدرت وفتنت، وأمرت بهذه المناكير، وحصل الأذى للنبى ﷺ بذلك[1].

واستدلالاً بالآية الخامسة: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ قال: «وبالجملة هذه تدل على عدم اتصافها بهذه الصفات، واتصاف غيرهما بها[2].

وبعد ذلك تحدث عن ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط، ثم قال: «ولعل فيه تسلية للنبى وغيره من المؤمنين، بأنه لا يستبعد حصول امرأة غير صالحة للنبى وغيره، ودخولها النار، مع كون جسدها مباشرًا لجسده، ووجود الزوجية، وهى صريحة فى ذلك، والمقصود واضح فافهم. وكذا رجاء من يتقرب بتزويجه وزوجيته ﷺ، ولهذا كانت أم حبيبة بنت أبى سفيان أخت معاوية أيضًا عنده ﷺ، وهى أحدى زوجاته، وأبوها كان أكبر رءوس الكفار، وصاحب حروبه ﷺ وأخرى صفية بنت حيى بنْ أخطب بعد أن أعتقها، وقد قتل أبوها على الكفر، وأخرى سودة بنت زمعة، وكان أبوها مشركًا ومات عليه، وقيل: قد زوج رسول الله ﷺ ابنتيه قبل البعثة بكافرين يعبدان الأصنام»[3].

بعد هذا لسنا فى حاجة إلى ذكر المزيد لبيان أن هذا الكتاب يمثل جانب الغلو والتطرف والضلال.

---

(1) ص ٥٦٥. (2) ص: ٥٧١.

(3) ص ٥٧٥، وجاء فى الحاشية: «قيل هما رقية وزينب كانتا بنتى هالة أخت خديجة، ولما مات أبوهما ربيتا فى حجر رسول الله ﷺ، فنسبتا إليه كما كانت عادة العرب فى نسبة المربى إلى المربى. وهما اللتان تزوجهما عثمان بعد موت زوجيهما».

وفى كتاب منهاج الشريعة، الذى ألفه محمد مهدى للرد على منهاج السنة النبوية لابن تيمية، جاء الحديث عن أختى الزهراء- رضى الله عليهن- فى أكثر من موضع، ومما قاله: «ما زعمه- أى ابن تيمية- من أن تزويج بنتيه لعثمان فضيلة له من عجائبه من حيث ثبوت المنازعة فى أنهما بنتاه «٢/٢٨٩».

وقال: لم يرد شىء من الفضل فى حق من زعموهن شقيقاتا بحيث يميزن به ولو عن بعض النسوة «٢/٢٩٠».

وقال: قد عرفت عدم ثبوت أنهما بنتا خير الرسل ﷺ ، وعدم وجود فضل لهما تستحقان به الشرف والتقدم على غيرهما (٢/٢٩١).

ولا أدرى كيف يستطيع من يهاجم بنات النبى ﷺ أن يزعم أنه محب لآل البيت؟ وكيف يقبل إخواننا الشيعة وجود أمثال هؤلاء بينهم؟

ثامنًا: الميزان

بعد الحديث عن كتب للجعفرية الاثنى عشرية ظهرت فى القرون السابقة أرى أن ننظر فيما كتب علماؤهم المعاصرون، لنرى إلى أى مدى لا يزال التأثر بعقيدة الإمامة فى تناولهم لكتاب الله العزيز.

ومن أكثر الكتب انتشارًا وشهرة، ولها مكانتها عند شيعة اليوم كتاب «الميزان فى تفسير القرآن»: للسيد محمد حسين الطباطبائى[1]. وأهم آثار الإمامة فى هذا الكتاب تبدو فيما يأتى:-

أولاً

عندما ينتصر لعقيدته فى الإمامة، أو لشىء متصل بها، يقف من التحريف موقفًا غير حميد، ففى الحديث عن آية التطهير سبق أن أوردت قوله الذى يفيد احتمال وضع الصحابة للآيات فى غير موضعها حيث قال «١٦/ ٣٣٠»: «الآية لم تكن بحسب النزول جزءًا من آيات نساء النبى، ولا متصلة بها، وإنما وضعت بينها: إما بأمر من النبى ﷺ، أو عند التأليف بعد الرحلة»[2].

وعند الحديث عن موقف شبر من التحريف ذكرت ما نسبه لأئمته من زيادة كلمة «أو محدث» بعد قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ﴾، وذكرت كذلك تفسير شبر للمحدث بأنه الإمام يسمع الصوت ولا يرى الملك. وصاحب الميزان نراه يقول: «الروايات فى معنى المحدث عن أئمة أهل البيت كثيرة جدًا، رواها فى البصائر والكافى والكنز والاختصاص وغيرها. وتوجد فى روايات أهل السنة أيضًا»[3].

وإذا كان قوله ينحصر فى معنى المحدث، إلاَّ أن روايات أئمته التى أشار إليها تتناول زيادة الكلمة فى الآية الكريمة ومعناها[4].

أما روايات أهل السنة فنجدها فى الصحيحين وغيرها: ففى البخارى «قال رسول

---

(١) سبق ثناؤه على تفسير العياشي- الضال المضل- بدلاً من أن يكفره، مما يبين اتجاه صاحب تفسير الميزان هذا: فلم ينكر تحريفه للقرآن الكريم، ولا تكفيره للصحابة الكرام، ولا غير ذلك من ضلاله الذى بيناه.

(٢) راجع ما كتب عن آية التطهير فى الجزء الأول.

(٣) الميزان ٣/ ٢٤٠.

(٤) انظر الكافى ١/ ١٧٦- ١٧٧ «باب الفرق بين الرسول والنبى والمحدث».

الله ﷺ: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر»[(١)].

وفى مسلم: عن عائشة، عن النبى ﷺ أنه كان يقول: «قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون، فإن يك فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم. قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون»[(٢)].

وفى الترمذى أن الرسول ﷺ أنه قال: «قد كان يكون الأمم محدثون، فإن يك فى أمتى أحد فعمر بن الخطاب» وزاد الترمذى: «قال سفيان بن عيينة: محدثون يعنى مفهمون»[(٣)].

فهذه الروايات إذن ليس فيها تحريف للقرآن الكريم، أو زعم استمرار الوحى وسماع صوته.

وعند قوله: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[(٤)].

روى عن أئمته بأنها إنما نزلت: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجل مسمى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾، ثم يعقب بقول عام يبين رأيه فى هذه الرواية وأمثالها حيث يقول:

«لعل المراد بأمثال هذه الروايات الدلالة على المعنى المراد من الآية دون النزول اللفظى»[(٥)].

فهو إذن لا يجزم بالتحريف أو عدمه، أى أنه فى منزلة بين القمى والطوسى.

ثانيًا

بينا لجوء الطوسى والطبرسى لتأويل بعض آى القرآن الكريم للاستدلال على عقيدة الإمامة، وهنا نجد صاحب الميزان يزيد عنهما غلوًا وافتراء، فمثلاً آية الولاية التى تحدثنا عنها فى الجزء الأول، نرى الطباطبائى يتناولها فى أكثر من عشرين صفحة محاولاً أن يثبت بها الولاية، وضلال من لا يشاركه عقيدته، ويذكر أن عليًا حاج أبا بكر بها فاعترف بأن الولاية لعلى[(٦)].

وعند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[(٧)]. نراه يقول:

---

(٣) انظر كتاب المناقب– باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) انظر كتاب فضائل الصحابة– باب من فضائل عمر.

(٣) راجع أبواب المناقب– باب مناقب عمر.

(٤) سورة النساء الآية ٢٤ك.

(٥) ٤/٣٠٨.

(٦) راجع تفسيره ٦/ ٢: ٢٤.

(٧) سورة النساء: الآية ٥٩.

«على الناس أن يطيعوا الرسول فيما بينه بالوحى، وفيما يراه من الرأى، وأما أولو الأمر منهم- كائنين من كانوا- لا نصيب لهم من الوحى، وإنما شأنهم الرأى الذى يستصوبونه، فلهم افتراض الطاعة نظير ما للرسول فى رأيهم وقولهم، ولذلك لما ذكر وجوب الرد والتسليم لم يذكرهم بل خص اللّه والرسول»[1]. ثم قال: «وبالجملة لما لم يكن لأولى الأمر هؤلاء خيرة فى الشرائع، ولا عندهم إلا ما للّه ورسوله من الحكم- أعنى الكتاب والسنة- لم يذكرهم اللّه سبحانه وتعالى ثانيًا، عند ذكر الرد. فلله تعالى إطاعة واحدة وللرسول وأولى الأمر إطاعة واحدة»[2]. ويبدو الاعتدال هنا فى اختصاص الوحى بالرسول- ﷺ- ولكنه جعل رأى أولى الأمر كرأى الرسول سواء بسواء، وطاعتهم داخلة فى طاعة الرسول، لينتهى من هذا إلى وجوب عصمتهم والنص عليهم، وأنهم هم أئمة الجعفرية! وذكر روايات تؤيد ما ذهب إليه، فأحال كتاب اللّه تعالى إلى كتب من الإمامة عند الجعفرية.

ونكتفى هنا بذكر إحدى رواياته، وتعقيبه عليها، ليتضح مدى الغلو والافتراء، وهاك نص الرواية:

«فى تفسير البرهان عن ابن بابويه، بإسناده عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى. لما أنزل اللّه عز وجل على نبيه محمد- ﷺ-: « ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ » قلت: يا رسول اللّه عرفنا اللّه ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائى يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدى، أولهم على بن أبى طالب، ثم الحسين، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على المعروف فى التوراة بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه منى السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم على بن محمد، ثم الحسين بن على، ثم سمى محمد وكنيى، حجة اللّه فى أرضه، وبغيته فى عباده، ابن الحسن ابن على، ذلك الذى يفتح اللّه تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذى يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن اللّه قلبه بالإيمان.

قال جابر: فقلت له: يا رسول اللّه فهل يقع لشيعته الانتفاع به فى غيبته؟ فقال ﷺ: أى والذى بعثنى بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر اللّه ومخزون علم اللّه فاكتمه إلا

---

(١) ٤/ ٤١٣.

(٢) ٤/ ٤١٤، وانظره إلى ص ٤٣٩.

عن أهله! ثم عقب الطباطبائي بقوله: «وعن النعماني... عن على ما في معنى الرواية السابقة، ورواها على بن إبراهيم بإسناده عن سليم عنه، وهناك روايات أخرى من طرق الشيعة وأهل السنة! ومنها ذكر إمامتهم بأسمائهم، من أراد الوقوف عليها فعليه بالرجوع إلى كتاب ينابيع المودة، وكتاب غاية المرام للبحراني، وغيرهما»[1].

ثالثًا

وهو يتحدث عن منهجه في التفسير، واستدلاله بالروايات قال: «وضعنا في ذيل البيانات متفرقات من أبحاث روائية، نورد فيها ما تيسر لنا إيراده من الروايات المنقولة عن النبي ﷺ، وأئمة أهل البيت عليهم السلام، من طرق العامة والخاصة. وأما الروايات الواردة عن مفسرى الصحابة والتابعين فإنها على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم»[2].

وبالإطلاع على هذه الأبحاث الروائية وجدنا أنه لا يفترق كثيرًا عن القمى والعياشى وأضرابهما، وعنهم أخذ أكثر رواياته، ولنضرب بعض الأمثلة:

من هذه الروايات (أن آدم لما أكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته له، وبإدخاله الجنة، قال: هل خلق الله بشرًا أفضل منى؟ فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه فناداه، ارفع رأسك يا آدم، وانظر إلى ساق العرش، فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبًا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على بن أبى طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ فقال عز وجل: يا آدم، هؤلاء ذريتك، وهم خير منك ومن جميع خلقى، ولولاهم ما خلقتك، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد، فأخرجك عن جوارى، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم، فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التى نهى عنها، وتسلط على حواء فنظرت إلى فاطم بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله تعالى من جنته، وأهبطهما من جواره إلى الأرض».

ثم عقب صاحب الميزان بقوله: «وقد ورد هذا المعنى في عدة روايات، بعضها أبسط من هذه الرواية وأطنب، وبعضها أجمل وأوجز»[3].

---

(١) ٤/٤٣٥- ٤٣٦، وانظر تفسيره إلى ص ٤٣٩ تجد روايات أخرى موضوعة كذلك- لتأييد ما ذهب إليه من عقيدة أثبتنا بطلانها في أكثر من كتاب.

(٢) ١/ ١١- ١٢. (٣) ١/ ١٤٤- ١٤٥.

وروى عن الكلينى فى قوله تعالى «البقرة: ٣٧»: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال: «سأله بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين» وعقب بقوله: «وروى هذا المعنى أيضًا الصدوق والعياشى والقمى وغيرهم»[١].

وروى عن الكلينى أيضًا: إن الله أعز وأمنع من أن يظلم، أو ينسب نفسه إلى الظلم، ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، ثم أنزل بذلك قرآنًا على نبيه فقال: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٢].

وعن الكافى كذلك: «إذا جحدوا ولاية أمير المؤمنين فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[٣].

وعن العياشى أن الإمام الصادق قال: «الذين باءوا بسخط من الله هم الذين جحدوا على وحق الأئمة من أهل البيت، فباءوا بسخط من الله»[٤].

وعنه كذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[٥] عن الإمام الصادق: نحن نعنى بها، والله المستعان، إن الواحد منا إذا صارت إليه لم يكن له أو لم يسعه إلا أن يبين للناس من يكون بعده[٦].

وعن العياش أيضًا أن الرسول ﷺ كان يقول: «لا دين لمن لا تقية له»[٧].

وعن القمى والكافى فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾، رويا أنها نزلت فى ولاية الإمام على[٨].

ومن هذا كله يتضح أثر الإمامة فى هذا التفسير، وهو بلا شك أكثر غلوًا من تفسير الطوسى، بل من الطبرسى، وأبحاثه الروائية نقلها من القمى والعياشى والكلينى وغيرهم، فهو فى هذا لا يكاد يفترق عن باقى الضالين.

---

(١) ١/ ١٤٩.

(٢) ١/ ١٩٣، والآية رقم ٥٧ من سورة البقرة، ١٦٠: الأعراف.

(٣) ١/ ٢١٩. (٤) ٤/ ٧٣.

(٥) البقرة: الآية ١٥٩. (٦) الميزان: ١/ ٣٩٧.

(٧) ٣/ ١٧٤.

(٨) انظر ٩/ ٥٩- ٦٠، والآية الكريمة فى سورة الأنفال: الآية٢٤.

تاسعاً: التفسير الكاشف

إذا كان التبيان للطوسى- كما رأينا- هو أكثر الكتب اعتدالاً أو أقلها غلوًا، فإن عصرنا شهد بعض الكتب فى التفسير الشيعى لا تقل عنه اعتدالاً، ولا تزيد عنه غلوًا. من هذه التفاسير كتابان أحدهما: «التفسير الكاشف» للعالم الجعفرى اللبنانى المشهور: محمد بن جواد مغنية، ومظاهر الاعتدال نراها فيما يأتى:

أولاً: فى بيانه لمنهجه فى التفسير، حيث يقول

اعتمدت- قبل كل شيء- فى تفسير الآية وبيان المراد منها على حديث ثبت فى سنة الرسول ﷺ لأنها ترجمان القرآن، والسبيل إلى معرفة معانيه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ﴾(١).

فإذا لم يكن حديث من السنة اعتمدت ظاهر الآية، وسياقها، لأن المتكلم الحكيم يعتمد فى بيان مراده على ما يفهمه المخاطب من دلالة الظاهر، كما أن المخاطب بدوره يأخذ بهذا الظاهر، حتى يثبت العكس.

وإذا أوردت آية ثانية فى معنى الأولى، وكانت أبين وأوضح، ذكرتهما معًا، لغاية التوضيح، لأن مصدر القرآن واحد، ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض.

وإذا تعارض ظاهر اللفظ مع حكم العقل وبداهته، أولت اللفظ بما يتفق مع العقل باعتباره الدليل والحجة على وجوب العمل بالنقل.

وإذا تعارض ظاهر اللفظ مع إجماع المسلمين فى كل عصر ومصر على مسألة فقهية حملت الظاهر على الإجماع، كقوله تعالى: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾(٢)، حيث دلت «فاكتبوه» على الوجوب، والإجماع قائم على استحباب كتابة الدين، فأحمل الظاهر على الاستحباب دون الوجوب.

أما أقوال المفسرين فلم أتخذ منها حجة قاطعة، ودليلاً مستقلاً، بل مؤيدًا ومرجحًا لأحد الوجوه إذا احتمل اللفظ لأكثر من معنى، فلقد بذل المفسرون جهودًا كبرى للكشف

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) ٢٨٢: سورة البقرة، والآية كتبت فى التفسير الكاشف خطأ حيث سقط منها «إلى أجل مسمى».

عن معانى القرآن وأسراره وإبراز خصائصه وشوارده، وأولوا كتاب الله من العناية ما لم يظفر بمثلها كتاب بمثلها كتاب فى أمة من الأمم قديمها أو حديثها.

وإن فى المفسرين أئمة كبارًا فى شتى علوم القرآن التى كانت الشغل الشاغل للمسلمين فى تاريخهم الطويل، فإذا لم تكن أقوال هؤلاء الأقطاب حجة، كقول المعصوم، فإنها تلقى ضوءًا على المعنى المراد، وتمهد السبيل إلى تفهمه[1].

ثانيًا: فى التزامه بهذا المنهج إلى حد كبير

مثال هذا ما ذكره فى تفسير الفاتحة عند قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال: «جاء فى بعض الروايات أن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى، ولكن لفظ الآية عام لا تخصيص فيه، ولا استثناء، فكل مطيع تشمله نعمة الله ورحمته، وكل عاص ضال ومغضوب عليه»[2].

وعند تفسير الآيات من «١١١ إلى ١١٣» من سورة البقرة، أشار إلى أن اليهود والنصارى يكفر بعضهم بعضًا، ثم وضع عنوانًا نصه: «أيضًا المسلمون يكفر بعضهم بعضًا»، وتحت هذا العنوان قال:

وإذا كان اليهود بحكم الطائفة الواحدة، لأن التوراة تعترف بعيسى، والإنجيل يعترف بموسى، فبالأولى أن تكون السنة والشيعة طائفة واحدة، حقيقة وواقعة: لأن كتابهم واحد، وهو القرآن، لا قرءانان، ونبيهم واحد، وهو محمد، لا محمدان، فكيف إذن يكفر بعض من الفريقين إخوانهم فى الدين؟

ولو نظرنا إلى هذه الآية: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾[3]، ولو نظرنا إليها بالمعنى الذى بيناه، واتفق عليه جميع المفسرين، ثم قسنا من يرمى بالكفر أخاه المسلم- لو نظرنا إلى الآية، وقسنا هذا بمقياسها لكان أسوأ حالاً ألف مرة من اليهود والنصارى.. لقد كفر اليهود والنصارى وكفر النصارى اليهود، ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى التوارة والإنجيل، فكيف بالمسلم يكفر أخاه المسلم، وهو يتلو القرآن؟ فليتق الله الذين يلوون ألسنتهم

(١) ١/ ١٦.

(٢) ١/ ٣٥.

(٣) سور ة البقرة: الآية ١١٣.

بالكتاب، وقلوبهم عمى عن معانيه ومراميه[1].

وفى تفسير سورة الأنفال «الآيات: ٧٢– ٧٥» تحدث عن المهاجرين والأنصار فقال: ما قرأت شيئًا أبلغ من وصف الإمام زين العابدين «ع» للمهاجرين والأنصار وهو يناجى ربه، ويطلب لهم الرحمة والرضوان بقوله:

«اللهم أصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا، وأبلوا البلاء الحسن فى نصره، وكاتفوا وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له، حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد فى إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء فى تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور فى مودته... لا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك... وكانوا مع رسولك لك إليك».

وبعد أن ذكر الشيخ مغنية قول الإمام قال:

ملحوظة: هذه المناجاة جاءت فى الصحيفة السجادية التى تعظمها الشيعة، وتقدس كل حرف منها، وهى رد مفحم لمن قال: إن الشيعة ينالون من مقام الصحابة[2].

وفى تفسير سورة الرعد «الآيات ٣٥: ٣٨» قال تحت عنوان «الشيعة الإمامية والصحابة»: دأب بعض المأجورين والجاهلين على إثارة الفتن والنعرات بين المسلمين لتشتيت وحدتهم وتفريق كلمتهم، دأبوا على ذلك عن طريق الدس والإفتراء على الشيعة الإمامية، وذلك بأن نسبوا إليهم النيل من مقام الصحابة، وتأليه على، والقول بتحريف القرآن الذى يهتز له العرش... وما إلى ذلك من الكذب والبهتان... ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[3] قال الطبرسى: «يريد الله سبحانه أصحاب النبى ﷺ الذين آمنوا به، وصدقوه وأعطوا القرآن، وفرحوا بإنزاله»... ولو كانوا ينالون من مقام الصحابة لاتجه شيخهم الطبرسى فى تفسير هذه الآية إلى غير هذا الوجه[4].

---

(١) ١/ ١٨٠. (٢) ٣/ ٥١٥.

(٣) سورة الرعد: الآية ٣٦.

(٤) ٤/ ٤١٢. نلاحظ على إخواننا الشيعة الذين يتجهون نحو الاعتدال والابتعاد عن الغلو، أنهم يتجاهلون الواقع ويقعون فى التناقض، والصحابة الكرام، رضى الله عنهم ورضوا عنه، لهم مقام معلوم عند الله تعالى، وعند جمهور المسلمين. وما نقله الشيخ مغنية مدحًا فى الصحابة هو عين الحق بلا أدنى ريب، ولكننا نلاحظ أن ما ذكره فى تفسير سورتى الأنفال والرعد كأنما جاء للدفاع عن الشيعة لا الصحابة! فالشيخ مغنية نفسه أثنى على كتاب بحار الأنوار للمجلسى أيما ثناء، ورأينا من =

وفى تفسير سورة التحريم يقول عن الآية الرابعة: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾: أى مالت إلى الحق، ثم يقول مشيرًا إلى حفصة وعائشة من أمهات المؤمنين: فإن تابتا وأصلحتا فقد مال قلباهما إلى أمر اللّه والإخلاص لرسوله، وإن أصرتا على التعاون ضد الرسول فإن اللّه وليه وناصره، وأيضًا يعينه ويؤازره جبريل، وجميع الملائكة والمؤمنين الصالحين[1].

وبعد تفسير سورة الليل يقول: قال الشيخ محمد عبده: روى المفسرون هنا أسبابًا للنزول، وأن الآيات نزلت فى أبى بكر، ومتى وجد شىء من ذلك فى الصحيح لم يمنعا من التصديق به مانع، ولكن معنى الآيات لا يزال عامًا[2].

من هذا نرى أن الشيخ مغنية فى تفسيره يمثل جانب الاعتدال النسبى عند الجعفرية فى المنهج والتطبيق، وبالطبع لا يخلو تفسيره من التأثر بعقيدته فى الإمامة، فعلى سبيل المثال:

نراه ينسب لأمير المؤمنين على بن أبى طالب- ﷺ- أنه قال: «ذاك القرآن الصامت وأنا القرآن الناطق»[3]، وناقشنا هذا من قبل[4].

كما نراه يتحدث عن عصمة أهل البيت[5]، وعن الإمامة وفكرة العصمة[6]، ويتحدث عن المهدى المنتظر فى أكثر من موضع[7]، غير أنه كان يذكر بعض الأحاديث التى صحت

= قبل فى دراستنا لهذا الكتاب أن صاحبه يرى تحريف القرآن الكريم، ويكفر الصحابة وعلى الأخص الخلفاء الراشدين الثلاثة. وأشرت من قبل بعد دراسة تفسير القمى الضال المضل إلى التناقض الذى وقع فيه السيد أبو القاسم الخوئى- مرجع الشيعة السابق بالعراق- حيث ذهب إلى صحة جميع روايات هذا التفسير، والخوئى يقطع بعدم تحريف القرآن الكريم، والقمى يجزم بتحريفه، ويكفر الصحابة ويلعنهم، والكلينى صاحب كتاب الكافى أعظم كتاب عندهم- ذهب مذهب شيخه القمى فى التكفير والتحريف.

فكان على الشيخ مغنية- وأمثاله ممن ينشدون الاعتدال- ألا يتجاهلوا الواقع، وألا يقعوا فى التناقض، كان عليهم إذن أن يهاجموا القمى والكلينى والعياشى والمجلسى وأمثالهم، ويبينوا أن هؤلاء ليسوا من شيعة الإمام زين العابدين، وغيره من الأئمة الأطهار، فضلاً عن أن يكونوا من أعلام الشيعة الثقات، كان عليهم هذا بدلاً من أن يهاجموا من يذكر الواقع والحقيقة!!

(١) ٧/ ٣٦٤. (٢) ٧/ ٥٧٦.

(٣) ١/ ١٠، ١/ ٣٩. (٤) راجع ص ١٣٥ وما بعدها.

(٥) انظر ١/ ٨٨. (٦) ١/ ١٩٦- ١٩٩.

(٧) انظر ١/ ٢٠٦، ٥/ ٥٧، ٥/ ٣٠٢.

عن طريق أهل السنة[١].

ويتحدث عن التقية ويقول: «من خص التقية بالشيعة فقط، وشنع بها عليهم، فهو إما جاهل، وإما متحامل»[٢].

ويفصل القول فى الحديث عن الخمس، ويهاجم أبا سفيان وحفيده يزيد، ذاكرًا قول الشاعر:

فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلى وللحسين يزيد[٣]

وفى تفسير سورة آل عمران «الآيات ٣٣: ٣٧» يضع هذا العنوان: «فاطمة ومريم»، ويذكر تحته حقًا وباطلاً، ويشير إلى أن فاطمة كمريم، وعلى كزكريا، كان كلما دخل عليها وجد عندها رزقًا من عند الله تعالى[٤].

وفى تفسير سورة النساء «الآيتين ٩٥، ٩٦» يتحدث عن تفسير الآيتين، وتحت عنوان: «على وأبى بكر»، يجادل ليصل إلى أفضلية على بجهاده وعلمه، وفى آخر جدله العقيم يقول :منزلة على من العلم لا تدانيها منزلة واحد من الصحابة على الإطلاق، وكفى شاهدًا على ذلك ما تواتر عن الرسول الأعظم «أنا مدينة العلم وعلى بابها». وقد حفظ التراث الإسلامى من علم على ما لم يحفظه لأبى بكر، ولا لغيره من الصحابة[٥].

(١) ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو داود فى سننه، واعترف الشيخ مغنية بصحته، وهو: «قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتى، يواطئ اسمه اسمى، واسم أبيه اسم أبى، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا» «٥/ ٣٠٢»، والشيخ مغنية هنا وقع فى التناقض الذى أشرنا إليه من قبل، لأن هذا الحديث الشريف يخالف عقيدته فى المهدى، حيث يعتقد أنه محمد بن الحسن العسكرى، وليس محمد بن عبد الله الذى سيبعث قبيل الساعة.

(٢) وانظر بحث التقية والأسباب التى جعلتها مبدأ خاصًا بالشيعة فى الفصل الخامس من الجزء السابق.

(٣) انظر ٣/ ٤٨٢- ٤٨٤.

(٤) انظر ٢/ ٥٠- ٥١.

(٥) انظر ٢/ ٤١٤- ٤١٦.

والحديث الذى ذكر أنه متواتر، قال عنه الدارقطنى فى العلل: هذا حديث مضطرب غير ثابت، وقال الترمذى: منكر، وقال البخارى: ليس له وجه صحيح، وقال يحيى بن معين: كذب لا أصل له، وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات «انظر كشف الخفاء ١/ ٢٠٣- ٢٠٥ وراجع فيه الآراء المختلفة حول هذا الحديث، وانظر أيضًا: فيض القدير ٣/ ٤٦-٤٧، والمقاصد الحسنة ٩٧، وذكرت تخريج الحديث من قبل.

وروى الإمام البخارى بسنده عن محمد بن الحنفية قال: «قلت لأبى: أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من ؟ قال «ثم عمر» قال ابن تيمية: قدروى هذا عن على من نحو ثمانين طريقًا، وهو متواتر عنه. «انظر جامع الرسائل ١/ ٢٦١» واذكر هذا هنا من باب التذكير، فليس هنا مجال مناقشة مثل هذه الآراء.

وفى سورة المائدة: وعند تفسير الآية الثالثة من السورة، تحت عنوان «إكمال الدين وإتمام النعمة»، نراه يتظاهر بأنه يعرض رأى كل من الشيعة والسنة فقط، لينتهى من هذا إلى خلافة على! ويشير إلى كتاب الغدير ككتاب قيم، وأن هذا الكتاب ذكر رواة حديث الغدير، وهم ١٢٠ صحابيًا، ٨٤٠ تابعًا، ٣٦٠ إمامًا وحافظًا للحديث، وفيهم الحنفى والشافعى وغيرهما، كل ذلك نقله عن كتب السنة(١).

وعند تفسير الآية الخامسة والخمسين من السورة: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ يذكر كغيره أنها نزلت فى على بن أبى طالب(٢).

ثم يعود إلى الغدير عند تفسير الآية السابعة والستين من سورة المائدة أيضًا ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ . . . ﴾ ويذكر أن الشيعة استدلوا بأحاديث رواها أهل السنة(٣).

وعند تفسير الآية الثالثة والثلاثين من سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ يذكر ما ذهب إليه الشيعة، وبين أدلتهم، محاولاً إثبات صحة ما ذهبوا إليه(٤).

وفى سورة الشورى، عند تفسير الآية الثالثة والعشرين: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾، يقول عن البحر المحيط، هم على وفاطمة والحسن والحسين، ويقول أيضًا: ونقل بعض المفسرين رواية، فى سندها معاوية، ومؤدى هذ الرواية معنى الآية: قل يا محمد لقريش: ناشدتكم الرحم أن لا تؤذونى.

ثم أخذ يناقش ليثبت أنها فى الأربعة(٥).

---

(١) انظر ٣/ ١٣- ١٥، وراجع ما كتبته فيما سبق عن الغدير فى الفصل الثالث من الجزء الأول، وفيه إشارة لكتاب الغدير المذكور، وبعض أكاذيبه وإفتراءاته وإثبات أن حديث الغدير فى التمسك بالكتاب والعترة كوفى المنشأ!! ليس له طريق إلا عن المجروحين من شيعة الكوفة!

(٢) انظر ٣/ ٨١- ٨٣ وانظر مناقشة ما ذهبوا إليه فى الجزء السابق.

(٣) انظر ٣/ ٩٦- ٩٩.

(٤) انظر ٦/ ٢١٦- ٢١٨.

(٥) انظر ٦/ ٥٢٢- ٥٢٣.

وما ذكره عن البحر المحيط لا يمثل رأى أبى حيان، ولا يبين أنه يرى صحة هذا الخبر، فأبو حيان جمع أخبارًا- صحيحة أو غير صحيحة- وأثبتها فى تفسيره، ومنها هذا الخبر الذى لا يقبل، =

هذه بعض الأمثلة التى تبين أثر الإمامة فى هذا التفسير، ومع هذا كله فالشيخ مغنية يمثل جانب الاعتدال إلى حد ما فى عصرنا الحديث، وتفسيره يبين منهجه الذى يمثل الحق فى بعض جوانبه، غير أنه لا يخلو من الغلو والضلال.

عاشراً: البيان

والكتاب الثانى الذى يمثل جانب الاعتدال، والبعد عن الغلو إلى حد ما ظهر فى عصرنا هذا، هو «البيان» فى تفسير القرآن «ألفه السيد أبو القاس الموسوى الخوئى»، المرجع السابق للجعفرية بالعراق. ومع أن الكتاب لم يظهر منه إلا المجلد الأول الذى يشمل المدخل وتفسير الفاتحة، إلاً أننا انتهينا إلى هذا الرأى لما يأتى:

أولاً

جاء فى مقدمة الكتاب: «سيجد القارئ أنى لا أحيد فى تفسيرى هذا عن ظواهر الكتاب ومحكماته، وما ثبت بالتواتر أو بالطرق الصحيحة من الآثار الواردة عن أهل بيت العصمة من ذرية الرسول ﷺ، وما استقل به العقل الفطرى الصحيح الذى جعله الله حجة باطنة كما جعل نبيه- صلى الله عليه وعلى آله- وأهل بيته المعصومين عليهم السلام حجة ظاهرة، وسيجد القارئ أيضًا أنى كثيرًا ما أستعين بالآية على فهم أختها، وأسترشد

= فالسورة مكية، أى أنها نزلت قبل أن يولد الحسن والحسين بسنوات، أما إذا أردنا أن نبحث عن الصحيح فإنا نرى الإمام البخارى يروى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس- رضى الله عنهما- أنه سئل عن قوله {إلا المودة فى القربى} فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبى ﷺ لم يكن بطن من قريش إلاً كان له فيهم قرابة، فقال: إلاً أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة، «كتاب التفسير سورة حم عسق باب: «إلا المودة فى القربى».

وقال ابن حجر فى فتح البارى فى شرحه لهذا الخبر: قال ابن عباس: عجلت: أى أسرعت فى التفسير، وهذا الذى جزم به سعيد بن جبير قد جاء عنه من روايته عن ابن عباس مرفوعًا، فأخرج الطبرى وابن أبى حاتم، من طريق قيس بن الربيع، عن الأعمش عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال لم نزلت قالوا: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ الحديث، وإسناده ضعيف، وهو ساقط لمخالفته هذا الحديث الصحيح.

أما ذكر الشيخ مغنية لمعاوية، يريد أن يلمزه، ففيه بعد عن الحق، فعلى الرغم مما حدث بينه وبين سيدنا على لم يرد عن طريقه حديث واحد فيه طعن للإمام على، وكل الأحاديث التى صحت عن طريق معاوية ليس فيه أى مطعن، وقد جمع ابن الوزير- وهو من علماء الشيعة الزيدية- ما روى عن طريق معاوية فى الصحاح الستة، وأثبت صحته من طرق ليس فيها معاوية. رضى الله عنه: «انظر الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم ٢/ ١١٤- ١١٩».

القرآن إلى إدراك معانى القرآن، ثم أجعل الأثر المروى مرشدًا إلى هذه الاستفادة[1].

وفى بيانه لأصول التفسير قد فصل ما أجمله هنا[2].

ثانيًا

أنه قد أسهب وأفاض فى إثبات صيانة القرآن الكريم من التحريف[3]، وهو لا يكفر المخالفين لطائفته، بل يرى ويروى أن الإسلام يدور مدار الإقرار بالشهادتين[4].

ثالثًا

أنه أفاض كذلك فى الحديث عن حجيّة ظواهر القرآن[5].

رابعًا

أنه التزم بمنهجه هذا فى تفسيره لفاتحة الكتاب، والقارئ لتفسيره يلمس هذا بوضوح.

ومع هذا فأثر الإمامة نراه فى قوله بصحة إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمة[6]، وبوجوب طاعتهم والخضوع لهم والتوسل بهم[7]، وفضل السجود على التربة الحسينية[8] وجواز تقبيل قبورهم وتعظيمها[9]، وأن عبادتهم لله تعالى لا يرقى إليها إلا المعصوم[10]، وأنهم المأذون لهم فى الشفاعة فيشفعون للشيعة، فلا يردهم ربهم عز وجل[11].

هذا ما جاء فى ثنايا تفسيره تأثرًا بعقيدته، وهو لا ينزله عن مرتبة الطوسى فى تبيانه. وبالطبع نتمنى أن يجعلوا ما يتصل بالإمامة فى كتب أخرى غير كتب التفسير، ولكن السيد الخوئى إذا أتم تفسيره على المنهج الذى بينه فإنه أفضل بكثير من الكتب المنتشرة فى الوسط الجعفرى الآن.

وبعد: فهذه الكتب تمثل منهجين مختلفين فى التفسير عند شيعة اليوم، يبين أحدهما أن الوسط الجعفرى لما يتطهر من أولئك الذين يخضعون كتاب الله العزيز لأهوائهم وشهواتهم تأثرًا بعقيدتهم فى الإمامة، ويكشف الآخر عن وجود من ينشد الاعتدال، ويحكم العقل لا الهوى إلى حد ما، وإن لم يخل من الغلو والضلال.

---

(١) ص ٢٢.
(٢) انظر ص ٤٢١: ٤٢٧.
(٣) راجع ص ٢١٥: ٢٧٨.
(٤) راجع ص ٥٠٩، ٥٦٣، ٥٦٤.
(٥) انظر ص ٢٨١– ٢٩١.
(٦) انظر ص ٤٦١.
(٧) راجع ص ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٢.
(٨) راجع ص ٥٠٥.
(٩) انظر ٥٠٨.
(١٠) انظر ص ٥١٠.
(١١) انظر ص ٥١٥.

١٤

نظرة عامة لباقى كتب التفسير

بعد الدراسة السابقة لستة عشر كتاباً من كتب التفسير الشيعى ننظر فى «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لآقابزرك الطهرانى، لمزيد من التوضيح.

فى كتاب الذريعة نجد الإشارة إلى عدد كبير جداً من التفسير الشيعى، ونجد عنوان بعض هذه الكتب يغنى عن النظر فيها، فهى مثل ما ذكرته من قبل عند الحديث عن كتاب «تأويل الآيات الباهرة فى فضل العترة الطاهرة».

وبعض هذه الكتب لا يظهر أثر الإمامة فى العنوان ولكن يظهر هذا الأثر عند الإشارة إلى موضوع الكتاب، ونذكر هنا عدداً من هذه الكتب التى حاول أصحابها إخضاع كتاب الله المجيد لأهوائهم، كما نثبت شيئاً من تعليق صاحب كتاب الذريعة. وترتيب الكتاب ألفبائى، فلا حاجة لذكر الأجزاء والصفحات.

(١) آيات الأئمة

فارسى، فى بيان الآيات المتعلقة بالإمامة، وفضائل الأئمة، لمؤلفه مير محمد على الأريجانى الطهرانى المتوفى بها سنة ١٣٢٣.

(٢) آيات الأئمة

وذكر فى حرف التاء بعنوان «تفسير آيات الأئمة» فارسى. قال صاحب الذريعة: فى ذكر آيات تستخرج منها بالزبر والبينات أسماء الأئمة، وبعض أوصافهم وخصوصياتهم، للعالم الكامل ميرزا على نقى الهمدانى، المتوفى عام ١٢٩٧.

(٣) الآيات البينات

أو: بيان الآيات بالزبر والبينات: قال: للمولى المعاصر يوسف بن أحمد بن يوسف الجيلانى النجفى، استخرج فيه بالزبر والبينة أسامى المعصومين الأربعة عشر، وبعض خصوصياتهم من ستين آية من آيات القرآن.

قلت: مراده بالمعصومين الذين أشركهم مع الرسول ﷺ، الأئمة الاثنا عشر، والسيدة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها. ونلاحظ ثناءه على الضالين، ورضاه وإعجابه بضلالهم، ومشاركته لهم فى الغلو والتضليل، وهذا واضح بين ملازم لصاحب الذريعة، وسيأتى ما يؤكد هذا.

(٤) آيات الحجة والرجعة

قال: فى تفسير الآيات المتعلقة بهم، مع بيان واف، والنكات الدقيقة، وذكر الروايات المروية عنهم فى تفسيرها وتأويلها للعلامة الشيخ محمد على بن المولى حسن على الهمدانى الحاير، المولود سنة ١٢٩٣. رأيت النسخة الأصلية عنده، استخرج فيها ٣١٣ آية من القرآن الشريف على عدد أصحاب الحجة وأنصاره وقت ظهوره.

قلت: يشير هنا إلى خرافة الإمام الثانى عشر التى ذكرتها فى الجزء السابق، ومثل هذا كتاب «ما نزل من القرآن فى صاحب الزمان» لأبى عبد الله الجوهرى أحمد بن محمد» انظر إيضاح المكنون ٢/ ٤٢١»، وغير هذا كتب أخرى سيأتى ذكرها.

(٥) الآيات النازلة فى ذم الجائرين على أهل البيت

للمولى حيدر على الشروانى.

(٦) الآيات النازلة فى فضائل العترة الطاهرة

قال: وهى ٥٠٠ آية من القرآن فى فضائل أمناء الرحمن، جمعها مع تفسيرها وبيانها الشيخ تقى الدين عبد الله حاجى... ويأتى فى حرف الميم كتب كثيرة تحت عنوان ما نزل فى أهل البيت، أو فى على، أو فى صاحب الزمان، كلها فى هذا الموضوع.

(٧) آيات الولاية

فارسى، لميرزا أبى القاسم بن محمد الشيرازى.

قال: فسر فيه إحدى وألف آية من كتاب الله العزيز النازلة: خمسمائة منها فى حق

أهل البيت وولايتهم باتفاق المفسرين– هكذا قال المفترون!– والباقى حسب تفاسير أهل البيت الذين نزل فيهم القرآن، وهم أعرف به، من طرق أصحابنا الإمامية خاصة.

قلت: إذن يقصد اتفاق المفسرين جميعًا لا مفسرى فرقته خاصة! قدرة عجيبة على الافتراء!!

(٨) تأويل الآيات

لأبى إسحاق بن مجير الأصفهانى.

وآخر: للسيد الأمير روح الأمين الحسينى الأصفهانى.

(٩) تأويلات القرآن

لكمال الدين أبى الغنائم عبد الرزاق الكاشانى، المتوفى نسة ٧٣٠.

(١٠) تأويل الآيات التى تعلق بها أهل الضلال

للمولى عبد الرشيد بن الحسينى بن محمد الإستراباى.

قال: وله كتاب «مناقب النبى والأئمة».

قلت: ماذا يريد بأهل الضلال؟ لعله يقصد خير أمة أخرجت للناس كما سيظهر من موقفهم من قوله تعالى فى سورة الليل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾، حيث إنها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه.

(١١) تأويل الآيات الباهرة فى فضل العترة الطاهرة

فارسى، لمحمد تقى بن محمد باقر الطهرانى الأصفهانى، المتوفى سنة ١٣٢٢.

قلت: سبق الحديث عن كتاب بالعربية يحمل العنوان نفسه.

(١٢) تأويل الآيات الظاهرة فى فضل العترة الطاهرة

للسيد شرف الدين على الحسينى الإستراباى، المتوفى سنة ٩٤٠.

قال: جمع فيه تأويل الآيات التى تتضمن مدح أهل البيت، ومدح أوليائهم، وذم أعدائهم من طرقنا، وطرق أهل السنة– هكذا قال!! وينقل فيه عن كنز الفوائد للشيخ الكراكجى المتوفى سنة ٤٤٩، وعن كتاب ما نزل من القرآن فى أهل البيت لابن الجحام، الذى سمع منه الدلعكبرى سنة ٣٢٨، وعن كشف الغمة للأربلى المتوفى سنة ٦٩٢، وعن كتب العلامة الحلى.

(١٣) تأويل الآيات النازلة

قال: فى فضل أهل البيت وأوليائهم، يقرب من عشرين ألف بيت لبضع الأصحاب... قال الفيض فى أول كتاب الصافى: إن جماعة من أصحابنا صنفوا كتبًا فى تأويل القرآن على هذا النحو، جمعوا فيها ما ورد عنهم فى تأويل آية: إما بهم، أو بشيعتهم، أو بعدوهم، على ترتيب القرآن، وقد رأيت منها كتابًا يقرب من عشرين ألف بيت.

(١٤) تأويل ما نزل فى النبى وآله

(١٥) تأويل ما نزل فى شيعتهم

(١٦) تأويل ما نزل فى أعدائهم

قال: هذه الثلاثة كلها لأبى عبد الله محمد بن العباس المعروف بابن الحجام، الذى سمع منه الدلعكبرى سنة ٣٢٨.

وذكر الشيخ- أى الطوسى- فى رجاله ثمانية كتب أخرى له أيضًا، لكن النجاشى لم يذكر منها إلا كتاب «المقنع» و «والدواجن» و «ما نزل من القرآن فى أهل البيت»، وهذا الكتاب هو الذى مر أنه ينقل عنه السيد شرف الدين على فى كتابه «تأويل الآيات الظاهرة» أحاديث كثيرة.

(١٧) تفسير الآيات البينات النازلة فى فضائل أهل بيت سيد الكائنات

فارسى، للسيد مصطفى بن أبى القاسم الموسوى النجفى- ولد سنة ١٣٢٠.

(١٨) تفسير الأئمة لهداية الأمة

لمحمد رضا بن عبد الحسين النصيرى الطوسى، عاش فى القرن الحادى عشر. قال: وتفسيره هذا كبير، يقال إنه فى ثلاثين مجلداً.

وديدن هذا المفسر أنه يذكر عدة آيات، مع ترجمتها إلى الفارسية، ثم يشرع فى تفسير الآيات على ما هو المأثور، وترجمة الأحاديث بالفارسية، ثم تفسيرها بالعربية. وينقل غالبًا عن تفسيرى العياشى والبيضاوى، وينقل عن كتب الاحتجاج للطبرسى، وتمام تفسير الإمام العسكرى، وتمام تفسير القمى... الخ.

و «مختصر تفسير الأئمة».

لمؤلف الأصل، وهو فارسي محض، في ست مجلدات.

(١٩) تفسير أبي الجارود

قال: اسمه زياد بن منذر، المتوفى سنة ١٥٠، وتنسب إليه الزيدية الجارودية، ويروي تفسيره عن الإمام الباقر أيام استقامته.

قلت: يقصد قبل أن يصبح زيديًا، ولعل الصواب: أيام ضلاله البعيد، والإمام الباقر ﷺ بريء مما في هذا التفسير؛ فالقمي أخرجه في تفسيره الذي تحدثنا عنه بالتفصيل.

(٢٠) تفسير الحافظ محمد بن مؤمن النيسابوري

ذكر المؤلف أنه استخرج تفسيره من أثني عشر تفسيرًا.

قال صاحب الذريعة: ويأتي كتاب «نزول القرآن في شأن علي ﷺ». للشيخ محمد بن مؤمن الشيرازي، والظاهر أنه هو الحافظ المذكور.

(٢١) تفسير المصابيح بما نزل من القرآن في أهل البيت

لأبي العباس أحمد بن الحسن الإسفرائيني.

(٢٢) تفسير المنشي

قال: لعله للأمير محمد رضا الحسيني منشي الممالك، المعاصر للشيخ الحر، والساكن بأصفهان حين تأليف «الأمل» سنة ١٠٩٧، وصفه فيه بأنه كبير أكثر من ثلاثين مجلدًا، عربي وفارسي، جمع فيه الأحاديث وترجمتها، ويظهر من بعض هذه الخصوصيات أنه غير تفسير الأئمة السابق ذكره، وإن شاركه في بعضها.

(٢٣) تفسير النعماني

قال: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر، تليمذ ثقة الإسلام الكليني، جعل مقدمة تفسيره روايات رواها بإسناده إلى الإمام الصادق، وهي التي دونت مفردة مع خطبة مختصرة وتسمى بـ «المحكم والمتشابه»، طبعت في إيران، وقد أوردها بتمامها العلامة المجلسي في مجلد القرآن من البحار.

قلت: الكليني، الذي يراه الشيعة ثقة الإسلام، بينت مدى ضلاله وافترائه في الجزء الثالث، وهو تلميذ القمي الذي سبق الحديث عن تفسيره، ويأتي النعماني ليكمل سلسلة

الضلال، وعلامتهم المجلسى تحدثنا عنه فى هذه الدراسة من قبل، ويبقى تقديرنا وإجلالنا للعالم العابد المجتهد الإمام الصادق، المبرأ مما نسبه إليه هؤلاء الضالون.

(٢٤) تفسير ميرزا هادى

قال: ابن السيد على، من أحفاد مير كلان الهروى البجستانى الخراسانى الحائرى المعاصر، وهو تكميل لتفسير على بن إبراهيم القمى بإيراد الأحاديث المروية، من طرق العامة– أى غير فرقته– المطابقة للرويات المذكورة فى تفسير القمى.

قلت: وأى روايات تطابق ما جاء فى تفسير هذا الضال ما لم تكن من الروايات الموضوعة؟

(٢٥) تفسير آية ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ «١٢٤: سورة البقرة»

قال: للمولى محمد رفيع الكيلانى، المتوفى بها سنة ١١٦١، وتفسيره هذا جزء لطيف فى الإمامة، وإثبات عصمة الإمام.

قلت: ذكرت أقوالهم فى هذه الآية الكريمة، وبينت بطلان ما ذهبوا إليه فى الجزء السابق، وبينت أن العصمة التى جعلوها لأئمتهم لم يصل إليها خير البشر وهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

(٢٦) تفسير آية ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ «آل عمران:٩٦»

لميرزا محمد التنكابنى، قال فى قصصه إنه يقرب من ألف بيت.

قلت: قد يبدو عجيبًا أن نورد هذا الكتاب فى هذا الموضع. فما علاقة الإمامة بالحديث عن بيت الله الحرام بمكة المكرمة– زاده الله تعظيمًا وتشريفًا؟!

ولكنى وجدتهم يقولون هنا: «وفيه بيان تأويله بكربلاء»!

فذكرنى هذا بقول شاعر هؤلاء القوم الذى ذكره صاحب كتاب الأرض والتربية الحسينية:

ومن حديث كربلاء والكعبة   بان لكربلا علو الرتبة

ولنا أن نسأل: أفيكون التقريب وداره بالقاهرة لنؤمن بهذا الكفر الصراح؟ أم يجب أن يكون فى طهران لتنقية عقيدتهم حتى يكونوا مثلنا؟

(٢٧) تفسير آية التطهير ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ «٣٣: الأحزاب»

ذكر صاحب الذريعة أربعة كتب بهذا العنوان، أحدها فارسى. وقولهم فى هذه الآية الكريمة ناقشته بتوسع فى الجزء السابق.

(٢٨) تفسير آية ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾

ذكر صاحب الذريعة كتابين بهذا العنوان.

قلت: الذى دفعهم للكتابة هو ما روى أن الآية الكريمة وما بعدها نزلت فى أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، كما روى البزار عن ابن الزبير، والحاكم عن الزبير، وابن أبى حاتم عن عروة. وخير البشر بعد رسول الله ﷺ- كما ثبت بالتواتر عن على نفسه رضى الله عنهما- يعتبر فى نظر هؤلاء القوم مغتصبًا للخلافة، ولذلك جعلوه تحت الآيات التى تتحدث عن الكفار والمنافقين، والجبت والطاغوت، وأرادوا أن يبعدوا عنه هذه الآيات الكريمة من سورة الليل.

(٢٩) تفسير آية الكرسى

لعطاء الله بن محمود الحسينى.

قلت: لا يبدو أى نوع من الربط بين آية الكرسى التى يتحدث فيها رب العزة عن نفسه، وبين الإمامة، غير أننى وجدت فى الذريعة القول بأن فى هذا التفسير دلالة على تشيع المؤلف، وقوة فهمه، وكثرة علمه، وأنه لا يبعد أن يكون من علماء الدولة الصفوية. ورأينا من قبل أن بعض هؤلاء رفع الأئمة لمرتبة الألوهية، كما أننا نعرف ما أصاب الإسلام على يد الدولة الصفوية الشيعية.

(٣٠) تفسير آية ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ «١١٠: آل عمران»

لحسين بن دلدار على.

قلت: مر من قبل تحريفهم لهذه الآية الكريمة، حيث ذكروا أنها نزلت هكذا: «كنتم خير أئمة...»، وجعلوها لأئمتهم.

هذه بعض كتب التفسير التى ذكرها صاحب الذريعة فى الهمزة تحت كلمة «آيات»، وفى التاء تحت كلمتى «تأويل» و «تفسير». ونجد غير هذه الكتب فى مواضع أخرى، فمثلاً نراه يقول فى الجزء الرابع ص ٣١٨:

«تفسير نور الأنوار ومصباح الأسرار»، و «نور التوفيق»، و «نور الثقلين»، كلها تأتى- أى تأتى فى النون.

ويقول فى الجزء نفسه «ص ٢٦٨»:

«تفسير تنزيل الآيات الباهرة»، وكذا التنزيل» متعدداً، و «التنزيل فى أمير المؤمنين»، و «التنزيل من القرآن»، و «التنزيل والتعبير»، يأتى الجميع بعنوان: «التنزيل».

وقال فى الجزء الثالث بعد الحديث عن «تأويل الآيات الباهرة فى فضل العترة الطاهرة»:

قد ذكرنا فى الجزء الأول آيات الأئمة، وآيات الفضائل، والآيات النازلة فى فضائل العترة الطاهرة، وآيات الولاية، وغيرها. ويأتى فى حرف الميم ما يقرب من عشرين كتاباً من تأليفات قدماء المحدثين، بعنوان ما نزل من القرآن فى أمير المؤمنين، أو فى أهل البيت، أو فى الحجة، أو فى الخمسة وغيرها، وكل واحد من هذه الكتب يصح أن يعد من كتب الحديث، لأنه دون فيه نوعًا خاصا من الأحاديث، أى خصوص ما روى عنهم عليهم السلام فى بيان الآيات التى نزلت فى فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، ويصح أن يعد من كتب التفسير: لأنه يذكر فيه تفسير تلك الآيات وتأويلها، وشرحها، وبيان المراد منها، ولا سيما مع ترتيب تلك الآيات فى أكثر هذه الكتب على ترتيب سور القرآن من سورة فاتحة الكتاب إلى سورة الناس كما هو الترتيب فى كتب التفاسير. والداعى إلى إفراد القدماء والمتأخرين هذا النوع من الأحاديث واستقلالها بالتأليف هو تخصيص النصف أو الثلث أو الربع من الآيات الشريفة التى وردت أخبار كثيرة على اختلافها فى التعبير بأنها نزلت فى أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ومواليهم وأعدائهم، وقد أورد الفيض بعضها بالمقدمة الثالثة فى أول الصافى، وذكر وجه التنافى بينها، ودون كل منهم ما وصل إليه من هذا النوع من الحديث ليعرف الناس تفاصيلها.

قلت: سبق الحديث عن كتاب الصافى، وبيان ما وصل إليه من ضلال وتضليل. وما يقوله صاحب الذريعة هنا يؤكد ما قلته عن صاحب تفسير الصافى وأمثاله من غلاة الشيعة الاثنى عشرية. ومن يقرأ الذريعة يلحق مؤلفها بهؤلاء الغلاة الضالين، وقوله آنفًا خير شاهد.

وبعد كل ما سبق أعتقد أن معالم التفسير الشيعى الاثنى عشرى قد اتضحت إلى حد كبير، فدراستنا لستة عشر كتابًا من القرن الثالث إلى العصر الحديث بينت اتجاهات التفسير خلال هذه القرون. ونظرتنا إلى ثلاثين كتابًا مما جاء فى كتاب الذريعة، جعلت الصورة أكثر وضوحًا، وهذه الكتب منها ما كان فى النصف الأول من القرن الثانى، وهو

تفسير أبى الجارود الذى نقله القمى يشير إلى أن حركة التشكيك والتضليل بدأت مع بداية عصر التدوين، والتفاسير الحديثة الكثيرة تشير إلى استمرار هذه الحركة الضالة، وعدم توقفها.

وإلى جانب الثلاثين كتابًا، ذكرت إشارة صاحب الذريعة لعشرين كتابًا فى موضع واحد، وتعليقه على ما جاء بها، وهذا يدل على ضخامة هذه الحركة الضالة، وربما يعطى السمة الغالبة للتفسير الشيعى، نسأل الله تعالى الهداية والرشاد.

* * *

خاتمة الجزء الثانى

الحمد الذى أعاننا، وهدأنا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا اللّه.

وبعد أن تم بتوفيق اللّه- عز وجل- ما أردنا من بيان التفسير وأصوله عند أهل السنة، وعند الشيعة الاثنى عشرية، أقدم هنا موجزًا للبحث، وأشير إلى نتائجه.

قسمت هذا البحث قسمين

القسم الأول: تحدثت فيه عن التفسير وأصوله عند أهل السنة.

القسم الثانى: جعلته لبيان التفسير وأصوله عند الشيعة.

والقسم الأول يضم ثمانية فصول

فى الفصل الأول تحدثت عن علم التفسير، وبينت المراد من التفسير والتأويل.

وفى الفصل الثانى تحدثت عن تفسير الرسول ﷺ، فالسنة المطهرة هى المبينة للقرآن الكريم، وجمعت أحاديث التفسير، الصحيح منها والحسن، دون الضعيف والموضوع، فبلغت خمسة وثلاثين، وذكرت بعض الملاحظات فى ضوء ما جمعت، وأشرت إلى أن الشيعة أشركوا مع الرسول ﷺ فى العصمة من رأوهم أئمة لهم، فجعلوا أقوالهم كأقوال الرسول ﷺ بلا أدنى فرق.

وفى الفصل الثالث تحدثت عن تفسير الصحابة، أعلم الناس بالقرآن، وأشرت إلى ما يأخذ حكم المرفوع من تفسيرهم، ثم جمعت بعض ما صح من تفسيرهم، وبينت خصائصه، ثم تحدثت عن التدوين، وأثبت أن كتاب تنوير المقياس لى صحيح النسبة لابن عباس، ومن الخطأ شيوعه، وطبعه مرات على أنه تفسير ترجمان القرآن ابن عباس- رضى اللّه عنهما، وختمت الفصل بإشارة سريعة لموقف الشيعة من تفسير الصحابة الكرام.

وجعلت الفصل الرابع لتفسير التابعين، فبينت أنهم أكثر حاجة للتفسير من الصحابة، وأشرت إلى مدارس التفسير فى عصرهم، وإلى بدء التدوين ثم تحدثت عن تفسير مجاهد، وبينت خصائص تفسير التابعين من خلال النظر فى تفسيره.

ثم رأيت أن يكون الفصل الخامس وقفه لبيان أحسن طرق التفسير عند الجمهور، وفى هذه الوقفة بيان لقيمة التفسير المأثور عن التابعين، وحديث عن الإسرائيليات، والتفسير بالرأى، وهو ما كان يلزمنا أن نبينه بعد الحديث عن تفسير التابعين، فأغنت الوقفة عن التكرار، ورأيت أن أنسب ما أثبته فى هذا الفصل هو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أيضًا ما قاله الحافظ ابن كثير، وحاول الالتزام به فى تفسيره.

وفى الفصل السادس: تحدثت عن التفسير فى القرن الثانى، وبينت منهجه، وتناولت ثلاثة كتب ظهرت فى هذا القرن، وهى: تفسير مقاتل بن سليمان، ولم أقف عنده؛ حيث إن مؤلفه مجروح، وتفسير يحيى بن سلام، الذى يعتبر حلقة الاتصال بين القرنين الأول والثالث، ومعانى القرآن للفراء، الذى يعد نموذجًا للتفسير العقلى.

والفصل السابع: جعلته للقرن الثالث، وتفسير الطبرى، وقد وقفت طويلاً عند شيخ المفسرين الإمام الطبرى، وعند كتابه الذى يعتبر أفضل ما كتب فى مجال التفسير.

والفصل الثامن أشرت فيه إلى كتب التفسير بعد الطبرى. وبينت إمكان الاستغناء عن الوقوف عندها، لا لأنه يطول جدًا فقط، ولكن أيضًا لأن التفسير المأثور- بعد الطبرى- الذى هو حجة يستمد أساسًا من مصدرين رئيسين، هما: كتب الحديث والآثار، وكتاب تفسير الطبرى.

وكان هذا الفصل ختامًا للقسم الأول فى التفسير وأصوله عند أهل السنة.

وانتقلت بعد هذا إلى القسم الثانى الذى جعلته للتفسير وأصوله عند الشيعة الاثنى عشرية، وتحت هذا القسم سبعة فصول، تسبق بكلمة تمهيدية فيها إشارة إلى أننى بمراجعة التفسير عندهم، أصوله وكتبه، رأيت أن عقيدتهم فى الإمامة كان لها أكبر الأثر فى وضع الأصول، وفى تناولهم لكتاب الله العزيز، وأن بيان هذا الأثر يكفى فى مجال التفسير المقارن؛ فحيث لا يوجد أثر لعقيدتهم فى الإمامة يصبح تفسيرهم كتفسير غيرهم، وبقدر وجود هذا الأثر بقدر افتراقهم عمن سواهم.

والفصل الأول جعلت عنوانه: «القرآن الصامت والقرآن الناطق»، حيث جعلوا القرآن

الكريم صامتًا لا ينطق! والإمام هو القرآن الناطق، فلا يؤخذ القرآن إلاَّ عن طريقه! والإمام كالنبى فى عصمته وعلمه! وأشرت إلى مذهب الإخباريين الذين يقفون عند الأخبار دون إعمال العقل، والأصوليين منهم الذين خلافوا الإخباريين، وذكرت قول بعضهم بالنسخ بعد عصر النبوة، وأن الحكم يمكن ألاَّ يبين فى وقته من باب التقية، أو من باب التدريج فى التشريع، فيمكن- بحسب زعمهم- ألاَّ يبين الرسول ﷺ بعض الأحكام، ويتركها لأئمتهم الاثنى عشر لبيانها فى وقتها المناسب!! هكذا زعموا!

والفصل الثانى جعلته للظاهر والباطن، فأشرت إلى الخلاف عندهم حول حجية الظواهر، وإلى اللجوء للتأويل تأييدًا للعقيدة، وإلى حقيقة الباطن عندهم، وقرب قولهم من الإسماعيلية الباطنية، وبعده عن قول الجمهور، ثم أشرت إلى قولهم بأن ثلث القرآن، أو ربعه، فى الأئمة، وثلثه، أو ربعه، فى مخالفيهم!

والفصل الثالث أو جزت فيه الحديث عن قول غلاتهم بتحريف القرآن الكريم، فبينت سبب لجوئهم لهذا القول، حيث عز عليهم أن يخلو كتاب اللَّه المجيد من ذكر أئمتهم وعقيدتهم، وتحدثت عن أشهر كتاب عندهم فى هذا المجال، وهو «فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، وذكرت بعض أسماء القائلين بالتحريف، ويدخل فيهم- بكل أسف- أكبر علمائهم الأعلام! كالقمى، صاحب كتاب من أهم كتب التفسير عندهم، يرون صحة كل ما جاء به، وتلميذه الكلينى، صاحب الكافى، كتاب الحديث الأول عندهم كالبخارى عندنا، والعياشى، وغيرهم. وبينت أن من أنفسهم من- الشيعة تصدوا لحركة الغلاة قديمًا وحديثًا، غير أن المحدثين منهم من وقعوا فى تناقض عجيب أشرت إليه.

وبدأت بعد هذا فى دراسة كتب التفسير الشيعى، فجعلت الفصل الرابع لكتب القرن الثالث، وهى أقدم وصلت إليها، وتغنى عما سبقها: مثال هذا تفسير أبى الجارود الذى يعدونه تفسير الإمام الباقر- وحاشاه، والذى كان فى أواخر القرن الأول وأوائل الثانى، هذا التفسير لم أعثر عليه، غير أن القمى فى القرن الثالث نقله فى تفسيره.

وتحدثت فى هذا الفصل عن ثلاثة كتب

الكتاب الأول: تفسير الحسن العسكرى، وهو يمثل الغلو والضلال والخرافات، فهو يكفر الصحابة الكرام، وعلى الأخص أبو بكر وعمر، ويتهمها والصحابة بالنفاق والكذب إلى جانب الكفر، ويذكر أن منكر ولاية على كافر، وأن موسى عليه السلام دعا لهذه الولاية، ويذكر أن عليًا له معجزات كثيرة، ويأتى بقصص خرافية لا تصلح إلاَّ للأطفال ليبين ما زعمه من

معجزات، ثم يصدر صكوك الغفران لمن آمن بخرافاته وضلاله وسار خلفه فى ظلمات هذا الكفر.

ولذلك ذكرت تنزيه الإمام العسكرى- فيما رأى- من أن يكون صاحب هذا الكتاب، وأشرت إلى أن هذا الرأى يراه أيضًا بعض الشيعة، ولكن شيعة الأمس واليوم منهم من يرى صحة نسبة الكتاب للإمام!

ولو صحت النسبة لقلنا بكفره لا بإمامته.

والكتاب الثانى هو تفسير القمى، وقد أطلت الوقوفت عند هذا الكتاب، فله ولصاحبه المنزلة العليا عند الشيعة، غلاتهم ومعتدليهم، الإخباريين والأصوليين، فى عصرنا وما قبله، وهذا أمر نجد له ما يبرره عند الغلاة الضالين، ولكن لم نجد له تفسيرًا عند المعتدلين نسبيًا ودعاة التقريب.

فالكتاب محشو بتحريف القرآن نصًا ومعنى، تنزيلاً وتأويلاً، والطعن فى الصحابة، وجعل الأئمة هم المراد من كلمات الله البينات، وما يتصل بعقيدة الإمامة كالرجعة، ونزول الوحى على الأئمة وعلمهم للغيب.

وفى أسباب النزول يزعم تحالف الصحابة مع إبليس، ويشير إلى البيعة يوم الغدير، ومصير من غصبوا الولاية بزعمه، وأن القائم سيطالب بدم الحسين، ويجعل حادث الإفك اتهامًا لأم المؤمنين لا تبرئة إلهية لها، ونراه يحيل كتاب الله تعالى إلى كتاب فى التاريخ للشيع الاثنى عشرية، فترى أصحاب الجمل والبصرة، وتسمع عن بنى أمية وبنى السباع؛ أى العباس، والاتفاق على قتل علىّ، وكفر أصحاب بيعة الرضوان، وتجد الحديث عن الفرق الأخرى، وعن القائم وجيش السفيانى.

ثم تراه يسلك طرقًا مختلفة للتغرير بضعاف العقول، وإضلال خلق الله من جهلة القوم.

وهذا الكتاب الذى جمع كل هذه المصائب والرزايا يعتبر من أهم مصادر التفسير المأثور عند الشيعة الاثنى عشرية، فانظر وتأمل وقارن!!

وهو الذى وقع فى أيدى المستشرقين فاتخذوه سلاحًا لضرب الإسلام، والطعن فى المعجزة الكبرى، ومع هذا فصاحب التفسير ينتسب للإسلام!!

والكتاب الثالث هو تفسير العياشى، وهذا الكتاب كسابقه منزلة ومنهجًا وأهدافًا، وقد

بينت هذا.

وبعد الفصل الرابع جعلت الفصل الخامس لتفسير التبيان للطوسى، وتفاسير الطبرسى.

والطوسى والطبرسى يمثلان جانب الاعتدال النسبى والبعد عن الغلو إلى حد ما بينت أصول التفسير عندهما، والفرق بينهما وبين الجمهور، ومع الاعتدال النسبى، ظهر أثر الإمامة فى اللجوء لتأويل استدلالاً للعقيدة، وفى ذكرهما للقراءات الموضوعة والشاذة ذات الصلة بالمذهب، وفى روايتهما لأسباب النزول، وفى جعلهما الأئمة هم المراد من كلمات الله تعالى عند تأويل بعض الآيات، ورأيت أن شيخ الطائفة الطوسى أكثر اعتدالاً وأقل غلوًا من الطبرسى.

والفصل السادس جعلته للحديث عن كتب التفسير بعد الطوسى والطبرسى، تحدثت فيه عن عشرة كتب تمثل الاتجاهات المختلفة للتفسير، فبعد الطوسى والطبرسى وجدنا منهم من يسير فى طريق الغلو والضلال، ويستمد التفسير من كتب القرن الثالث الثلاثة، وما شابهها ككتاب الكافى للكلينى، ومنهم من سلك طريق الاعتدال النسبى والبعد عن الغلو والتطرف إلى حد ما ومنهم من اقترب من أحد الطريقين مبتعدًا عن الآخر.

والكتب العشرة تبين هذه الاتجاهات، وثلاث منها تبين اتجاه التفسير فى العصر الحديث.

وختمت هذا القسم بالفصل السابع الذى خصصته لنظرة عامة لباقى كتب التفسير من خلال كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»، وذلك حتى نستكمل ما أردنا بيانه. وجتد فى الذريعة عشرات من كتب التفسير الشيعى يدل العنوان نفسه على غلو المؤلف وضلاله، وكتبًا أخرى يظهر فيها هذا الأثر عندما يتحدث عنها صاحب كتاب الذريعة. وهذا القدر الهائل من الكتب الضالة يشير إلى ضخامة حركة الغلاة، ومدى تأثيرها فى الوسط الشيعى الاثنى عشرى، بل ربما يعطى السمة الغالبة للتفسير الشيعى، وقد أشرت لهذا فى ختام الفصل.

بعد هذا كله أعتقد أن الصورة أصبحت واضحة تمامًا، ولسنا فى حاجة إلى مزيد بيان.

ومما أمرنا بتلاوته: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ «الأعراف:٨٩».

١٥

عقيدة الشيعة فى القرآن الكريم

١ - القرآن تعرض للتحريف
٢ - القرآن الذى بين أيدى المسلمين ناقص
٣ - القرآن الكامل تتوارثه الأئمة
وهو الآن مع الأمام المنتظر

عقيدة الشيعة فى القرآن

عقيدة الشيعة فى القرآن، لابد لمن يتناولها بالعرض أو بالنقد من أن يرجع إلى أمهات كتب القوم ومراجعهم الأصلية فى الحديث والتفسير حتى يكون منصفًا فى الحكم، وعادلاً فى الاستنتاج، لأنه عليها مدار عقائدهم ومعول خلافاتهم مع الآخرين.

وفى ضوء البحث العلمى والنقد الموضوعى يلزم الباحث المنصف أن يكون ثابتًا عن أئمتهم، فى كتب الحديث أو التفسير، وخاصة الكتب القديمة التى روت هذه الروايات بالسند، أو وافق على صحتها أئمة القوم المعصومين على ما يقول به المذهب.

ونحن نلزم أنفسنا فى هذه القضية أن لا نورد شيئًا إلا ويكون صادرًا من واحد من الأئمة الاثنى عشرة، ومن كتب الشيعة فى عصر الأئمة قاطبة من بكرة أبيهم- ولا استثنى منهم واحدًا- كانوا يعتقدون أن القرآن محرف ومغير فيه، زيد فيه ونقص منه كثير.

وإذا ما بدأنا من كتاب «الكافى» للكلينى، الذى قيل فيه من قبل علماء المذهب هو أجل الكتب الأربعة الأصول المعتمدة عليها، لم يكتب مثله فى المنقول من آل الرسول، لثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى المتوفى سنة ٣٢٨هـ[(١)].

«هو عندهم أجل الكتب الإسلامية، وأعظم المصنفات الإمامية، والذى لم يعمل للإمامية مثله، قال المولى أمين الاستر آبادى فى محكى فوائده: سمعنا عن مشائخنا وعلمائنا أنه لم يصنف فى الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه»[(٢)].

وأيضًا «الكافى... أشرفها وأوثقها، وأتمها وأجمعها لاشتماله فى الأصول من بينها، وخوله من الفضول وشينها»[(٣)].

وذكر الخوانسارى أن المحدث النيسابورى قال فى الكافى:

---

(١) «الذريعة إلي تصانيف الشيعة»، لآغار بزرك الطهرانى ج١٧ ص٢٤٥، نقلاً عن «الشريعة والقرآن»، إحسان إلهى.

(٢) «الكنى والألقاب» للعباس ج٣ ص ٩٨، ومثله فى «مستدرك الرسائل» ج٣ ص٥٣٢.

(٣) «الوافى» ج١ ص٦.

«ثقة الإسلام، قدوة الإعلام، والبدر التمام، جامع السنن والآثار في حضور سفراء الإمام عليه أفضل السلام، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، محيي طريقة أهل البيت على رأس المائة الثالثة، المؤلف لجامع (الكافي) في مدة عشرين سنة، المتوفى قبل الغيبة الكبرى ﷺ كان بمحضر من نوابه عليه السلام وقد سأله بعض الشيعة من النائية تأليف كتاب (الكافي) لكونه بحضرة من يفاوضه ويذاكره ممن يثق بعلمه، فألف وصنف وشنف، وحكى أنه عرض عليه فقال: كاف لشيعتنا»[1].

فما الذي يقوله الكيني في الكافي؟؟ يروى عن علي بن الحكم عن هشام ابن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ وآله سبعة عشر ألف آية»[2].

والمعروف والثابت بالنقل والتواتر والحفظ أن القرآن ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية، ومعنى كلام الكليني في «الكافي» أن ثلثي القرآن راح على أدراج الرياح، والموجود هو الثلث، ولقد صرح بذلك جعفر بن الباقر كما ذكر الكليني في كافية أيضًا تحت باب «ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام».

«عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن عبد الله الحجال عن أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت جعلت فداك عن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم عليًا عليه السلام بابًا يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال يا أبا محمد علم رسول الله ﷺ وآله عليًا عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب قال: قلت: هذا والله العلم قال: فنكت ساعة على الأرض ثم قال: إنه لعلم وما هو بذاك[3].

قال: ثم قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله ﷺ وآله وإملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش وضرب بيده إلي فقال: تأذن لي يا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا- كأنه مغضب- قال:

---

(١) «روضات الجنات» ج٦ ص١١٦. (٢) «روضات الجنات» للخوانساري ج٦ ص١١٢.

(٣) «الكافي» للكليني ج٢ ص٦٣٤ كتاب فضل القرآن.

قلت: هذا والله العلم قال: إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، علماء العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال إنه لعلم وليس بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم قال إنه لعلم وما هو بذاك.

ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما كائن إلى أن تقوم الساعة، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك.

قال: قلت: جعلت فداك فأى شىء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشىء بعد الشىء، إلى يوم القيامة[1].

فأى قسم الذى حذف؟ يبينه الكلينى أيضًا من إمامه المعصوم محمد الباقر- الإمام الخامس عند القوم- حيث يروى:

«عن أبى على العشرى عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن إسحاق ابن عمار عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام قال:

«نزل القرآن أربعة أرباع، ربع فينا، وربع فى عدونا، وربع فى سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام»[2].

ومثله روى عن على رضي الله عنه حيث أورد الرواية:

«عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، وعلى بن إبراهيم، عن أبيه، جميعًا عن ابن محبوب، عن أبى حمزة، عن أبى يحيى، عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

نزل القرآن أثلاثًا: ثلث فينا وفى عدونا، وثلث سنن أمثال، وثلث فرائض وأحكام»[3].

ومثال لذلك الحذف؟- يبينه الكلينى أيضًا فى كافيه:

(١) «الأصول من الكافى» ج١ ص٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) «الكافى» فى الأصول، كتاب فضل القرآن ج٢ ص٦٢٨.

(٣) أيضًا ج٢ ص٦٢٧.

عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن جعفر بن محمد بن عبيد الله، عن محمد بن عيسى القمى، عن محمد بن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام في قوله: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات فى محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم (فنسى) هكذا والله نزلت على محمد صلى الله عليه وآله»[١].

وأيضًا «على بن محمد، عن بعض أصحابه، عن أحمد بن أبى نصر قال: دفع إلى أبو الحسن عليه السلام مصحفًا وقال لا تنظر فيه، ففتحه وقرأت فيه «لم يكن الذين كفروا» فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فابعث إلى بالمصحف»[٢].

وأين هذا القرآن الآن؟

روى الكلينى أيضًا عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن. عن عبد الرحمن بن أبى هاشم ، عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبى عبد الله عليه السلام وأنا استمع حروفًا من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام قرأ كتاب الله عز وجل على حد ما يقولون. وأخرج المصحف الذى كتبه على عليه السلام وقال: أخرجه على عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله، وقد جمعته من اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدًا، إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لتقرؤه»[٣].

ومثل هذه الروايات كثيرة فى أوثق كتاب من كتب القوم، الذى عرض على الإمام الغائب فأوثقه وجعله كافيًا لشيعته، والكلينى روى هذا الروايات من أئمته المعصومين وأنهم كانوا يقولون بالتحريف فى القرآن الموجود بأيدى الناس. كما كانوا يوعزون إلى شيعتهم أن يعتقدوا بمثل هذا الاعتقاد. ولقد وردت فى هذه الروايات الثمانية عقيدة الأربعة من الأئمة– على بن أبى طالب، محمد الباقر، ابنه جعفر، وأبى الحسن[٤] وفى

(١) أيضًا ج١ ص١٦.
(٢) «الكافى» فى الأصول، كتاب فضل القرآن ج٢ ص ٦٣١.
(٣) أيضًا ج٢ ص٦٣٣.
(٤) كل هذه الروايات خرافات وأباطيل، لا صحة لها مطلقًا وبتاتًا لأن هولاء الأجلة مبرؤون عما يتهمهم هؤلاء الأفاكون الكذابون، وأعتقادهم فى القرآن اعتقاد جميع المسلمين– وهم قادتهم وقدوتهم أن القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وضمن الله حفظه بقوله: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون».

الكتاب إثبات لهذه العقيدة من أئمته الآخرين الذين لم نورد رواياتهم للسبب الذى ذكرناه آنفًا، وسوف تأتى فى محلها إن شاء الله.

ونذكر بعد هذا كتابًا آخر قديمًا، معتمدًا عند القوم، وهو الكتاب الذى ألف أيضًا فى زمن أئمة الشيعة المعصومين لديهم. ألا وهو تفسير القمى.

فالقمى على بن إبراهيم هو شيخ مشائخ الشيعة فى الحديث وفى التفسير، حيث أن محمد بن يعقوب الكلينى صاحب أهم كتاب من الصحاح الأربعة الشيعية أكثر الرواية عنه فى كتابه (الكافى) فهو تلميذه، وقال عنه النجاشى: ثقة فى الحديث، ثبت، معتمد، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنف كتبًا، وله كتاب التفسير»[1].

و «هو من أجل رواة أصحابنا، ويروى عنه مشائخ أهل الحديث، ولم نقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان حيًا فى سنة ٣٠٧هـ»[2].

و «كان فى عصر أبى الحسن محمد الإمام العسكرى ﷺ»[3].

هذا وكتبوا عن تفسيره:

أولاً: إن هذا التفسير أصل أصول للتفاسير الكثيرة.

ثانيًا: إن رواياته مروية عن الصادقين عليهما السلام مع قلة الوسائط والإسناد ولهذا قال فى الذريعة: إنه فى الحقيقة تفسير الصادقين عليهما السلام.

ثالثًا: مؤلفه كان فى زمن الإمام الحسن العسكرى ﷺ.

رابعًا: أبوه الذى روى هذه الأخبار لابنه كان صحابيًا للإمام الرضا ﷺ.

خامسًا: إن فيه علمًا جمًا من فضائل أهل البيت عليهم السلام التى سعى أعداؤهم لإخراجها من القرآن الكريم.

سادسًا: إنه متكفل لبيان كثير من الآيات القرآنية التى لم يفهم مرادها تمامًا إلا بمعونة إرشاد أهل البيت عليهم السلام التالين للقرآن»[4].

---

(١) «رجال النجاشى» ص١٨٣.

(٢) «الكنى والألقاب» ج٣ ص٦٨.

(٣) «الذريعة» لآغا بزرك الطهرانى ج٤ ص٣٠٢.

(٤) «مقدمة تفسير القمى» للسيد طيب موسوى الجزائر ص١٥.

فذاك القمي يذكر في مقدمة تفسيره:

«فالقرآن منه ناسخ ومنسوخ، ومنه محكم ومنه متشابه، ومنه عام ومنه خاص، ومنه تقديم ومنه تأخير، ومنه منقطع ومنه معطوف، ومنه حرف مكان حرف، ومنه على خلاف ما أنزل الله»(١).

الخميني والمذهب والقول بتحريف القرآن الكريم

إن العقل الإسلامي في جميع بقاع الأرض كان يتمنى ولا يزال أن يعرف من حكومة الفقهاء التي كان يرأسها الإمام الفقيه رأيًا قاطعًا في ما جاء في كتاب (الكافي للكليني ج٢ ومن ص٦٣٤) فيما أدعاه الكليني على علي بن الحكم بن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام – إلى محمد– عليه الصلاة والسلام– سبعة عشر ألف آية(٢).

وتعرف أمة الإسلام على امتداد قارات الدنيا أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم منذ تركه رسول الله في الناس ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية ومعنى هذا الكلام الذي رواه الكليني أن ثلثي القرآن ضاع وراح أدراج الرياح والموجود هو الثلث فقط فما رأي حكومة الفقهاء وأئمة المذهب؟ خاصة وأن عددًا كبيرًا من فقهائهم مثل جعفر ابن الباقر– كما ذكر الكليني– قال بذلك تحت ما ذكره الكليني (باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة– عليها السلام) كما أنه لم يشفع في رد هذه الدعوى النشرة التي توزع بمعرفة اللجان الشيعية في بعض البلاد لكاتب مجهول مغمور حول ما أسموه (أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة)(٣).

كما أننا كنا نتمنى أن نسأل الإمام الخميني سؤالاً محدد المعالم على أمل إجابة قاطعة منه أو ممن يخلفه تحدد موقف صاحب ولاية الفقيه والذي كان يريد تصدير ما يؤمن به من عقائد إلى بلاد أمم الإسلام: ما رأيه فيما كتبه محدث الشيعة النورسي والطبرسي وخاصة ما جاء في القسم الأخير من كتاب «فصل الخطأ في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»؟ وما رأيه فيما ألفه المدعو ثقة الإسلام الكليني في آخر كتاب (فضل

---

(١) «تفسير القمي» ج١ ص٥. (٢) الكليني (الكافي) جـ٢/ ٦٣٤.

(٣) وقعت بين أيدينا نسخة من هذا الكتيب في أحد المعارض الدولية للكتب وأضيفت إلي قائمة الكتب التي اشتريناها من الجناح المخصص لكتب الشيعة في هذا المعرض دون أن تكون مما طلبناه وبالأطلاع عليه تبين أنه كتاب يقدم دعوى بغير دليل ولا يخاطب إلا من يجهل حقيقة المذهب الإمامي وقواعده.

القرآن) من الكافى الذى أشرنا إليه سابقًا والمولى محمد صالح فى (شرح الكافى) عن كتاب سليم بن قيس الهلالى) الذى أدعى فيه أن أمير المؤمنين ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ وآله لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه ويؤلفه فلم يخرج من بيته حتى جمعه كله وكتب على تنزيله الناسخ والمنسوخ منه والمحكم والمتشابه والوعد والوعيد وكان ثمانية عشر ألف آية؟ عن على بن الحكم عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله ﷺ : القرآن الذى جاء به جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وآله- عشرة آلاف آية. فأى الروايتين أصح عند الأمام الخمينى. وما رأى الأمام الخمينى فيما نسب إلى الصادق جعفر من أنه قال: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا مسمين.

ومرة ثالثة نود أن يوضح علماء الشيعة فى موقف جماعى محدد لا يلجأون فيه إلى الأساليب الأفعوانية فى توجيه النصوص وتأويل الدلالات بحيث يضيع المعنى ويختفى الحكم حول الكتاب الذى أشرنا إليه للشيخ المحدث الحاج المرزة حسين النورى المتولد فى الثامن عشر من شهر شوال من سنة أربع وخمسين بعد المائتين والألف هجرية والمدفون فى إيوان حجرة بانو عظمى بنت سلطان الناصر لدين الله وهو أيوان الحجرة الثالثة القبلية عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف المرتضوى من الباب المرسوم بباب القبلة صاحب كتاب «فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب» الذى ترجمه بعض النصارى إلى لغاتهم ونشروه، وبداية الكتاب فى المقدمة الأولى خصصها المؤلف فى ذكر الأخبار التى وردت فى جمع القرآن وسبب جمعه وكونه فى معرض النقص بالنظر إلى كيفية الجمع وأن تأليفه يخالف تأليف المؤمنين.

والمقدمة الثانية كتبها فى بيان أقسام التغيير الممكن حصوله فى القرآن والممتنع دخوله فيه والمقدمة الثالثة فى ذكر أقوال العلماء فى تغيير القرآن وعدمه.

وعبر مقدمات وأقسام الكتاب يقول أنه كان لأمير المؤمنين- ﷺ قرآنًا مخصوصًا يخالف الموجود فى الترتيب وفيه زيادة ليست من الأحاديث القدسية ولا من القرآن الموجود وأدعى أن ابن عفان (رضى الله تعالى عنه) لما جمع القرآن أسقط بعض الكلمات والآيات وأن المصحف الموجود غير مشتمل لتمام ما فى مصحف (أبى) المعتبر عند الشيعة ونود أن نعرف وتعرف أمة الإسلام معنا ما أدعاه أئمة الغلو فى الرواية التى ساقها صاحب (فصل الخطاب) عن على بن النعمان عن أبيه عن عبد الله ابن مسكان عن أبى جعفر ﷺ أنه قال: (لولا أنه زيد فى القرآن ونقص ما خفى حقنا على ذى حجى، ولو قد قام قائمنا فنطق

صدقه القرآن. هذا وللقول المفترى من الغلاة حول القرآن الكريم ما لا يتسع له المقام فالموضوع فى منطلقاته وغاياته ينحصر فى التوجيه والتأثير الفارسى الذى كان وليد الاحتكاكات الإسلامية فى عصور المد والإنكماش وكان الهدف أن يتعرض كتاب الله لمثل ما تعرضت له كتب اليهود والنصارى فى الكتاب المقدس عندهم بعهديه القديم والجديد على السواء... وأود أن أنبه إلى أن المحاولات العصرية التى يحاول بها بعض الباحثين من أن يوهموا الناس بأن القول بتحريف القرآن الكريم لا يمثل اعتقادًا جوهريًا عند الإمامية تعتبر تجاوزات غير مقبولة من فقهاء الإمامية ذلك لأن التراث العقدى للإمامية فى هذا الموضوع يفيض بعشرات الأمثلة لمعتقدهم فى تحريف القرآن ومن العلماء المتأخرين الذين أرادوا تغطية مقولة الشيعة بتحريف القرآن الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه «أصل الشيعة وأصولها» والذى يقول فيه أن ما يعتقده الشيعة هو أن الكتاب الموجود فى أيدى المسلمين هو الكتاب الذى أنزل للإعجاز والتحدى ولتعليم الأحكام ولتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا إجماعهم وما ذهب منهم أو من غيرهم من فرق الغلاة إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم قال الله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ والأخبار الواردة من طرقنا وطرقهم الظاهرة فى نقضه أو نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علمًا ولا عملاً فأما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها عرض الحائط وهذا الكلام الذى يقوله شيعى معاصر لا يمثل رأى الأمامية ومن يقوله من الإمامية لا يقبله الفقهاء والأئمة منهم لأن عشرات بل ومئات النصوص فى أكثر كتب المذاهب تؤكد اعتقادهم بتحريف القرآن ونقصه وتدعى أن القرآن الكامل إنما يحتفظ به المهدى ولن يظهر إلا بظهوره وفى هذا يقول الكلينى فى كتابه (الكافى) عن أبى عبد الله قال: أن القرآن الذى جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشرة ألف آية ويعلق العلامة الشيخ أحسان الهى ظهير- رحمه الله- على هذا الزعم- فيقول: المعروف أن آيات القرآن تتجاوز عند الكلام عن سورة الدهر بجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومئتى آية وثلاثة وستون آية ومعنى هذا أن الشيعة عندهم أكثر من ثلثى القرآن وروى (الكلينى) فى (الكافى) خبرًا طويلاً عن جعفر الصادق تكلم فيه عن الجامعة والجفر ثم قال: وأن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال: قلت: وما مصحف فاطمة قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ويقول محب الدين الخطيب رحمه الله فى كتابه (الخطوط العريضة) معلقًا، أن ميرزا حسين بن

محمد تقى النورى الطبرسى وهو من أجل علماء الشيعة عندهم ألف سنة ١٩٢٢م كتاباً أسماه (فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)- وعند طبعة قامت ضجة لأنهم كانوا لا يريدون أن يبقى التشكيك فى صحة القرآن محصوراً بين ذلك كله فى كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات وخالفهم فيها مؤلفه وألف كتابًا آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)» وقد كتب هذا الدفاع فى آخر حياته قبل موته بنحو سنتين أكرمه الشيعة غاية التكريم عن هذا المجهود فى أثبات أن القرآن محرف بأن دفنوه فى ذلك المكان المقدس عندهم من بناء المشهد العلوى فى النجف عند القبر المنسوب إلى الإمام على ويقول الأستاذ محب الدين الخطيب: ومما استشهد به النورى الطبرسى على وقوع النقص من القرآن ايراده فى الصفحة رقم ١٨٠ من كتابه صورة تسميها الشيعة سورة (الولاية) مذكور فيها ولاية على وهى (يا أيها الذين آمنوا بالنبى والولى الذين بعثناهما بهدايتكم إلى الصراط المستقيم) وقد أطلع الثقة المؤمنون الأستاذ محمد على سعود الذى كان كبير خبراء وزارة العدل فى مصر ومن خواص تلاميذ الشيخ محمد عبده على مصحف إيرانى مخطوط عند المستشرق (براين) فنقل منه هذه السورة بالفوتوغراف وفوق سطورها العربية ترجمتها باللغة الإيرانية وقد أثبتها النورى الطبرسى فى كتابه «فصل الخطاب»، فإنها ثابتة أيضًا فى كتابهم «دبستان مذاهب» باللغة فإنها الإيرانية لمؤلفه «محسن فانى الكشميرى» وهو مطبوع فى إيران طبعات متعددة ونقل عنه هذه السورة المذكورة على الله مستشرق (نولد كه) فى كتابه (تاريخ المصاحف) جـ٢ ص١٠٢ ونشرتها الآسيوية الفرنسية عام ١٨٤٢م. فقد رد الصافى على الأستاذ محب الدين الخطيب فى كتابه (مع الخطيب) قائلاً فانظر ما فى كلامه من هذا الكذب الفاحش والافتراء البين ليس فى فصل الخطاب ولا فى صفحة ١٨٠ ولا فى غيره من أول الكتاب إلى آخره وذكره ذكر من هذه السورة المكذوبة على الله.. وقد نقل الأستاذ إحسان الهى ظهير نص كلام الطبرسى فى كتابه حيث يقول: (ونقصان السورة وهو جائز كسورة الحسد وسورة الخلع وسورة الولاية وعندما خصص الشيخ إحسان الهى ظهير لهذا الموضوع كتابًا واسعًا أسماه (الشيعة والقرآن) أورد فيه من المصادر الإمامية الفارسية والعربية عشرات بل مئات من أمثلة التحريف فى عقيدة القوم لم يستطع عالم إمامى واحد أن يجرؤ على القول بعدم صحة ما أورد الشيخ (أحسان الهى ظهير) الذى تبغضه الإمامية أشد البغض هذا وقد ذكر الأستاذان محب الدين الخطيب والشيخ

إحسان أمثلة عديدة لآيات من كتاب الله زاد فيها الشيعة عبارات زعموا أنها كانت فيه مثل ما نقله الأستاذ الخطيب من زعمهم أنه سقطت من سورة (ألم نشرح) آية (وجعلنا عليًا صهرك) وفي التدليل على ما ذهب إليه الغلاة من الإمامية من أعتقاد التحريف يطالعنا المؤرخ الثقة عندهم وهو الطبرسي في كتابه «الاحتجاج»، فيشرح كيف تم اعتقاد تحريف القرآن عند الرافضة فيقول «أنه لم توفى رسول الله جمع القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار فلما اتجه أبو بكر خرج في أول صفحة فضائح القوم «أي الصحابة فوثب عمر وقال يا على اردده فلا حاجة لنا فأخذه على وانصرف ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئًا للقرآن فقال له عمر أن عليًا جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن نؤلف القرآن وتسقط منه ما كان فيه من فضيحة وهتك فجاءه به زيد إلى ذاك ثم قال فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر على القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كل ما عملت قال عمر فما الحيلة قال زيد أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر ما حيلة دون أن نقتله ونستريح منه فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك فلما استخلف عمر سأله عليًا أن يرفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فقال عمر يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الذى كنت جئت به إلى أبى بكر حتى نجتمع عليه فقال هيهات ليس إلى ذاك سبيل إنما جئت به لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا ما جئتنا به إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدى فقال عمر فهل وقت لإظهاره معلوم. فقال ﷺ: نعم إذا قام القائم من ولدى يظهره ويحمل الناس عليه وذكر كمال الدين ميسم البحراني في شرح (نهج البلاغة) مطاعن الرافضة على عثمان بن عفان رضي الله عنه ومنها: (أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة وأحرق المصاحف وأبطل ما شك أنه ليس من القرآن المنزل وروى الكليني عن جابر النعفري قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: ما أدعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كما أنزل إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده. فالشيعة الإمامية على أن القرآن قد حرف على أيدى أصحاب رسول اللَّه وأن الذى تولى حفظه على بن أبى طالب ﷺ وأنه محفوظ عند المهدى ولن يظهر إلا بظهوره. يقول الكليني في الكافي «قرأ رجل على أبى عبد اللَّه ﷺ وأنا أسمع حروفًا من القرآن ليس على ما يقره الناس فقال أبو عبد اللَّه: كيف عن هذه القراءة وأقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم قرأ كتاب اللَّه عز وجل على حده. وأخرج المصحف.

من أخطر ما تعرض له المعاصرون من علماء وفقهاء الإمامية هو ما توارثوه من عقائد غلاة أسلافهم محدد المبادىء مستقر الدعائم عبر أجيال طويلة من عمر الوضاعين والرواة وكتاب العقائد الإمامية منذ عصر الغيبة الكبرى الذى يقولون به، وهو مقولتهم المزعومة فى أن كتاب الله تعالى تعرض للحذف والإضافة وعلى يد أصحاب رسول الله ﷺ!! ولما كان مثل هذا المعتقد الكفرى يمكن أن يحدث للمتأخرين نفورًا واشمئزازًا من قبل الرأى العالمى المسلم ناهيك عن سقوط دعوتهم التى رغبوا فى تصديرها للعالم بأسم الثورية فإن حكومة الفقهاء فى ظل المذهبية فى توجه الخومينى وبعث دعوات الغلو تتحفظ تجاهه كثيرًا.

والمهم أن هذا الموضوع هو طرح هذا السؤال هل الإمام الخومينى مؤسس دولة المذهب المعاصرة كان ممن يقول بأن القرآن الكريم تعرض للحذف والإضافة، أى أن الرجل يعتقد بتحريف القرآن الكريم. وفى ضوء هذا السؤال تتوارد أسئلة عديدة.

وبادئ ذى بدء فإنا نوجه هذه الأسئلة إلى من يقومون على تفسير وتحليل وتقديم عقيدة ومنهج الإمام الخومينى ومن أولها: ما رأى علماء الإمامية الكبار منهم فى جملة الأحاديث التى يرى أهل السنة أنها مفتراة ومدسوسة والتى بلغت عند أئمة المذهب أكثر من ألفى حديث كما يقول العالم الحجة عند جميع الإمامية (نعمة الله الجزائرى) هل يرون مع أهل السنة أنها مفتراة ومدسوسة ومن ثم فإن جميع ما صدر عن القائلين بها يعتبر مرفوضًا وغير مقبول وعند المسلمين نقيض عقدى لما يؤمنون به.

وإذا كان يرى ذلك فلماذا كل عمليات النشر والتوزيع لمثل هذا التراث الإمامى ولماذا يخرج للناس بغير تعليق أو نقد أو توجيه وما الرأى فيما يقوله الشيخ «المفيد» فى كتابه «أوائل المقالات» وهو يتطاول على أصحاب رسول الله ويقول عنهم مقالات كفرية خاصة ما جاء بشأن القرآن الكريم حين يقول عنه: (واتفقوا أى الإمامية- على أن أئمة الضلال خالفوا فى كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبى ﷺ وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية[1].

وهؤلاء الأئمة من على شاكلة «المفيد» والطبرسى، والحرملى والصافى وغيرهم محترمون ومقدمون بل ومقدسون عند القدماء والمحدثين وجماعة المذهب ولا يزال السؤال

---

(١) الخومينى (تحرير الوسيلة ٨جـ١/ ١٤٩ بيروت عام ١٩٨٧ بإشراف سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

قائمًا: هل كان الخوميني ممن يقول بتحريف القرآن الكريم كشأن أئمة الشيع الروافض.

وفى تقديرنا أن الخوميني الذى يستقى من بين مصادره أحاديث من كتاب «مستدرك الوسائل» ويترحم على صاحبة ويثنى عليه. وهو صاحب الفتنة من القرون المتأخرة حين كتب الكتاب الخبيث «فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» كما أنه يعتمد كثيرًا على «الكليني» صاحب كتاب «الكافى» الذى سبق لنا وأن تعرضنا له فى الصفحات السابقة، لابد وأنه يعتقد بمثل ما تقوله هذه المصادر.

لكن الدعوى التى نقيمها على الرجل وهو فى ذمة الله قد تكون لا تزال بحاجة إلى دليل ونحن هنا نثبت ما ورد فى كتاب الخوميني (تحرير الوسيلة جـ١ ص١٣٩ الكلام على المسألة رقم ١٧ والتى عنوانها «يكرة تعطيل المسجد- وقد ورد أنه أحد الثلاثة الذين يشكون إلى الله عز وجل يوم القيامة).

وبالرجوع إلى أحد مصادر الشيعة المعتمدة وهو كتاب «الخصال» لابن بابويه القمى المسمى عندهم «بالصدوق» وجدنا أن هذا النص ورد بلفظين أحدهما:

«يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل. المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف يا رب حرفونى ومزقونى»(١).

وفى هذا النص إشارة لإعتقاد الشيعة تحريف القرآن والنص الآخر «ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل. مسجد خراب لا يصلى فيه أهله، وعالم بين جهال ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه»(٢).

ومن الواضح أن الخوميني أورد النص الأخير، ولم يشر إلى الرواية الأخرى.

وهنا يظهر المراد من قوله (ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه «أنه بالقطع يشير به إلى معتقد الإمامية فى المصحف الكامل الغائب عند الإمام الغائب فإذا ما أضفنا هذاالدليل إلى عقيدة الخوميني فى أصحاب رسول الله ﷺ وخاصة الخلفاء الثلاثة من بعده أدركنا أن الإمامية المعاصرة التى بعثها خوميني ممن يقولون بتحريف القرآن الكريم. لكن دعوات الاستنكار والتصحيح التى قام مؤخرًا علماء إمامية تدعو للأمل فى تصحيح عقائد الغلاة.

---

(١) ابن بابويه- (الخصال) جـ ١ / ١٧٤- ١٧٥.

(٢) المرجع السابق ص١٤٢.

وللتدليل والبرهنة على أن معتقد الشيعة فى القرآن الكريم يخالف عقيدة المسلمين نورد هذه الأمثلة:

والتى منها على ضوء ما ذكره الجزائرى فى كتابه الأنوار النعمانية ٢/ ٣٥٧، ٣٥٨: من «إن من تسليم تواترها (القراءات السبع) عن الوحى الإلهى وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضى إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف فى القرآن كلامًا ومادة وإعرابًا، مع أن أصحابنا رضوان الله عليهم قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها[١]. نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسى. وحكموا بأن ما بين دفتى المصحف هو القرآن المنزل لا غير ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل».

«والظاهر أن هذا القول[٢] إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها سد باب الطعن أنه إذا جاز هذا فى القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز لحوق التحريف لها[٣].

ويمضى نعمة الله الجزائرى فيقرر أن أيادى الصحابة امتدت إلى القرآن وحرفته وحذفت منه الآيات التى تدل على فضل الأئمة فيقول ١/ ٩٧: «ولا تعجب من كثرة الأخبار الموضوعة[٤]» فإنهم بعد النبى ﷺ قد غيروا وبدلوا فى الدين ما هو أعظم من هذا كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والأئمة الطاهرين وفضائح المنافقين وإظهار مساوئهم كما سيأتى بيانه فى نور القرآن[٥].

ويعزف الجزائرى على النغمة المشهورة عند الشيعة بأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا على رضوان الله عليه وأن القرآن الصحيح عند المهدى وأن الصحابة ما صحبوا النبى ﷺ، إلا لتغيير دينه وتحريف القرآن فيقول ٢/ ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢:

---

(١) يقصد صحة وتصديق الروايات التى تذكر بأن القرآن تحرف.

(٢) أى إنكار التحريف.

(٣) وهذا الكلام الصادر عن إمام كالجزائرى يعنى أن تحولهم أى المنكرين للتحريف ليس عن عقيدة بل لأجل مصالح أخرى.

(٤) يقصد الأحاديث التى تروى مناقب الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا.

(٥) ونور القرآن هذا فصل فى كتابه الأنوار النعمانية.

«قد استفاض فى الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فبقى بعد موته ستة أشهر مشتغلاً بجمعه، فلما جمعه كما أنزل أتى به على المتخلفين بعد رسول الله ﷺ قال لهم: هذا كتاب الله كما أنزل فقال له عمر بن الخطاب: لا حاجة بنا إليك ولا إلى قرآنك، عندنا قرآن كتبه عثمان قد كان من كتاب الوحى لمصلحة رآها ﷺ وهى أن لا يكذبوه فى أمر القرآن بأن يقولوا إنه مفترى أو أنه لم ينزل به الروح الأمين كما قاله أسلافهم، بل قالوه أيضًا، وكذلك جعل معاوية من الكتاب قبل موته بستة أشهر لمثل هذه المصلحة أيضًا وعثمان وأضرابه ما كانوا يحضرون إلا فى المسجد مع جماعة الناس فما يكتبون إلا ما نزل به جبرائيل عليه السلام. أما الذى يأتى به داخل بيته فلم يكن يكتبه إلا أمير المؤمنين عليه السلام لأن له المحرمية دخولاً وخروجًا فكان ينفرد بكتابة مثل هذا وهذا القرآن الموجود الآن فى أيدى الناس هو خط عثمان، سموه الإمام وأحرقوا ما سواه أو أخفوه، وبعثوا به زمن تخلفه إلى الأقطار والأمصار ومن ثم ترى قواعد خطه تخالف العربية».

وقد أرسل عمر بن الخطاب زمن تخلفه إلى على عليه السلام بأن يبعث له القرآن الأصلى الذى هو ألفه وكان عليه السلام يعلم أنه طلبه لأجل أن يحرقه كقرآن ابن مسعود أو يخفيه عنده حتى يقول الناس: إن القرآن هو هذا الكتاب الذى كتبه عثمان لا غير فلم يبعث به إليه وهو الآن موجود عند مولانا المهدى عليه السلام مع الكتب السماوية ومواريث الأنبياء ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام إلى سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا لما فيه من إظهار شنعه على من سبقه كما لم يقدر على النهى عن صلاة الضحى، وكما لم يقدر فى إجراء المتعتين متعة الحج ومتعة النساء. وقد بقى القرآن الذى كتبه عثمان حتى وقع إلى إيدى القراء فتصرفوا فيه بالمد والإدغام والتقاء الساكنين مثل ما تصرف فيه عثمان وأصحابه وقد تصرفوا فى بعض الآيات تصرفًا نفرت الطباع منه وحكم العقل بأنه ما نزل هكذا.

وأما الفيض الكاشانى (المتوفى ١٠٩١هـ): وهو من كبار علمائهم فقد صرح بالتحريف وهو صاحب التفسير العمدة عندهم «تفسير الصافى».

قال فى مقدمة تفسيره معللاً تسمية كتابه بهذا الاسم «وبالحرى أن يسمى هذا التفسير بالصافى لصفائه عن كدورات آراء العامة والملل والمحير»[1].

وقد مهد لكتابه هذا باثنتى عشرة مقدمة، خصص المقدمة السادسة لإثبات تحريف القرآن وعنوان لهذه المقدمة بقوله (المقدمة السادسة فى نبذ ما جاء فى جمع القرآن،

---

(١) انظر تفسير الصافى- منشورات مكتبة الصدر طهران- إيران ج١- ١٣.

وتحريفه وزيادته ونقصه، وتأويل ذلك»[1].

وبعد أن ذكر الروايات التى استدل بها على تحريف القرآن، والتى نقلها من أوثق المصادر المعتمدة عندهم، خرج بالنتيجة التالية فقال: «والمستفاد من هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذى بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو غير محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم على عليه السلام، فى كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرة، ومنها أسماء المنافقين فى مواضعها، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضًا على الترتيب المرضى عند الله، وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم»[2]. ثم ذكر بعد ذلك هذا أن القول بالتحريف اعتقاد كبارالمشايخ الإمامية وفى ذلك يقول: «وأما اعتقاد مشايخنا رضى الله عنهم فى ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان فى القرآن، لأنه كان روى روايات فى هذا المعنى فى كتابه الكافى، ولم يتعرض لقدح فيها، مع أنه ذكر فى أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه، وكذلك أستاذه على بن إبراهيم القمى رضي الله عنه فإن تفسيره مملوء منه، ولو غلو فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبى طالب الطبرسى رضي الله عنه فإن أيضًا نسج على منوالهما فى كتاب الإحتجاج، وكذلك من أئمة الشيعة المعتبرين الذين يقولون بتحريف القرآن الإمام أبو منصور أحمد بن منصور الطبرسى (المتوفى سنة ٦٢٠هـ):

فقد روى فى الاحتجاج عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه أنه قال: «لما توفى رسول الله ﷺ، جمع على عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ فلما فتحه أبو بكر خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا على اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم احضروا زيد بن ثابت- وكان قارئًا للقرآن- فقال له عمر: إن عليًا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن، ونسقط منه ما كان فضيحة وهتكا للمهاجرين والأنصار. فأجابه زيد إلى ذلك.... فلما استخلف عمر سأل عليًا أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم».

ويزعم الطبرسى أن الله تعالى عندما ذكر قصص الجرائم فى القرآن صرح بأسماء مرتكبيها لكن الصحابة حذفوا هذه الأسماء، فبقيت القصص مكنة . بقول: «إن الكناية عن

(١) نفس المصدر السابق صفحة ٤٠.

(٢) نفس المصدر ١/ ٤٩.

أسماء أصحاب الجرائر العظمة من المنافقين فى القرآن، ليست من فعله تعالى، وإنما من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضين، واعتاضوا الدنيا من الدين»[١].

ولم يكتف الطبرسى بتحريف ألفاظ القرآن، بل أخذ يؤول معانيه تبعًا لهوى نفسه، فزعم أن فى القرآن الكريم رموزًا فيها فضائح المنافقين، وهذه الرموز لا يعلم معانيها إلا الأئمة من آل البيت، ولو علمها الصحابة لأسقطوها مع ما أسقطوا منه[٢].

هذه هى عقيدة الطبرسى فى القرآن، وما أظهره لا يعد شيئًا مما أخفاه فى نفسه، وذلك تمسكًا بمبدأ (التقية) يقول: «لو شرحت لك ما أسقط وحرف بدل مما يجرى هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء، ومثالب الأعداء»[٣].

ويقول فى موضع آخر محذرًا الشيعة من الإفصاح عن «التقيه» وليس يسوغ مع عموم التصريح بأسماء المبدلين. ولا الزيادة فى آياته على ما أثبتوه من تلقائهم فى الكتاب، لما فى ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل، والكفر، والملل المنحرفة عن قبلتنا، وإبطال هذا العلم الظاهر، الذى قد استكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الائتمار لهم والرضا بهم، ولأن أهل الباطل فى القديم والحديث أكثر عددًا من أهل الحق»[٤]، وكذلك من الأئمة الذين يعتبرون من الثقات عن الشيعة ومراجع وآيات الإمام محمد باقر المجلسى الذى يرى أن أخبار التحريف متواترة ولا سبيل إلى إنكارها وروايات التحريف تسقط أخبار الإمامة المتواترة على حد زعمهم فيقول فى كتابه «مرآة العقول فى شرح أخبار آل الرسول» الجزء الثانى عشر ص٥٢٥ فى معرض شرحه حديث هشام بن سالم عن أبى عبد الله ﷺ قال: إن القرآن الذى جاء به جبرائيل ﷺ إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية قال عن هذا الحديث: «موثق، وفى بعض النسخ عن هشام بن سالم موضع هارون بن سالم، فالخبر صحيح. ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة فى نقص القرآن وتغييره وعندى أن الأخبار فى هذا الباب متواتره معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظنى أن الأخبار فى هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة فكيف يثبتونها بالخبر؟ «أى كيف يثبتون الإمامه إذا طرحوا أخبار التحريف؟

وأيضًا يستبعد المجلسى أن تكون الآيات الزائدة تفسيرًا.

---

(١) تفسير الصافى ج١/ ٥٢.   (٢) الاحتجاج للطبراسى- منشورات الأعلى- بيروت ج١ ١٥٥.

(٣) الاحتجاج للطبراسى- منشورات الأعلى- بيروت ج١ ص٢٤٩.

(٤) المصدر السابق.

وأيضًا بوب في كتابه «بحار الأنوار» بابًا بعنوان «باب التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله» وعلى الدرب نفسه يعد الشيخ محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد والذي يعد من مؤسسي المذهب- فقد نقل إجماعهم على التحريف ومخالفتهم لسائر الأمة الإسلامية في هذه العقيدة.

قال في (أوائل المقالات): «واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف، واتفقوا على إطلاق لفظ: «البداء» في وصف الله تعالى، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس، واتفقوا على أن أئمة[1] الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجمعت المعتزلة والخوارج، والزيدية، والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه»[2].

وقال أيضًا: إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه الظالمين فيه من الحذف والنقصان[3].

وقال أيضًا[4] حين سئل في كتابه «المسائل السروية» ما قولك في القرآن. أهو ما بين الدفتين الذي في أيدي الناس أم هل ضاع ما أنزل الله على نبيه ﷺ منه شيء أم لا وهل هو ما جمعه أمير المؤمنين (ع) أما ما جمعه عثمان على ما يذكره المخالفون.

وأجاب: إن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله تعالى وتنزيله وليس فيه شيء من كلام البشر وهو جمهور المنزل والباقي مما أنزله الله تعالى قرآنا عند المستحفظ للشريعة المستودع للأحكام لم يضع منه شيء وإن كان الذي جمعه ما بين الدفتين الآن لم يجعله في جملة ما جمع لأسباب دعته إلى ذلك منها: قصوره عن معرفة بعضه. ومنها ما عمد بنفسه ومنها: ما تعمد إخراجه. وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من أوله إلى آخره وألفه بحسب ما وجب تأليفه فقدم المكي على المدني والمنسوخ على الناسخ وضع كل شيء منه في حقه ولذلك قال جعفر بن محمد الصادق: أما والله لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتمونا فيه مسمين كما سمي من كان قبلنا إلى أن قال غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا

---

(١) يقصد الصحابة.

(٢) أوائل المقالات ص ٤٨- ٤٩ دار الكتاب الإسلامي- بيروت.

(٣) المصدر السابق ص٩١.

(٤) المصدر السابق ج١٢/ ٥٢٥ دار الكتب الإسلامية ايران.

عليهم السلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا نتعداه بلا زيادة ولا نقصان منه إلى أن يقوم القائم (ع) فيقرئ الناس القرآن على ما أنزل الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام ونهونا عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت فى المصحف لأنها لم تأت على التواتر وإنما جاء بالآحاد وقد يغلط الواحد فيما ينقله ولأنه حتى قرأ الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه مع أهل الخلاف وأغرى به الجبارين وعرض نفسه للهلاك فمنعونا (ع) من قراءة القرآن بخلاف ما يثبت بين الدفتين. وأما أبو الحسن العاملى فقد قال فى المقدمة الثانية لتفسير مرآة الآنوار ومشكاة الأسرار ص٣٦: «أعلم أن الحق الذى لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها، أن هذا القرآن الذى فى أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغيرات وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرًا من الكلمات والآيات، وأن القرآن المحفوظ عما ذكر الموافق لما أنزله الله تعالى، ما جمعه إلا على عليه السلام وحفظه إلى أن وصل إلى ابنه الحسن عليه السلام، وهكذا كما ورد صريحًا فى حديث سنذكره لما أن كان الله عز وجل قد سبق فى علمه الكامل صدور تلك الأعمال الشنيعة من المفسدين فى الدين، وأنهم بحيث كلما اطلعوا على تصريح بما يضرهم ويزيد فى شأن على عليه السلام وذريته الطاهرين، حاولوا إسقاط ذلك أو تغييره محرفين. وكان فى مشيئته الكاملة ومن ألطافه الشاملة محافظة أوامر الإمامة والولاية ومحاربة مظاهر فضائل النبى ﷺ والأئمة بحيث تسلم عن تغيير أهل التضييع والتحريف ويبقى لأهل الحق مفادها مع بقاءالتكليف. لم يكتف بما كان مصرحًا به منها فى كتابه الشريف بل جعل بيانها بحسب البطون وعلى نهج التأويل وفى ضمن بيان ما تدل عليه ظواهر التنزيل وأشار إلى جمل من برهانها بطريق التجوز والتعريض والتعبير عنها بالرموز والتوريه وسائر ما هو من هذا القبيل حتى تتم حججه على الخلائق جميعها ولو بعد إسقاط المسقطين ما يدل عليها صريحًا بأحسن وجه وأجمل سبيل ويستبين صدق هذا المقال بملاحظة جميع ما نذكره فى هذه الفصول الأربعة المشتملة على كل هذه الأحوال.

وقد جعل أبو الحسن العاملى الفصل الرابع من المقدمة الثانية ردًا على من أنكر التحريف. وعنوانها هو «بيان خلاصة أقوال علمائنا فى تغيير القرآن وعدمه وتزييف استدلال من أنكر التغير حيث قال:

اعلم أن الذى ظهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكلينى طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان فى القرآن لأنه روى روايات كثيرة فى هذا المعنى فى كتاب الكافى

الذى صرح فى أوله بأنه كان يثق فيما رواه فيه ولم يتعرض لقدح فيها ولا ذكر معارض لها، وكذلك شيخه على بن إبراهيم القمى فإن تفسيره مملوء منه وله غلو فيه قال رحمه الله فى تفسيره: أما ما كان من القرآن خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(1) فإن الصادق عليه السلام قال لقارئ هذه الآية: خير أمة؟: يقتلون عليًا والحسين بن على عليه السلام؟ فقيل له: فكيف نزلت؟ فقال: إنما نزلت خير أئمة أخرجت للناس: ألا ترى مدح الله لهم فى آخر الآية: تأمرون بالمعروف الآية ثم ذكر رحمه الله آيات عديدة من هذا القبيل ثم قال: وأما ما هو محذوف منه فهو قوله تعالى: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ [النساء:١٦٦]، فى على قال: كذا نزلت أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ثم ذكر أيضًا آيات من هذا القبيل ثم قال: وأما التقديم فإن آية عدة النساء الناسخة التى هى أربعة أشهر قدمت على المنسوخة التى هى سنة وكذا قوله تعالى: ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة ﴾ فإنما هو يتلوه شاهد منه إمامًا ورحمة ومن قبله كتاب موسى ثم ذكر أيضًا بعض آيات كذلك ثم قال وأما الآيات التى تمامها فى سورة أخرى: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة:٦١]، وتمامها فى سورة المائدة: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [المائدة:٢٢]، ونص الآية فى سورة البقرة ونصفها فى سورة المائدة ثم ذكر آيات من هذا القبيل ولقد قال بهذا القول أيضًا ووافق القمى والكلينى جماعة من أصحابنا المفسرين، كالعياشى، والنعمانى، وفرات بن إبراهيم، وغيرهم وهو مذهب أكثر محققى محدثى المتأخرين، وقول الشيخ الأجل أحمد بن أبى طالب الطبرسى كما يناء به كتابه الاحتجاج وقد نصره شيخنا العلامة باقر علوم أهل البيت عليهم السلام وخادم أخبارهم عليهم السلام فى كتابه بحار الأنوار، وبسط الكلام فيه بما لا مزيد عليه وعندى فى وضوح صحة هذا القول بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع. وأنه من أكبر مفاسد غصب الخلافة فتدبر حتى تعلم وهم الصدوق فى هذا المقام حيث قال فى اعتقاداته بعد أن قال: اعتقادنا أن القرآن الذى أنزل الله على نبيه هو ما بين الدفتين وما فى أيدى الناس ليس بأكثر من ذلك وأن من نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب وتوجيه كون مراد علماء تدل فاسد، إذ أن على بن إبراهيم الغالى فى هذا القول منهم نعم قد بالغ فى إنكار هذا الأمر السيد المرتضى فى جواب المسائل

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

الطرابلسيات، وتتبعه أبو على الطبرسى فى مجمع البيان حيث قال أما الزيادة فى القرآن فمجمع على بطلانه.

وأما النقصان فيه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن فى القرآن تغييرًا ونقصانًا والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذى نصره المرتضى قدس روحه وكذا تبعه شيخه الطوسى فى التبيان حيث قال: وأما الكلام فى زيادته ونقصانه يعنى القرآن فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانه وأما النقصان منه فالظاهر أيضًا من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا كما نصره المرتضى وهو الظاهر من الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة العامة والخاصة بنقصان من أى القرآن، ونقل شىء منه من موضع إلى موضع، لكن طريقها الآحاد التى توجب علمًا فالأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها ولو صحة لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين فإن ذلك معلوم حتى لا يعترضه أحد من الأمة ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يريد من اختلاف الأخبار فى الفروع إليه وعرضها عليه فما وافقه عمل به وما يخالفه يجتنب ولا يتلفت إليه وقد وردت عن النبى ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه قال: «إنى مخلف فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى وأنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض» وهذا دليل على أنه موجود فى كل عصر لأنه لا يجوز أن يأمر الأمة بالتمسك بما لا تقدر على التمسك به، كما إن أهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل فى كل وقت وإذا كان الموجود بيننا مجمعًا على صحته فينبغى أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه.

أقول: أما إداعائهم عدم الزيادة أى زيادة آية أو آيات مما لم يكن من القرآن فالحق كما قالوا إذ لم نجد فى أخبارنا المعتبرة ما يدل على خلافه سوى ظاهر بعض فقرات خبر الزنديق فى الفصل السابق وقد وجهنا بما يدفع عنه هذا الاحتمال، وفى روايات العياشى أن الباقر عليه السلام قال: إن القرآن قد طرح منه أى كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت بها الكتبة وتوهمتها الرجال، وأما كلامهم فى مطلق التغيير والنقصان فبطلان بعد أن نبهنا عليه أوضح من أن يحتاج إلى بيان وليت شعرى كيف يجوز لمثل الشيخ أن يدعى أن عدم النقصان ظاهر الروايات مع أننا لم نظفر على خبر واحد يدل عليه، نعم دلالتها على كون التغيير الذى وقع غير مخل بالمقصود كثيرًا كحذف اسم على وآل محمد ﷺ وحذف أسماء المنافقين وحذف بعض الآيات وكتمانه ونحو ذلك وإن بأيدينا كلام الله وحجة علينا

كما ظهر من خبر طلحة السابق فى الفصل الأول مسلمة، ولكن بينه وبين ما ادعاه بون بعيدًا وكذا قوله رحمه الله «إن الأخبار الدالة على التغيير والنقصان من الآحاد التى لا توجب علمًا» مما يبعد صدوره عن مثل الشيخ لظهور أن الآحاد التى احتج بها الشيخ فى كتبه وأوجب العمل عليها فى كثير من مسائله الخلافية ليست بأقوى من هذه الأخبار لا سندًا ولا دلالة على أنه من الواضحات البينة أن هذه الأخبار متواترة معنى مقترنة بقرائن قوية موجبة للعلم العادى بوقوع التغيير ولو تحملا أحد للشيخ بأن مراده أن هذه الأخبار ليست بحد معارضة ما يدل على خلافها من أدلة المنكرين، فجوابه بعد الإغماض عن كونه تحملاً سمجًا ما سنذكره من ضعف مستند المنكرين ومن الغرائب أيضًا أن الشيخ ادعى امكان تأويل هذه الأخبار وقد أحطت خبرًا بأن أكثرهامما ليس يقابل للتوجه، وأما قوله: ولو صحت إلخ فمشتملة على أمور غير مضرة لنا بل بعضها لنا لا علينا إذ: منها عدم استلزام صحة أخبار التغيير والنقص، الطعن على ما فى هذه المصاحف، بمعنى عدم وجود منافات بين وقوع هذا النوع من التغيير وبين التكليف بالتمسك بهذا التغير والعمل على ما فيه لوجوه عديدة كرفع الحرج ودفع ترتيب الفساد وعدم التغيير بذلك من إفادة الأحكام وهو أم مسلم عندنا ولا مضرة فيه علينا بل به نجمع بين أخبار التغيير وما ورد فى اختلاف الأخبار من عرضها على كتاب الله والأخذ بالموافق له.

ومنها استلزام الأمر بالتمسك بالثقلين وجود القرآن فى كل عصر ما دام التكليف كما أن الإمام ﷺ الذى قرينه كذلك ولا يخفى أنه أيضًا غير ضار بل نافع إذ يكفى فى وجوده فى كل عصر وجوده جميعًا كما أنزل الله مخصوصًا عند أهله أى الأمام الذى قرينه ولا يفترق عنه ووجود ما احتجنا إليه عندنا وإن لم نقدر على الباقى كما أن الإمام الذى هو الثقل الآخر أيضًا كذلك لاسيما فى زمان الغيبة فإن الموجود عندنا حينئذ خياره وعلماؤه القائمون مقامه إذ من الظواهر أن الثقلين سيان فى ذلك ثم ما ذكره السيد المرتضى لنصرة ما ذهب إليه أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة فإن العناية اشتدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته وبلغت حدًا لم تبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته، الغاية حتى عرفوا كل شىء اختلفوا فيه من إعرابه وقرائته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرًا أو منقوصًا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وذكر أيضًا أن العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه فى صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه

والمازنى مثلاً فإن أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمون من جملتها حتى لو أن مدخلاً أدخل فى كتاب سيبويه مثلاً بابًا فى النحو ليس من الكتاب يعرف ويميز ويعلم أنه ليس من الكتاب إنما هو ملحق، ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء، وجوابه[1]: أنا لا نسلم توفر الدواعى على ضبط القرآن فى الصدر الأول وقبل جمعه كما ترى غفلتهم عن كثير من الأمور المتعلقة بالدين ألا ترى اختلافهم[2] فى أغفال الصلاة التى كان النبى ﷺ يكررها معهم فى كل يوم خمس مرات على طرفى النقيض؟ ألا تنظر إلى أمر الولاية وأمثالها؟ وبعد التسليم نقول إن الدواعى كما كانت متوفرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كذلك كانت متوفرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية المغيرين للخلافة لتضمنه ما يضاد رأيهم وهو أهم والتغيير فيه إنما وقع قبل انتشاره فى البلدان واستقراره على ما هو عليه الآن والضبط الشديد إنما كان بعد ذلك فلا تنافى بينهما.

وأيضًا إن القرآن الذى هو الأصل لما أنزل اللّه سبحانه لم يتغير ولم يتحرف بل هو على ما هو عليه محفوظ عند أهله وهم العلماء به فلا تحريف كما صرح به الإمام فى حديث سليم الذى فى كتاب الاحتجاج فى الفصل الأول وإنما التعبير فى كتابه المغيرين أياه وتلفظهم به فإنهم ما غيروا إلا عند نسخهم القرآن فالمحرف إنما هو ما أظهروه لأتباعهم والعجب من مثل السيد[3] أن يتمسك بأمثال هذه الأشياء التى هى محض الاستبعاد بالتخيلات فى مقابل متواتر الروايات فتدبر.

ومما ذكر أيضًا لنصرة مذهبه طاب ثراه أن القرآن كان على عهد رسول اللّه ﷺ مجموعًا مؤلفًا على ما هو عليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ فى ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له وإن كان يعرض على النبى ويتلى، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد اللّه بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى ﷺ عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعًا مرتبًا غير مبتور ولا مبثوث وذكر أن من خالف فى ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم، فإن الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارًا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته.

---

(١) هنا يرد أبو الحسن العاملي على استدلالات المرتضى التى جاء بها لكى ينكر التحريف.

(٢) يقصد اختلاف الصحابة رضى الله عنهم. (٣) يقصد السيد المرتضى.

وجوابه: أن القرآن مجموعًا فى عهد النبى ﷺ على ما هو عليه الآن غير ثابت بل غير صحيح وكيف كان مجموعًا وإنما كان ينزل نجومًا وكان لا يتم إلا بتمام عمره ولقد شاع وذاع وطرق الأسماع فى جميع الأصقاع أن عليًا عليه السلام قعد بعد وفاة النبى ﷺ فى بيته أيامًا مشتغلاً بجمع القرآن وأما درسه وختمه فإنما كانوا يدرسون ويختمون ما كان عندهم منه، لإتمامه ومن أعجب الغرائب أن السيد حكم فى مثل هذا بالخيال الضعيف الظاهر خلافه بكونه مقطوع الصحة حيث أنه كان موافقًا لمطلوبه واستضعف الأخبار التى وصلت فوق الاستفاضة عندنا وعند مخالفينا بل كثرت حتى تجاوزت عن المائة مع موافقتها للآيات والأخبار فى المقالة السابقة كما بينا فى آخر الفصل الأول من مقدمتنا هذه ومع كونه مذكورة عندنا فى الكتب المعتبرة المعتمدة كالكافى مثلاً بأسانيد معتبرة وكذا عندهم فى صحاحهم كصحيحى البخارى ومسلم مثلاً الذى هما عندنا كما صرحوا به تالى كتاب الله فى الصحة والاعتماد بمحض أنها دالة على خلاف المقصود وهو أعرف بما قال والله أعلم.

ثم ما استدل به المنكرون بقوله: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ نَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2] فجوابه[3] بعد تسلم دلالتها على مقصودهم ظاهر مما بيناه من أن أصل القرآن بتمامه كما أنزل الله عند الإمام ووراثه عن على عليه السلام فتأمل والله الهادئ وكذلك من أئمة المزاعم بأن القرآن الكريم تعرض للحذف والإضافة ما قاله سلطان محمد بن حيدر الخرساني الذى قال: «اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقصان والتحريف والتعبير فيه بحيث لا يكاد يقع شك فى صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقصان والتغيير هى فى مدركاتهم من القرآن كلفة لا فى لفظ القرآن كلفة، ولا يليق بالكاملين فى مخاطباتهم العامة، لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص وصرف اللفظ عن ظاهرة من غير صارف، وما توهموا صارفًا من كونه مجموعًا عندهم فى زمن النبى وكانوا يحفظون ويدرسونه، وكانت الأصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير والتبديل حتى ضبطوا قراءات القراء وكيفيات قراءاتهم.

فالجواب[4] عنه أن كونه مجموعًا غير مسلم، فإن القرآن نزل فى مدة رسالته إلى آخر

---

(١) سورة فصلت آية ٤١. (٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) هنا يرد أبو الحسن العاملى على كل واحد أنكر التحريف ويقصد أن هاتين الآيتين لا يدلان على عدم التحريف.

(٤) هنا يرد الخرسانى على من أنكر التحريف ورده يشبه رد العالم الشيعى أبو الحسن العاملى.

عمره نجومًا، وقد استفاضت الأخبار بنزول بعض السور وبعض الآيات فى العام الآخر وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته، وأن عليًا جلس فى بيته مشغولاً بجمع القرآن، أكثر ما يمكن إنكارها، وكونهم يحفظونه ويدرسونه مسلم لكن الحفظ والدرس فيما كان بأيديهم، وإهتمام الأصحاب بحفظه وحفظ قراءات القراءة وكيفيات قرءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه، وكما كانت الدواعى متموفرة فى حفظه، كذلك كانت متوفرة من المنافقين[١] فى تغييره، وأما ما قيل أنه لم يبق لنا حينئذ اعتماد عليه الحال أنا مأمورون بالاعتماد عليه، وأتباع أحكامه والتدبر فى آياته، وأمتثال أوامره ونواهيه، وإقامة حدوده وعرض الأخبار عليه، لا يعتمد عليه صرف مثل هذه الأخبار الكثيرة الدالة على التغيير والتحريف عن ظواهرها، لأن الآعتماد على هذا المكتوب ووجوب اتباعه، وامتثال أوامره ونواهيه، وإقامة حدوده وأحكامه، إنما هى للأخبار الكثيرة الدالة على ما ذكر للقطع بأن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل على محمد ﷺ من غير نقيصة وزيادة وتحريف فيه. ويستفاد من هذه الأخبار أن الزيادة والنقصان والتغيير أن وقعت فى القرآن لم تكن مخلة بمقصود الباقى منه بل نقول كان المقصود الأهم من الكتاب الدلالة على العترة والتوسل بأهل البيت إن أمروا باتباعه كان حجة قطعية للناس ولو كان مغيرًا مخلاً بمقصوده، وإن لم نتوسل بهم أو يأمروا باتباعه، وكان التوسل به، واتباع أحكامه، من قبل أنفسنا كان من قبيل التفسير بالرأى الذى منعوا منه، ولو لم يكن مغيرًا. وأما علامتهم الشهير المدعو الحجة السيد عدنان البحرانى: فبعد أن ذكر الروايات التى تفيد التحريف على ضوء عقيدته قال: الأخبار التى لا تحصى كثرة وقد تجاوزت حد التواتر ولا فى نقلها كثير فائدة بعد شيوع القول بالتحريف والتغيير بين الفريقين[٢] وكونه من المسلمات عند الصحابة والتابعين بل وإجماع الفرقة[٣] المحقة وكونه من ضروريات[٤] مذهبهم، وبه تضافرت أخبارهم[٥].

وعلى المسلم أن يلاحظ أن هذا العالم الشيعى الكبير عندهم لا يستطيع أن يطعن فى

---

(١) يقصد الصحابة.

(٢) يقصد أهل السنة يقولون بالتحريف أيضًا وهذا كذب وراجع آراء علماء أهل السنة بالقرآن في هذا الكتاب.

(٣) هنا يذكر البرحانى أن الشيعة وفى نظره هم الفرقة المحقة قد أجمعوا على القول بأن القرآن محرف.

(٤) هنا يذكر البحرانى أن القول بأن القرآن محرف هو من ضروريات مذهب الشيعة.

(٥) مشارق الشموس الدريه منشورات المكتبة العندنانية- البحرين ص١٢٦.

الروايات التى تثبت التحريف فى كتب الشيعة لأن هذا الطعن يعتبره طعنًا فى شريعة مذهب الشيعة، وأما النورسى الطبرسى المتوفى ١٣٢٠هـ صاحب كتبهم التى لم يطلع عليها كثير من الناس حتى أذن الله بفضيحتهم على الملأ، عندما قام هذا النورسى الطبرسى- فى سنة ١٢٩٢هـ وفى مدينة النجف حيث المشهد الخاص بأمير المؤمنين بتأليف كتاب ضخم لإثبات تحريف القرآن. سماه (فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وقد ساق فى هذا الكتاب حشدًا هائلاً من الروايات لإثبات دعواه فى القرآن الحالى على أنه وقع فيه التحريف.

وقد اعتمد فى ذلك على أهم المصادر عندهم من كتب الحديث والتفسير، واستخرج منها مئات الروايات المنسوبة للأئمة فى التحريف. وأثبت أن عقيدة تحريف القرآن هى عقيدة علمائهم المتقدمين.

وقد قسم كتابه هذا إلى ثلاث مقدمات وبابين:

المقدمة الأولى: عنون لها بقوله (فى ذكر الأخبار التى وردت فى جمع القرآن وسبب جمعه، وكونه فى معرض النقص، بالنظر إلى كيفية الجمع، وأن تأليفه يخالف تأليف المؤمنين).

المقدمة الثانية: جعل عنوانها (فى بيان أقسام التغيير الممكن حصوله فى القرآن والممتنع دخوله فيه).

المقدمة الثالثة: جعلها فى ذكر أقوال علمائهم فى تغيير القرآن وعدمه.

ولعل هذه العناوين تنبىء عما تحتها من جرأة عظيمة على كتاب الله الكريم بشكل لم يسبق له مثيل.

نماذج من تحريفهم القرآن الكريم

فى كتاب الله أية يقول الله عز وجل فيها: **﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾** فعند تفسير الشيعة لها يقول القمى فى تفسيره: (أن لها مناسبة وقد جاء عندهم بشأنها الآتى: «عن جعفر أن رسول الله- صلى الله عليه وآله- أصابه خصاصة وجاء إلى رجل من الأنصار فقال له: هل عندك من طعام؟ فقال: نعم يا رسول الله وذبح له عناقًا وشواه فلما أدناه منه تمنى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون معه على وفاطمة

والحسن والحسين عليهم السلام فجاء منافقان ثم جاء على بعدهما فأنزل الله فى ذلك: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث إلا إذا ألقى الشيطان فى أمنيته، فينسخ الله ما يلقى الشيطان)[1].

وعند قول الله تعالى فى سورة البقرة- ٢٥٥: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ تتلى فى كتب الشيعة على ضوء ما ذكر القمى بهذا الوجه المحرف (ألم، الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم)[2].

وعند قوله الله تعالى فى سورة الرعد: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾، يقول القمى الشيعى الحجة عندهم أن صحة هذه الآية عندهم على الوجه الآتى: «أنها قرأت عند أبى عبد الله صلوات الله عليه فقال لقارئها: ألستم عربًا؟ فكيف تكون المعقبات من بين يديه؟ وأنما العقب من خلفه فقال الرجل: جعلت فداك... كيف هذا؟ فقال: نزلت: له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله»[3].

وعند قول الله تعالى فى سورة الفرقان (٧٤): ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ يقول القمى فى تفسيره أنه قرئ عند أبى عبد الله ﷺ: (وجعلنا للمتقين إماما).. فقال سألوا الله عظيمًا أن يجعلهم للمتقين أئمة، فقيل له: كيف هذا يا ابن رسول الله: فقال: إنما أنزل الله: واجعل لنا من المتقين إماما)[4].

وقد ذكر الكلينى فى صحيحة الكافى: (عن أبى بصير عن أبى عبد الله ﷺ أن قرآنهم فيه (ومن يطع الله ورسوله فى ولاية على، والأئمة بعده فقد فاز فوزًا عظيمًا)، ويزعمون أنها هكذا نزلت[5].

(١) تفسير القمى جـ١ ص٨٦. (٢) تفسير القمى جـ١ ص٨٤.

(٣) تفسير القمى جـ١ ص ٨٤. (٤) تفسير القمى جـ ٢ ص١٧.

(٥) الكافتى جـ ١١ «٤١٤» دراسات فى الكافى للكلينى ص٣٠٩.

وقد ذكر الكاشى فى تفسير قول الله تعالى فى سورة التحريم (٩): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أن صحتها عندهم هكذا (يا أيها النبى جاهد الكفار بالمنافقين).

هذا ويروى محمد بن يعقوب الكلينى، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السلام قال: قلت له: لم سمى على بن أبى طلاب أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه... هكذا أنزل الله: (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولى وأن عليًا أمير المؤمنين)[١].

ويروى محمد بن يعقوب الكلينى أيضًا عن جابر قال: نزل جبرئيل عليه عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فى على فأتور بسورة من مثله)[٢] وهذا الذى يرويه الكلينى هو تحريف لقول الله تعالى فى سورة البقرة (وإن كنت فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين).

وقد روى عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام، فى قوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين بولاية على ليس له دافع.. ثم قال: هكذا والله نزل به جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله)[٣] وكما هو معروف فإن هذه الرواية تحريف لقول الله تعالى فى سورة المعارج: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾.

وأما فى قول الله تعالى فى سور الكهف: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾، فإن التحريفات الشيعية تدعى أن جبريل عليه السلام نزل بهذه الآية هكذا: (وقل الحق من ربكم فى ولاية على، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين آل محمد نارًا)[٤].

وأما فى قول الله تعالى فى سورة النساء (٦٦): ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ

(١) كتاب الحجة من الكافى جـ١ ص٤١٢، الشيعة والسنة ١٠٧.

(٢) كتاب الحجة من الكافى جـ١ ص٢٦٣، الشيعة والسنة ص١٠٧.

(٣) كتاب الحجة من الكافى ج١ ص٤٢٢، الشيعة والسنة ص١٠٤.

(٤) كتاب الحجة من الكافى جـ١ ص٤٢٥.

لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾. فإن الشيعة يعتقدون أنها هكذا نزلت (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في على لكان خيرًا لهم)(١).

وأما في قول الله تعالى في سورة النساء (٤٧): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾. فإن جميع الشيعة الغلاة يقولون أن جبريل عليه السلام نزل على محمد ﷺ بهذه الآية هكذا: (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في على نورًا مبينًا)(٢).

وفي قول الله تعالى في سورة البقرة (٩٠): ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ تعتقد الشيعة أن صحة الآية هكذا.. (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في على بغيا)(٣).

وعند قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ آية ١٧٠، تزعم الشيعة أن جبريل عليه السلام نزل هذه الآية هكذا: (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية على فآمنوا خيرًا لكم، وإن تكفروا بولاية على فإن لله ما في السموات والأرض) وكذلك عند قوله تعالى في سورة الأعراف (١٦١): ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾(٤). فإنهم يأتون بها محرفة ومخالفة لهذا النص الذي هي عليه.

وأما سورة الولاية التي ينفردون بها ويدعون أنها أسقطت من القرآن الذي حرف على يد عثمان بن عفان (برأه الله تعالى مما يقول الظالمون) فقد جاء عندهم هكذا (يا أيها الذين آمنوا بالنبي وبالولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم نبي وولي بعضها من بعض وأنا العليم الخبير، إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم، والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين، أن لهم في جهنم مقاما عظميًا فإذا نودي لهم

---

(١) كتاب الحجة من الكافي جـ١ ص٤٢٤، الشيعة والسنة ص١٠٤.

(٢) كتاب الحجة من الكافي جـ١ ص٤١٧، الشيعة والسنة ص١٠٥.

(٣) كتاب الحجة من الكافي جـ١ ص٤١٧، الشيعة والسنة ص١٠٥.

(٤) كتاب الحجة من الكافي ج١ ص٤٢٤، الشيعة والسنة ص١٠٦.

يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين ما خلفهم المرسلين إلا بالحق وما كان ليظهرهم إلى أجل قريب وسبح بحمد ربك وعلى من الشاهدين)[1].

وهذه السورة المفتراة المدعاة ليست فى كتاب لله ولم تكن منه فى يوم من الأيام إنما ألفوها واتهموا الصحابة رضوان الله عليهم بحذفها من القرآن.

وأما سورة النورين فنصها عندهم هكذا: (بسم الله الرحيم... يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم الذين يوفونّ بعهد الله ورسوله فى آيات لهم جنات النعيم، والذين كفروا من بعد، ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم، وما عاهدوا الرسول عليه يقذفون فى الجحيم ظلموا أنفسهم، وعصوا لوصى الرسول وأولئك يسقون من حميم)[2].

ولم يكتف الشيعة بتحريف بعض الآيات الكريمة... بل وضعوا قرآنًا جديدًا سموه «مصحف فاطمة» كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك- وتقول رواية الكافى عن أبى بصير قال: دخلت على أبى عبد الله.. إلى أن قال: أبو عبد الله- جعفر الصادق: وأن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام.. قال: قلت، وما مصحف فاطمة؟ قال فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات.. والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[3].

هذا هو موقف علماء الشيعة من القرآن الكريم وموقف أئمتهم الكبار فماذا نقول؟؟ لا يسع المسلم إلا أن يقول: فى ضوء قول الله تعالى الذى يقول: (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين).

ولما لم يتورع الشيعة من الطعن فى كتاب الله والأقدام على التحريف والوضع كان بدهيًا أن يكذبوا على رسول الله ﷺ والتدليس على سنته الطاهرة.

---

(١) رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب أرباب تأليف ميرزا حسين بن محمد تقى الفرسى ص١٨٠ وانظر، الخطوط العريضة ص١١ وسراب في ايران ص٢٥.

(٢) تذكرة الأئمة للمجلسى نقلاً عن تحفة الشيعة لبروفسور نوربخش التوكلى ص٤١٨جـ١، الشيعة والسنة ص١٣٨.

(٣) الكافى ص٥٧ط ايران ١٢٧٨ هـ وأنظر دراسات فى الكافى للكلينى ولصحيح البخارى ص٢٩٤ تأليف هاشم معروف الحسنى.

لقد أفترى الغلاة على الله تعالى... وادعوا علم الغيب وفتحوا أبواب الجنة لشيعتهم تطاولاً وتعديًا على مقام الألوهية، الذى لا يرتقى إليه حتى الأنبياء عليهم السلام... وذلك للتطاول على مقام النبى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه فقد روى الكشى عن أبى عبد الله أنه دخل عليه جعفر بن عفان وقال له: بلغنى أنك تقول الشعر فى الحسين وتجيد.. فقال له: نعم: نعم.. جعلنى الله فداك.. فقال.. قل: فأنشد.. فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته.. ثم قال: يا جعفر بن عفان والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون هـهنا، يسمعون قولك فى الحسين.. ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر.. ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر ساعتك الجنة بأسرها.. وغفر الله لك.. فقال أبو عبد الله: يا جعفر ألا أزيدك قال: نعم يا سيدى.. قال ما من أحد قال فى الحسين شعرًا فبكى.. وأبكى ألا أوجب الله له الجنة... وغفر له. هكذا وصل بهم الغلو والزعم بحق من يدعون، وعلى ذلك فلا داعى عندهم للصلاة والصوم والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبر الوالدين وصلة الأرحام ورعاية الجار وأداء الأمانة والبعد عن الربا وهجر الزنا وترك الخمر واحتمال تكاليف الدعوة إلى الله والجهاد والاستشهاد فى سبيل الله عز وجل إذا كان دخول الجنة بهذه البساطة قصيدة من الشعر فى مدح الحسين؟ ولا أدرى كيف غاب عن الشيعة أنه لا تنفع ألف قصيدة فى مدح الرسول ﷺ نفسه بغير خلوص نية وحسن طوية وعميق إيمان وصالح عمل، ولن تدخل أحدًا الجنة لأن الرسول ﷺ هو الذى أخبر أمته أنه :لن ينجى أحد منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته. سددوا).

وفى مسلسل العدوان على الإسلام والمسلمين فضلاً عن الوضع والتحريف فى كتاب الله يورد (القمى) هذه الرواية التى تقول: (عن أبى عبد الله قال: إذا كان يوم القيامة، يدعو محمد صلى الله عليه وآله فيكسى حلة وردية، ثم يدعى بعلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم يدعى بالأئمة ثم يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها فيدخلون الجنة بغير حساب[1].

ليس أبلغ فى الرد على هذا الإفتراء على الله تعالى من إنذار الرسول ﷺ لقريش وعشيرته الأقربين بأنه لا يملك لهم من الله شيئًا . لقد أهمل الشيعة عمدًا وعدوانًا حديث

---

(١) تفسير القمى جـ ١ ص١٢٨.

الرسول ﷺ الذى يقول فيما رواه أبو هريرة أنه عندما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) من أنه ﷺ دعا فأجتمعوا فعم وخص فقال: يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذى نفسك من النار فأنى لا أملك لكم من اللّه شيئًا غير أن لكم رحما سأبلها ببلاها).

وفى الحديث المتفق عليه هو أنه ﷺ القائل: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من اللّه شيئًا ويا بنى عبد مناف، لا أغنى عنكم من اللّه شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من اللّه شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغنى عنك من اللّه شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد. سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من اللّه شيئًا.

إن الشيعة لا تدرك أن الأقلاع عن المعصية والندم على اقترافها والعزم على عدم العودة إليها هى- واللّه أعلم- مظنة مغفرة اللّه عز وجل للعصاه التائبين... وليس حب على رضي الله عنه أو غيره مما ينفع بغير تقوى وعمل صالح. فاتباع ما جاء به الرسول ﷺ هو وحده وسيلة النجاة من النار، وإذا كان حب أحد من الخلق بغير العمل بما جاء به النبى لا ينجى من النار فيكون حب النبى ﷺ أولى فهو الأصل فإذا كان عدم العمل بما جاء به النبى يكون مجرد حب واحد من أهل بيته ينجى من النار أو لا ينجى من النار فكيف يقول اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ **[آل عمران:٣١، ٣٢]**، لكن الذى يقول به غلاة الإمامية فى هذا المقام. قليل من كثير.. من تعدى الشيعة على مقام الألوهية وليس كثيرًا على من تطاولوا وتجرأوا على الذات الإلهية أن يتعدوا على سنة رسول اللّه ﷺ ويمعنوا فيها حذفًا وتشويهًا وزيادة وتدليسًا وهذه النزعة التدليسية فى غاية الخطورة على وحدة معتقد الأمة الإسلامية التى يحاول الدعوة إليها بعض الاصلاحيين من دعاة التصحيح فى المذهب الإمامى.

أن موقف الشيعة من السنة النبوية بلغ حد العته، إنهم يطعنون فى صحيح البخارى وإذا علمنا أن صحيح البخارى أصدق وأوثق كتاب بعد القرآن الكريم بإجماع أمة الإسلام أدركنا أن الشيعة تنكر ما أجمع على صحته علماء الحديث وأئمة العلماء والدراسين لأحاديث رسول اللّه ﷺ وهم فى الأصل والأساس أحباء اللّه ورسوله ولآل بيته جميعًا وأصحابه رضوان اللّه عليهم.

وإذا هاجم الشيعة «صحيح البخارى» فمعنى ذلك أنهم يطعنون فى المصدر الثانى من مصادر التشريع، بعد حربهم المشبوهة على القرآن الكريم.. أن الشيعة الغلاة يلمزون الإمام البخارى رحمه الله.. ويقدحون فى صحيحه ويتناولونه بالذم والعدوان حين يقول قائلهم (وقد أخرج من الغرائب والمناكير ما يليق بعقول مخرفى البربر وعجائز السودان). كذا ولم يقف الأمر عند حد الأعراض عن صحيح البخارى بل استبدلوا به كتابًا فى الأحاديث الموضوعة المفتراة سموه (الكافى) لمحدثهم: محمد بن يعقوب الكلينى وهو موسوعة يندر فيها الصدق والأمانة فى الأخذ عن سنة النبى محمد ﷺ فمثلاً تفيد الأحاديث الصحيحة المروية عن الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإسلام بنى على خمسة أركان فنرى الغلاة من الأمامية فى هذا الباب بعد أن أنكروا البخارى ابتدعوا اسلامًا لا يعرفه المسلمون فى كتاب الله تعالى الذى ادعوا تحريفه ولا فى سنة رسول الله ﷺ التى حاربوها واعتدوا عليها تزييفًا ووضعًا[1].

وهذه نماذج من الأحاديث التى ابتدعت ووضعت لتكريس التحريف الذى جاء به الكلينى، فعلى سبيل المثال جاء فيه. عن فضيل عن أبى جعفر عليه السلام قال: بنى الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحجج والولاية ولم يناد بشىء ما نودى بالولاية يوم الغدير[2]، أى لم يهتم بشىء مثلها.

أما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فإن الكلينى لا يعول عليها بل إنهم يرون الولاية أفضل من الشهادتين والصلاة والزكاة والحج والصوم.

وجاء فيه: «عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: بنى الإسلام على خمسة أشياء الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: فقلت: وأى شىء من ذلك أفضل؟ فقال الولاية أفضل»[3].

ثم بدأ لهم أن يكتفوا بالصلاة والزكاة والولاية واستغنوا بها عن الصوم والحج وفى التدليل على هذا التزييف نسبوا إلى الصادق جعفر أنه قال: أن فى الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية. لا تصح واحدة منها إلا بصاحبتها)[4].

---

(١) تحت راية الحق، عبد الله السبيتى ص١٤٦، وأنظر: «وجاء دور المجوس» ص١٦٥ وسراب فى إيران ص٣٦.

(٢) الكافى فى الأصول ج٢ ص٢٠.

(٣) الكافى فى الأصول جـ٢ ص١٨.

(٤) الكافى فى الأصول جـ٢ ص١٨.

وانتهى بهم هذا التدريج إلى أن أكتفوا بالولاية وحدها مدعين أن الله تعالى لم يبعث نبيًا إلا بالولاية وفى التدليل على هذا الزعم الفاسد يروون عن أبى عبد الله أنه قال: ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبيًا قط إلا بها: كما أنهم بغير عقل وبغير حياء يرفضون الأخذ عن الرسول الله ﷺ فى الغيبيات ويتواصون فيما بينهم بعدم التدين بها من التأكد من صدورها عنه عليه الصلاة والسلام. وفى ذلك روى عن مجتهد هم: محمد حسن الاشتيانى أنه قال: (أن الرسول ﷺ إذا أخبر عن الأحكام الشرعية مثل: نواقض الوضوء و أحكام الحيض والنفاس.. يجب تصديقه والعمل بما أخبر به، وإذا أخبر عن الأمور الغيبية مثل خلق السموات والأرض والحور والقصور فلا يجب التدين به بعد العلم به فضلاً عن الظن به. هذا وشر البلاء ما نشر باسم الإمام الخمينى من الطعن فى أصحاب رسول الله ﷺ زاعمًا أنهم يفترون على النبى ﷺ وأنهم نسبوا إليه أحاديث لم يقلها: يقول الخمينى فى كتابه (الحكومة الإسلامية) ففى الرواة من يفترى على لسان النبى ﷺ أحاديث لم يقلها.. ولعل راويا كسمرة بن جندب يفترى أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين)(١).

والخمينى لا يستحى من بعث روايات الغلاة من أئمته السابقين عندما اتهموا الرسول ﷺ بالكذب والخداع وأنه كان يظهر غير ما يبطن فقد ذكر ما جاء عند الكلينى في الكافى ما روى أنه قال: عن أبى عبد الله عليه السلام: لما مات عبد الله بن أبى سلول حضر النبى ﷺ جنازته فقال عمر لرسول الله ﷺ ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فسكت فقال: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فقال: ويلك وما يدريك ما قلت؟ أنى قلت: اللهم أحش جوفه نارًا وأملأ قبره نارًا، وأصله نارًا قال أبو عبد الله ﷺ. فبدأ من رسول الله ما كان يكره»(٢). والشيعة باليقين لفقوا هذه الرواية المتهافتة وهذا الافتراء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليجدوا مبررًا يسوغ لهم الأخذ بمبدأ التقية الذى يعتبر من دعائم مذهبهم وأصول دينهم(٣).

أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أسمى وأعظم من أن يظهر خلاف ما يبطن. كما يفعل الغلاة فقد وصفه الله تعالى بقوله: (وإنك لعلى خلق عظيم) ادعوا أنه حث

(١) الحكومة الإسلامية للخمينى ص٧١.

(٢) الكافى فى الفروع، كتاب الجنائز جـ٣ ص١٨٨، الشيعة والسنة للشيخ إحسان الهى ظهير صفحة ١٦٣.

(٣) التقية: من أهم معتقدات الشيعة تجوز لهم التظاهر بخلاف ما يبطنون قولاً وعملاً وفى التصور الإسلام لا فرق بينهم التقية والكذب فكلاهما وضع من النفاق وفعل المنافقين.

على الأخذ بمبدأ التقية – بزعمهم– : «مثل مؤمن لا تقية له.. كمثل جسد لا رأس له»(١).

كما نسبوا إلى الرسول ﷺ حديثًا يشير بتهاونه عليه الصلاة والسلام فى أمر الصلاة والصوم وذلك بأن يحب المرء المصلين والصائمين... ولا عليه إذا ترك الصلاة. وأفطر فى رمضان.

يروى أبى جعفر عليه السلام: (أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله: أحب المصلين ولا أصلى... وأحب الصوامين ولا أصوم.. فقال له رسول الله ﷺ وآله أنت مع من أحببت»(٢).

كما نسبوا إلى الرسول ﷺ أنه أدعى أن الله تعالى يناجي عليًا رضي الله عنه وفى ذلك ينقل رواتهم «عن أبى عبد الله قال: قال رسول الله لأهل الطائف، لأبعثن إليكم رجلاً كنفسى يفتح الله به الخير، سيفه سوطة.. فشرف الناس له.. فلما أصبح ودعا عليًا فقال: أذهب بالطائف ثم أمر الله النبى أن يرحل إليها بعد أن رحل على فلما صار إليها كان على على رأس الجبل فقال له رسول الله أثبت... فسمعنا مثل صرير الزجل فقيل: يا رسول الله.. ما هذا؟ قال: إن الله يناجي عليًا»(٣).

كما كذبوا على رسول الله عليه السلام حين نسبوا إليه أنه قال: «على مع الحق والحق يدور معه حيث دار.. ولم يفترقا حتى يردا على الحوض (ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله) هذا الافتراء بأنه: «من أعظم الكلام كذبًا وجهلاً فإن هذا الحديث لم يروه أحد عن النبى ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف»(٤).

وأنطلق الغلو فى مَسلسل الكذب على رسول الله ﷺ فادعوا أنه لعن معاوية رضي الله عنه وحرض المسلمين على قتله: يقولون «أن النبى ﷺ لعن معاوية الطلق بن الطليق وقال: إذا رأيتموه على منبرى فاقتلوه»(٥).

وما كان ﷺ طعانًا ولا فاحشًا ولا متفحشًا بل كان عف اللسان وعندما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه قالت: كان خلقه القرآن ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن السنة النبوية المطهرة ترد مزاعم غلاة الإمامية فى الكذب، فها هو أبو الدرداء رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ «أن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء

(١) للوقوف على ملابسات الواقعة يراجع كتاب لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص ١٢٢ وتفسير ابن كثير ج٢ ص٣٧٦.

(٢) الكافى فى الفروع جـ٨.

(٣) بصائر الدرجات باب ١٦ جـ٨.

(٤) المنتقى من منهاج الاعتدال لابن تيمية ص٢٠٠ من المختصر للحافظ الذهبى.

(٥) المنتقى من منهاج الاعتدال لابن تيمية ص٢١٢ من المختصر للحافظ الذهبى.

دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينًا وشمالاً فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذى لعن.. فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها» رواه أبو داود.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار». رواه أبو داود والترمذى وقالا حديث حسن صحيح.

واتهام غلاة الإمامية للنبى ﷺ بأنه أمر بقتل معاوية رضي الله عنه: مردود من أبسط أفعاله ﷺ. أنه ﷺ قد عفا عن أهل مكة– وهم مشركون– وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء...
أفيأمر من هذا خلقه بقتل مؤمن... صحابى كان من بين المقربين إليه ومن كتابه والمؤتمنين على أمر الإسلام.

وأما قاصمة القواصم فهى زعمهم بأن النبى ﷺ قال فى على بن أبى طالب «حب على حسنة، لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة».

كما أدعوا أن الرسول ﷺ قال: «أنا وعلى حجة لله على خلقه» كما زعموا أنه قال: «لو اجتمع الناس على حب على لم تخلق النار».

وزعموا أن ﷺ قال: «من ناصب عليًا الخلافة فهو كافر حارب الله ورسوله» والكذب هنا أضعاف كذبهم فى حديث غدير».

واستكملوا مسلسل الكذب بهذه الفرية التى افتروا فيها على النبى ﷺ حين زعموا أنه قال لعلى بن أبى طالب رضي الله عنه: يا على أنت تملك ما لا أملك، ففاطمة زوجك وليس لى زوج مثلها.. ولك منها ذرية ليس لى مثلهما.. وخديجة أم زوجك، وليس لى رحيمة مثلها.. وأنا رحيمك فليس لى رحيم مثل رحيمك.. وجعفر أخوك من النسب... وليس مثل جعفر أخى وفاطمة الهاشمية المهاجرة، أمك... وأنى لى أم مثلها»[1].

هذه بعض عقائد غلاة الإمامية حول كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وقد سار على درب الأئمة الاقدمين أكبر علماء الإمامية المعاصرين، وعلى رأسهم الإمام الخومينى.
والسؤال: ما رد الفعل الإسلامى عند أمة الإسلام فى مواجهة هذا التحريف الموغل فى التاريخ والعريق فى الكذب والعدوان على مصادر الإسلام: الكتاب والسنة ناهيك عن نبى الإسلام محمد ﷺ وعلى آله وصحبه[2].

---

(١) بحار الأنوار ٥١١ جـ٥.

(٢) راجع: وجيه المدنى، فى كتابه (لماذا كفر العلماء المسلمين الخومينى، القاهرة عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

لا أظن أن هناك من يختلف معنا في أن أمة الإسلام كانت في حاجة إلى أن تعرف من الفقيه القائم مقام الإمام الغائب رأيه في المهدى ومن يكون هو خاصة وأن رجاله لا يفتأون يبشرون بعقائد المذهب وأفكاره فإن رواية الطبرسي في (أعلام الورى ومن صفحة ٤٢٧) تقول في التمهيد للمهدى أن الحسن بن على رضى الله عنهما- لما صالح معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته فقال: ويحكم ما تدرون ما عملت والله الذى عملت خير لشيعتى مما طلعت عليه الشمس أو غربت ألا تعلمون أنى أمامكم ومفترض الطاعة عليكم وأحد سيدى شباب أهل الجنة بنص من رسول الله على؟ قالوا: بلى قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطًا لموسى؟ إذ خفى عليه وجه الحكمة فى ذلك وكان ذلك عند الله تعالى حكمة وصوابًا؟ أما علمتم أنه ما منا أحد ألا ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذى يصلى روح الله عيسى بن مريم خلفه فإن الله عز وجل يخفى ولادته ويغيب شخصه لا يكون لأحد فى عنقه إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخى الحسين بن سيدة الإماء يطيل الله عمره فى غيبته ثم يظهره بقدرته فى صورة شاب دون أربعين سنة ذلك ليعلم أن الله على كل شىء قدير.

ونريد أيضًا من فقهاء الإمامية التى قبلت تشريع ولاية الفقيه الخمينية بحيث تكون ولاية عامة على البلاد أن يحددوا لنا موقفًا بالقبول أو الرفض مما رواه الإمام الطبرسى فى (أعلام الورى) أيضًا ومن صفحة ٤٢٩- الذى روى عن جعفر أنه قال: (من أقر بجميع الأئمة وجحد المهدى كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمدًا- ﷺ- فقيل له: يا بن رسول الله فمن المهدى من ولدك؟ قال: الخامس ولد السابع يغيب عليكم شخصه ولا يحل لكم تسميته.

وما الرأى فى ما جاء فى كتاب الغيبة للنعمانى وهو أمام ثقة عند الإمامية كما هو معروف وأيضًا ما جاء فى (بحار الأنوار) للمجلسى فى الجزء الثالث ١٠ ص ١٧١ من أن المهدى الغائب سيجلس مسندًا ظهره إلى بيت الله الحرام ويقول: أنا بقية من آدم وذخيرة نوح ومصطفى من إبراهيم وصفوة من محمد، ويقول: أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم، يقول الطوسى فى كتاب (الغيبة ٢٧٤): ويكون جبريل بين يديه.

والسؤال لا يزال قائمًا والحاجة إلى الإجابة المحددة لا تزال قائمة أيضًا خاصة وأن الكتب التى تعالج هذه القضايا تتناولها أقلام مجهولة لا تشفى غليلاً ولا تقيم حجة.

وأنا لازالت أسأل لماذا وعلى ضوء رواية الطبرسى فى (أعلام الورى من ص ٤٥٩) و (المفيد فى الارشاد ص٣٦١) لماذا تجيء الأحاديث على السنة الأئمة عن كيفية رجوع الأمام وموعده على هذه الوجه ولماذا يكون اسم الأمام حين يدعى بالعبرانية؟ ولننظر جوانب الموضوع بالتفصيل وعلى ضوء رواية أئمة المذهب الأمامى من القدماء.

ينسب الإمامية إلى جعفر أنه قال: (ينادى باسم القائم فى يوم ستة وعشرين من شهر رمضان ويقوم فى يوم عاشوراء وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على لكأنى به يوم السبت العاشر من المحرم قائمًا بين الركن والمقام جبرائيل بين يديه ينادى بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيًا حتى يبايعوه فيملأ اللَّه به الأرض عدلاً كما ملأت جورًا وظلمًا. وإذا أذن الأمام دعى اللَّه باسمه العبرانى فانتخب له صاحبته الثلاثمائة عشر قزع كقزع الخريف فهم أصحاب الألوية منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكة ومنهم من يرى يسير فى السحاب نهارًا يعرف بأسمه واسم أبيه وصلته ونسبه، قلت جعلت فداك أيهم أعظم إيمانًا؟ قال: الذى يسير فى السحاب نهارًا وهم المفقودون وفيهم نزلت هذه الآية: (أينما تكونوا يأت بكم اللَّه جميعًا).

وما الرأى فيما يرويه شيخ الطائفة الطوسى من أنه ينادى منادى من السماء بإسم القائم فيسمع من بين الشرق والغرب فلا يبقى راقد إلا أستيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على رجليه فزعًا من ذلك الصوت وهو صوت جبريل الروح الأمين.

ولازلت أسأل فقهاء الإمامية ما الرأى فيما يقوله الأئمة حول هذه المقدمات التى تسبق وتلازم قيام الغائب لكى يبدأ أول عمل له كما يقول صاحب كتاب (الغيبة) وهو الإمام النعمانى من أن أول عمل له أن يبدأ بقتل قريش وصلبهم الأحياء منهم والأموات ويضع فى العرب السيف، وجوانب السؤال لا تزال قائمة. هل هناك علاقة بين الإيمان بهذه العقيدة وبين تكفير أمة العرب ذات يوم من قبل بعض الأئمة وبين التمهيد لقتلهم وقتالهم حتى ولو كان القتل والقتال فى حرم ربهم؟ أن الرواية التى يزعمها النعمانى فى كتاب (الغيبة) كأنها من بين المخططات العصرية فى الحرب النفسية التى تشنها أبواق الدعاية والأعلام لتيار الغلو فى المذهب الأمامى أن النعمانى ينسب إلى جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما قتل من الناس أما أنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم).

وأيضًا ما الرأى فى ملفات الحقد المذهبى القديم والكرة المذهبى لأمة العرب والمسلمين الذى يطالعنا به ولليوم المفيد والطبرسى وهما من أكبر وأعاظم الأئمة أسلاف الأئمة المعاصرين. أقول ما رأى العلماء المعاصرين منهم فى هذا الحقد الأسود الذى تمتلىء به صفحات كتب العقيدة والفقه والرجال والتاريخ من أن جعفر فى رواية (المفيد والطبرسى) ومعهما صاحب كتاب (الغيبة) النعمانى فى ص٢٣٥ أنه (إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة فضرب أعنقاهم ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات) ولما استكثر السامعون قول جعفر فيما نسبه إليه صاحب الارشاد الشيخ المفيد ص ٣٦٤ وصاحب أعلام الورى الشيخ الطبرسى ص٤٦١ وصاحب كتاب الغيبة الشيخ النعمانى ٢٣٥ وقيل له و يبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال نعم منهم ومن مواليهم. ويبقى السؤال . ولماذا يكون القائم هكذا؟ سيف قاطع بين العرب شديد ليس شأنه إلا السيف ولا يستتيب أحدًا.

ولا زالت جوانب السؤال قائمة أمام قادة المذهب المعاصرين ما رأيهم القاطع فيما يقول الأئمة القدماء من أن القائم لا يكتفى بقتل الأحياء لكنه يحيى الموتى ليقتل أصحاب النبى محمد. أقول ما رأى الأئمة المعاصرين فى قول أئمة المذهب ببعث غير بعث القيامة وما رأيهم فى هذا الجانب الأسطورى الخرافى الذى هو جزء من عقائد البوذية والهندوسية والزرادشتية فى قولها بالتناسخ. فهل الأمر فى الإمامية كذلك؟ وهل حقًا وصدقًا ما يقول الصافى فى تفسيره ص ٣٥٩ من أنه (لو قام قائمنا رد الحميراء- يريد أمير المؤمنين الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات رضى الله عنها وعن أبيها- حتى يجلدها ولينتقم لإبنة محمد- صلى الله عليه وآله.

وهل يصدق العلماء المعاصرون منهم رواية (صاحب البرهان فى تفسير القرآن) والتى يزعم أن القائم قال ألا أنبئك بالخبر. إنه إذا فقد الصبى وتحرك المغربى وسار العمانى وبويع السفيانى يأذن الله لى فأخرج بين الصفا والمروة فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً سواء فأجئ إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج بالناس حجة الإسلام وأجئ إلى يثرب وأهدم الحجرة وأخرج من بها وهما طريان فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بالخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتها فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى فيناد مناد من السماء: يا سماء أبيدى ويا أرضى خذى فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد خلص قلبه الإيمان. قلت يا

سيدى ما يكون بعد ذلك. قال: الكرة الكرة. الرجعة).

وجوانب السؤال لا تزال قائمة ما الرأى فى هذا المعتقد الخرافى المحرف لكل ثوابت الإسلام ولماذا تنشر كتب التراث الإمامى التى تمتلئ بهذه العقائد بدعم وأشراف كاملين من قبل الهيئات والمنظمات ذات الصلة المباشرة بسلطات المذهب؟ ولماذا تنشر فى ثوب جديد وطباعة فاخرة بالعربية والفارسية دون أدنى حرج أو أعتذار من قبل المحققين على ما تفيض به.

(كربلاء أقدس من الكعبة)

بغير مقدمات.. ما رأى علماء المذهب فيما ذكره الجزائرى بنوع من التفصيل والتوضيح كشف به عن روح عدوانية خبيثة ضد الإسلام والمسلمين إذ صب جام غضبه وحقده ورغبته فى الإنتقام من أصحاب رسول الله الذين حفظوا لنا الإسلام وبلغوه لأمم الأرض. إن رواية الجزائرى تنقل عن المفضل بن عمر رواية عن جعفر أنه قال: (إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلاء فأوحى الله عز وجل إليها أن اسكتى يا كعبة ولا تفخرى على كربلاء فإنها البقعة المباركة التى قال الله فيها لموسى ﷺ إنى أنا الله، وهى موضع المسيح وأمه وقت ولادته وأنها الدالية التى غسل بها رأس الحسين بن على عليهما السلام، وهى التى عرج منها محمد- صلى الله عليه وآله- وقال له المفضل يا سيدى يسير المهدى إلى أين؟ قال إلى مدينة جدى رسول الله ﷺ فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزى الكافرين. فقال المفضل يا سيدى ما هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جده فيقول: يا معشر الخلائق هذا قبر جدى فيقولون نعم يا مهدى آل محمد فيقوم ومن معه فى القبر فيقولون صاحباه وضجيعاه أبو بكر وعمر فيقول ﷺ هو أعلم الخلق من: أبو بكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدى رسول الله ﷺ وعسى أن يكون المدفون غيرهما فيقول الناس يا مهدى آل محمد ما هذا غيرهما وأنهما دفنا معه لأنهما خليفتاه وأباء زوجتيه فيقول هل يعرفهما أحد فيقولون نعم نحن نعرفهما بالوصف ثم يقول هل يشك أحد فى دفنهما هنا فيقولون لا فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخرجهما فيخرجان طريين كصورتهما فى الدنيا فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبان عليهما فتتحرك الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذا والله الشر حقًا ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما فينشر خبرهما فكل من فى قلبه حبة خردل من محبتهما يحضر المدينة فيفتنون بهما فينادى

المهدى عليه السلام – هذان صاحبا رسول الله ﷺ فمن أحبهما فليكن فى معزل ومن أبغضهما فليكن فى معزل فيجزأ الخلق جزأين: موال وعاد فيعرض على أوليائهما البراءة منهما فيقولون يا مهدى ما كنا نبرأ منهما وما كنا نعلم أن لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا فى هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما، بل والله نبرأ منك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما ومن صلبهما وأخرجهما وفعل بهما فيأمر المهدى عليه السلام ريحًا فتجعلهم كأعجاز نخل خاوية ثم يأمر بإنزالهما فينزلان فيحييهما بإذن الله ويأمر الخلائق بالاجتماع ثم يقص عليهم قصص فعالهم فى كل كور ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح يوسف فى الجب وحبس يونس فى بطن الحوت وقتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجس ودانيال وضرب سليمان الفارسى وأشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسين عليهما السلام وإرادة احراقهم بها وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها واسقاطها محسنًا وسم الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبنى عمه وسبى زرارى رسول الله ﷺ واراقة دماء آل محمد وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حرامًا وكل ربا أكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا كل ذلك يعدده عليهما يلزمهما إياه ويعترفان به ثم يأمر بهما فيقتص منهما فى ذلك الوقت مظالم من حضر ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر نارًا تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحًا فتنسفهما فى اليم نسفًا.

قال المفضل يا سيدى هذا آخر عذابهما قال هيهات يا مفضل والله ليرون وليحضرون السيد الأكبر محمد رسول الله ﷺ والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضًا ولك من محض الكفر وليقتص منهما بجميع المظالم ثم يأمر بهما فيقتلان فى كل يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب(1).

ما موقف كل القوى التى يمكن أن تندرج تحت اواء التشيع، إمامية أو غير إمامية فيما رواه الجزائرى فى كتابه (الأنوار النعمانية) من الجزء الثانى وطوال صفحتى ٨٦– ٨٧ (أليس ما جاء فى هذه الرواية هو نوع من الخرافة والأسطورة والإفك المصنوع والبهتان الرخيص الذى لا ينم إلا على حقد دفين ضد أصحاب رسول الله بل وضد أهل

---

(١) الجزائر – الأنوار النعمانية جـ ٢ ص٨٦– ٨٧.

بيته رضوان الله عليهم وبغير دعوة للتحقيق فى الكذب والإفتراء الذى تضمنته هذه الرواية ما ذنب أبى بكر وعمر- رضى الله عنهما- فى أن يقصا على أمة محمد قبل صلبهما وتعذيبهما المزعوم قتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجيس ودانيال؟، ويبقى السؤال من الذى ضرب الصديقة بنت رسول الله ومن الذى رفس بطنها وأسقط محسنًا بينما العباس وعلى والحسن والحسين وأمهات المؤمنين من أزواج رسول الله حول فاطمة؟ والمطلوب الإجابة الواضحة القاطعة، أتعتقد الإمامية المعاصرة بما يرويه صاحب «الأنوار» من أفك وكفر، وبهتان؟ إذا كانت الإجابة بنعم فإن كل الأمة المسلمة باستثناء الإمامية الإثنى عشرية الخمينية ترفض وتقاوم بل وتقاتل مذهبًا ينال من رسول الله ﷺ حين يجعل مقام الوصى فوق مقام النبى ويجعل من أصحاب النبى أمثولة لمظالم مدعاة لا أصل ولا سند من نقل أو عقل.

ويبقى من جوانب السؤال بعض علامات الاستفهام التى تقض المضجع وتؤرق الضمير هل حقًا وصدقًا يؤمن الغلاة من الإمامية فضلاً عن المعتدلين بأن الأمام الموهوم الغائب يقوم بأمر جديد وعلى العرب شديد ليس شأنه إلا السيف ولا يستتيب أحدًا[(١)]. وهل حقًا وصدقًا أنه لن يسير بسير النبى محمد ﷺ.

ولنسمع إلى ما يرويه النعمانى فى كتاب (الغيبة) فيما نسب إلى أبى جعفر الصادق عندما سئل عن هذا القائم أيسير بسيرة محمد ﷺ فقال هيهات يا زرارة ما يسير بسيره، قلت جعلت فداك لم؟ قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار فى أمته بالمن كان يتألف الناس والقائم يسير بالقتل، بذاك أمر فى الكتاب الذى معه أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحدًا.

ما رأى الإمام الخومينى والفقهاء من بعده فى ما روى المجلسى فى (بحار الأنوار) برواية أبى عبد الله لما سئل عن كيفية سيرة القائم قال يصنع كما صنع رسول الله ﷺ يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله ﷺ أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام الجديد[(٢)] ولو صحت هذه الرواية عند الإمامية لكان عليهم أن ينتظروا دينًا غير دين الإسلام، ومن ثم فإن القول أو الإعتقاد بمثل هذه الرواية يعتبر خروجًا عن دين الإسلام، والأمر لا يحتاج لسؤال، لكنا نعرضه كنموذج من عقائد الغلو.

---

(١) النعامى- كتاب (الغيبة) ص٢٣٣.

(٢) بحار الأنوار جـ١٣ ص١٩٣.

والعجيب الغريب من أمر هذه المقولات الموصلة للغلو هو أن الشيعة الآثنى عشرية لا يكتفون بتداول هذه العقائد ونشرها والدعوة إليها بل إن عقيدتهم فى رجعة القائم ترتبط بعقيدة أخرى تتصل برجعة القائم وهى أن أئمتهم يرجعون إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم لا لشىء إلا ليملكوا وينقموا من أعدائهم ولكى تنسجم المزاعم فإن المجلسى روى عن أبى جعفر أنه قال، أول من تنشق عنه الأرض ويرجع إلى الدنيا الحسين بن على وأنه لن يرجع وحده بل يرجع ومعه سبعون رجلاً من أصحابه الذين قتلوا معه.

وفى رواية الجزائرى فى (الأنوار النعمانية جـ٢ ص٩٨- ٩٩) أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفًا من الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدى ﷺ ثلاثمائة سنة وتسع سنين كما يرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه ثارة منهم ويبدو أن المعركة ستكون عنيفة وشرسة على ضوء ما صور الخيال الأسطورى لأرباب المذهب وقادته فإن الجزائرى فى الأنوار النعمانية. والعياشى فى (التفسير) وصاحب (البرهان) فى ج٢ ص٤٠٨ و (الصافى) فى ج٢ ص٢٥٩ وتحت قول الله تعالى: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) على أنه سيساعد الحسين وأصحابه فى أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد وعساكره سبعون نبيًا ورسولاً ويكون أحدهما اسماعيل بن حزقيل.

ما رأى كل الشيعة فى الدنيا فى هذا النوع من الترهات وهل هى أحاديث نفوس مريضة أم خلجات أمراض نفسية لبعض المصروعين والمشعوذين وهل يمكن أن يقوم دين وأن تستقيم جماعة أو تنتشر فضيلة بمثل هذه الترهات وهذا الهراء؟ حتى ولو كانت مزاعمهم وهى أن بعض المؤمنين ظلموا من بعض المؤمنين صحيحة، فأين يوم الموازين القسط حين يقوم الناس لرب العالمين. إن الأجيال المؤمنة فى حاجة إلى موقف جماعى من أئمة وعلماء المذهب لتحديد موقف من هذا التراث الخرافى الذى ينسف كل الجسور التاريخية بينهم وبين أمة الإسلام ويهدم كل قواعد الإيمان.

والجواب فى تقديرنا يتعلق بالدرجة الأولى على موقف أولئك الذين يتصدون للفتيا والالتزام بقواعد المذهب، أهم تقليديون نمطيون متبعون ملتزمون بمعطيات ومقررات الأئمة القدماء وقد أثرت فيهم الثقافات والفلسفات الوثنية أم مجددون مجتهدون مصححون مدركون لمتغيرات العصر وأخطار الغزو الأجنبى على أمة العرب والإسلام؟

وعلى فرض أن فقهاء الثورة التى قادها خمينى فيهم من القدرة النقدية ومن الشجاعة ما يمكن أن يكونوا به نقادًا ولا يعولون كثيرًا على ما يمكن أن يكون فى نطاق

الخرافة والأسطورة فما رأى فقهاء الأئمة الإثنى عشرية الذين يتولون إحياء هذا التراث التاريخى للغلاة فيما يذكره المجلسى فى كتابه (تحفة الزائرين) من أن من يريد من الشيعة الاتصال بالمهدى فعليه أن يكتب فى رقعة من الرقاع صيغة معنية ثم يضعها عند قبر أحد الأئمة أو يجعلها فى طين نظيف ثم يرميها فى البحر أو بئر عميقة؟!! هل حقًا وصدقًا أن الشيعة تؤمن أنه بهذه الطريقة تصل الرقعة إلى الإمام الغائب فينظر فيها.

وكنت أتمنى أن يرد على بعض من قابلتهم فى مناسبات عديدة من علمائهم ما الرأى فيما قاله من يوصف بأنه صدوق الشيعة ورئيس محدثيهم ابن بابويه القمى الذى كتب فى كتابه الكلامى تحت عنوان (باب الاعتقاد فى الرجعة) (إعتقادنا فى الرجعة أنها حق) فهل ما يقوله صدوق الشيعة ابن بابويه القمى حقًا أم باطلاً وأكرر هل يعتقد الشيعة بقيامه ورجعته قبل اليوم الذى يقوم فيه الناس جميعًا لرب العالمين؟

وما يقوله الملا باقر المجلسى صاحب (بحار الأنوار) (أعلم يا أخى أنى لا أظن أنك لا ترتاب بعدما مهدت وأوضحت لك القول فى الرجعة التى أجمعت عليها الشيعة فى جميع الأعمار واشتهرت بينهم كالشمس فى رابعات النهار وكيف يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتى حديث رواه نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام. ما رأى العلماء وأصحاب الرأى فيهم- فى عقيدة الرجعة التى يقول بها هؤلاء الأئمة وهى بالشكل الذى ترويه المصادر الشيعية تقرر بعثًا لبعض خلق الله فى هذه الدنيا دون مسئولية أو تكليف وهى عقيدة تتنافى وما جاء فى كتاب الله تعالى من وقوف الخلق يوم القيامة لحسابهم عما قدموا من خير أو شر. إن المعتقد الشيعى على ما هو عليه فى تراث الأئمة القدماء لا يعبر إلا عن حقد عميق فى قلوب القائلين به بشكل يجعلهم متعجلين لعذاب مخالفيهم والانتقام من أعدائهم بمعرفتهم هم وتحت إشراف قائمهم وأئمتهم، أن الأجيال المؤمنة من أمة الإسلام وهى تنظر إلى ذلك الحشد الاسطورى من عقائد الأمم القديمة يبرز ويطل فى ثنايا معتقدات المذهب الإمامى تملأهم الحيرة وتسيطر عليهم البلبلة خاصة وأنه إذا حدث ووجد على الساحة عالم إمامى يرفض بعض المقولات أو يؤول بعض المعقتدات فإنه غالبًا ما يكون مغمورًا أو محسودًا ومن كبار الأئمة والفقهاء منبوذًا.

وأخيرًا أود أن أسأل دعاة المذهب وأئمته من المعاصرين ما الرأى أو القول الذى يجابهون به الرأى العام إذا ما خاطبوا «الأخر» وإذا ما سئلوا عما جاء فى كتاب «الإمامة والتبصرة من الحيرة» الذى كتبه أبو الحسن على بن الحسين ابن بابويه القمى (والد

الشيخ الصدوق) والذى حقق فى مدرسة الإمام المهدى بالحوزة العلمية قم والذى طبع لأول مرة عام ١٩٨٥م والذى أهدى فى صدر صفحاته الأولى إلى محمد رسول الله خاتم النبيين وإلى أمير المؤمنين وسيد الوصيين وإلى بضعة المصطفى سيدة نساء العالمين وإلى سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين وإلى التسعة المعصومين من ذرية الحسين سيما بقية الله فى الأراضين وارث علوم الأنبياء والمرسلين المقدم لقطع دابر الظالمين والمدخر لإحياء معالم الدين الحجة بن الحسن والذى نودى فى الكتاب: يا ولى الأولياء ويا مذل الأعداء والسبب المتصل بين الأرض والسماء قد مسنا وأهلنا الضر فى غيبتك وجئنا ببضاعة مزجية بولايتك فأوف لنا الكيل من فضلك وتصدق علينا بدعائك إنا نراك من المحسنين.

أقول مرة وألف مرة ما هى دوافع القوى التى تقف وراء نشر هذا التراث على المسلمين وما الحكم فى من لم يؤمن بما جاء فى هذا الكتاب من صفحات ٢١ إلى ٢٣ والتى جاءت تحت باب (الوصية من لدن آدم عليه السلام والتى افتتح ابن بابوية القمى معالمها ومضمونها بما نسبه إلى النبى ﷺ عن طريق أبى عبد الله عليه السلام والتى جاءت على الوجه التالى:

(عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال النبى ﷺ: أنا سيد النبيين، ووصيى سيد الوصيين وأوصياؤه سادة الأوصياء).

إن آدم عليه السلام سأل الله تعالى أن يجعل له وصيًا صالحًا، فأوحى الله عز وجل إليه: إنى أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقى وجعلت خيارهم الأوصياء.

فأوحى الله إليه: يا آدم، أوصى إلى شيث، وهو هبة الله بن آدم. وأوصى «شيث إلى ابنه شبان، وهو ابن نزلة الحوراء التى أنزلها الله على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثًا. وأوصى شيثًا إلى مخلث. وأوصى مخلث إلى محوق. وأوصى محوق إلى عثميثا. وأوصى عثميثا إلى أخنوخ، وهو إدريس النبى عليه السلام وأوصى إدريس إلى ناحور ودفعها ناحور إلى نوح النبى عليه السلام وأوصى نوح إلى سام وأوصى سام إلى عثامر - وأوصى عثامر إلى بوعثباشا. وأوصى بوعثباشا إلى يافث إلى بردة. وأوصى بردة إلى حفه. وأوصى حفه إلى عمران. ودفعها عمران إلى إبراهيم عليه السلام. وأوصى إبراهيم إلى ابنه اسماعيل. وأوصى إسماعيل إلى إسحاق وأوصى إسحاق إلى يعقوب. وأوصى يعقوب إلى يوسف وأوصى يوسف إلى بثربا. وأوصى بثربا إلى شعيب ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران عليه السلام. وأوصى موسى إلى يوشع بن نون. وأوصى يوشع إلى داود النبى. وأوصى داود إلى

سليمان. وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا. وأوصى آصف إلى زكريا ودفعها زكريا إلى عيسى ابن مريم عليه السلام وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر. وأوصى منذر إلى سليمة. وأوصى سليمة إلى بردة. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ودفعها إلى بردة وأنا أدفعها إليك يا على. وأنت تدفعها إلى وصيك. ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد أحد، حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعد. ولتكفون بك الأمة، ولتختلفن عليك اختلافاً كثيراً شديداً. الثابت عليك كالمقيم معى، والشاذ عنك فى النار (والنار مثوى الكافرين)(١).

ونعقب على هذه الرواية والتى يبرز فيها التراث الإسرائيلى كأبرز وأوضح ما يكون بجوانبه العرقية والعنصرية وتتجلى فيها عقيدة التناسخ الهندية والثقافة العرقية فى تقديس بيوت فارس القدماء والتى يجز بالقطع كل من تتلمذ على يد النبى محمد ﷺ ويعرف قدراً من هديه ﷺ أن مثل هذا النمط من التراث الخرافى لا سند له، وهذا الشكل من البيان لا يمكن أن يصدر من نبى الإسلام ﷺ ناهيك عن فساد الدلالة وضحالة الهدف المبتغى فكأن الله- تعالى الله- على ضوء ما تقول هذه الرواية لم يخلق ولم يرسل الرسل إلا من أجل خاتم الأوصياء هذا الذى عندما ظهر كما تقول النبؤات الإمامية سيبدأ بقتل العرب بالإنتقام من أصحاب محمد ﷺ .

وأنا أسأل وأظن أنه من اليسير أن يجيب دعاة المذهب ما حكم من لا يؤمن بمثل هذه الروايات والتى امتلأت بها الكتب الأمهات فى مذهب الإمامية؟ وهل هى ضرورية لا يصح إيمان المؤمن بمذهب الشيعة الإثنى عشرية إلا بها وبمثلها، ما الذى يحكم به أئمة المذهب الشيعى على أمة الإسلام من خلفاء وأمراء وفقهاء وعلماء ورجال قدموا أرواحهم لنشر دعوة الإسلام والحفاظ عليها ولا يعتقدون بصحة هذا التراث الذى لا سند له ولا دليل، وما معنى موالاة قادة المذهب وفقهائه لبعض الأنظمة السياسية ممن تدين بالإسلام، ولا تؤمن بمقومات المذهب الإمامى؟ ومقالاته التراثية والعقدية؟

---

(١) أبو الحسن على بن الحسين بن بابويه القمى (الامامة والتبصرة من الحيرة) طبعة عام ١٩٨٥م ص ٢٢.

زواج المتعة وقصته المخزية

كانت معظم المجتمعات الإسلامية لا تعرف شيئًا عن مذهب الإمامية الإثنى عشرية قبل إمكان قيام نظام لهم يعتمد المذهب وعقائده وبعضها الأخر حديث عهد بالتعرف على الإسلام والوقوف على ثقافته وعطائه لكن المد الثقافى الذى تواكب مع سيطرة أئمة المذهب على كيان مجتمع طالما قدم بعض أبناءه بعض عطاءات فكرية وروحية أثمرت إيجابًا فى تاريخ أمة الإسلام. والسؤال هنا ما الذى يمكن أن يتعرض له دعاة المذهب رجالاً ونساء إذا ما ذهبوا إلى مجتمعات غير إمامية وعرفوها بمقومات وأصول وفروع وآداب المذهب الإمامى فى هذا المعتقد المهين اليوم.

ولا أدرى أى حرج يمكن أن تتعرض له المرأة الشيعية وبعضهن أصبحن عضوات فى حزب الثورة أو حرس الثورة ثم بعد ذلك فى البرلمان إذا ما ذهبن داعيات فى مجتمعات تغار على الفضيلة وتحافظ على العرض بل وقد تقوم للحرب إذاما خدش بالقول أو الفعل عرض امرأة أو تعرضت لأذى وعدوان. لكن الذى يبقى قائمًا ويلح بالسؤال ينتظر إجابة قاطعة هو ما حكم زواج المتعة اليوم عند الإمامية؟

وقد يقول قائل إن زواج المتعة كان على عهد النبى ﷺ وأن كثيرًا من أصحابه ما رسوه وأن الذى حرمه هو عمر بن الخطاب وليس أحدًا غيره وأن كثيرًا من أصحاب رسول الله اعترضوا على عمر بن الخطاب ﷺ ونحن لا نريد هذا الأمر جدالاً فقهيًا ولا تبادلاً لتناقض مذهبى كما أننا لا نريد أن نوضح الفرق بين دواعى ومقتضيات وأسلوب زواج المتعة على عهد النبى ﷺ وبين ما وقع بعد أن حرمه النبى ﷺ فقد حرم زواج المتعة ونهى عنه فى آخر أيامه لكن- وعلى ضوء ما اطلعنا عليه من كتب العلماء والأئمة الثقات من القدماء حول هذه القضية التى اختلف حولها.

الفهـــرس

مقدمة 5

معنى الشيعة 7

الجذور التأريخية لنشوء مذهب التشيّع 9

نشأة التشيّع 11

عقيدة الشيعة 18

بين الشيعة والسنة 19

مراحل التشيع 21

فرق الشيعة 22

عقيدة الإمامة عند الشيعة 68

كتب التفاسير عند الشيعة 138

القرآن الصامت والقرآن الناطق 139

الظاهر والباطن 146

القرآن الكريم والتحريف 150

كتب التفسير الشيعى فى القرن الثالث 160
الكتاب الأول: تفسير الحسن العسكرى 161
الكتاب الثانى: تفسير القمى 169
الكتاب الثالث: تفسير العياشى 190
التبيان للطوسى وتفاسير الطبرسى 200
التفسير بعد الطوسى والطبرسى 211
نظرة عامة لباقى كتب التفسير 242
عقيدة الشيعة فى القرآن الكريم 256
زواج المتعة وقصته المخزية 302